

على الخائيات

من "وطني" إلى "منبر الشرق"

تأليف : د. ابراهيم عبداللہ الماسی

تقديم : ا. فتحی رضوان

اعلام العرب

عَلَى الغَايَاتِ من "وطنيّتي" إلى "منبر الشرق"

تأليف
د. إبراهيم عبد الله الماسمي

تقديم
أ. فتوحه رضوان



١٩٨٩

الافراج الفنل :

ماجرة البنا

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

« من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله
عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر
وما بدلوا تبديلا » ♦

« صدق الله العظيم »

إهداء

الى ابني « مصطفى » ..

واحباؤه ...

د° ابراهيم المسلمي

تقديم الكتاب

للأستاذ : فتحي رضوان

لا أظن أن هناك ممن جاهدوا في سبيل مصر ، وطوقوا عنقها
بأياد جليلة ، واحتملوا من أجل ذلك شظف العيش ، والبعد عن
الأهل ، وضيق الرزق ، من لقي مآلقيه على الغاياتي ، الشاعر
والكاتب ، والصحفي والعالم الاسلامي ، من نفى وتشريد ، وجحود
ونكران .

ولقد بدأ الغاياتي ، حياة الكفاح والجهاد ، وهو بعد شاب ،
لم يطر شاربته ، ولم يصلب عوده ، وتكتمل تجربته ، فمنذ غادر بلده
دمياط الى القاهرة ، ليلحق بالأزهر ذلك المعهد العريق والعتيق ،
وهو يجهر برأيه في الاحتلال البريطاني ، وينقده الحاد ، للحكام
المصريين الذين يدورون في فلكه ، ويخدمون غرضه ، ويأتمرون
بأمره .

ولم يكن على الغاياتي ، حينما شرع قلمه ، فأغمده في قلب
أعداء وطنه ، الا شاباً أزهرياً . لم يكن له من يحميه ، فلم يلد بغنى
من أغنياء بلده ، يأخذ بيده أن مر بأزمة ، أو لقي عنتاً ، ولم يكن
من ورائه ، وزير أو حاكم يدفع عنه الأذى ، ان غضب عليه ، صاحب
سلطان . وكان الأزهرى في ذلك الحين . أضعف الناس طرا في مصر

فالأزهري لا يلحق بالأزهر الا لأنه لا يجد من المال، ما يعينه على اللحاق
بمدرسة من مدارس الحكومة ، التي تتقاضى أجرا ، وكان المجتمع
كله يزرى بشيوخ الأزهر وتلاميذه ، ويسخر منهم ومن علمهم ،
وكانت الصحف والمسرحيات ونكات الناس المتداولة على ألسنتهم ،
تصور الأزهري في أسوأ صورة ، وتعتبره عنوانا على العجز
والاضطراب والتخلف ، وتفاهة بضاعته التي اقتصرت على الفاظ
فارغة ، وأساليب أكل عليها الدهر وشرب .

كان بعض ذلك كفيلا بأن يفت في عضد الشباب الأزهري (على
الغاياتي) ، الوافد من دمياط ، وكان قلة المورد في الصحافة ،
وتفاهة الأجر ، عاملا ثانيا ، لشباب مبتدئ فقير ، أن يثنى وجهه عن
الصحافة ، ويلتمس الرزق ، في وظيفة تسد رمقه وتقيم أوده .
ولكن الشباب قد صنعه الله على عينيه ككل من خلقوا ليقيموا المثل
العليا في مجالات الفكر والدين والسياسة . وكل رفيع وعظيم في
حياة الناس ، فيزهدون عن حوائج أبدانهم ، ويلكحون جماع
أهوائهم ، ويمضون في الحياة ، كالشموع يحترقون ، ليضيئوا
لسواهم طريق الحياة الرفيعة ، وليحشدوا صفوفهم ضد جنود
وأعوان الظلم والظلام .

وكان الغاياتي رقيق العاطفة ، شديد الحساسية ، فجرى على
لسانه منذ مطلع حياته شعرا رقيقا كرقعة نفسه ، حارا في مثل
حرارة قلبه ، صافيا نقيا ، يقرؤه الناس ، فيستعذبونه ، ويتأثرون به ،
ثم يحفظونه ويرددونه .

ولم يكن ممكنا أن ينشر شعر كشعر الغاياتي الوطني ، الذي
هجا به الاستعمار فأصله نارا حامية ، وهجا به الحكام المصريين
الذين باعوا أنفسهم ، بيع السماح لأعداء بلادهم ، ليستقروا على
كراسيهم ، وليجمعوا من عرض الدنيا الزائل ما يشبع جشعهم ، ان

كان هناك مايشبع هذا الطراز من أعوان الاستعمار ، وخدامه وصنائه • لم يكن ممكنا أن ينشر هذا الشعر المتأجج المتوهج الا صحف الحزب الوطنى ، فقد أفسح الحزب الوطنى ، حزب مصطفى كامل ومن بعده محمد فريد ، صدره لقصائد على الغاياتى ، فزاعت ذيوعا عظيما ، فأصبح هذا الشاب الفقير المبتدىء ، شاعرا يشار اليه بالبنان ، ويذكر كأحد مجاهدى مصر ، الذين طروا صدورهم على حب عظيم ، للوطن ، وكره شديد لخصومه وأعدائه • وأصحاب السلطة ، يضيقون به ، وبشعره ، وينتظرون الفرصة ، لينكلوا به ، ويقصفوا قلمه ، ويخرسوا صوته ، وقد استطاعوا أن ينفسوا عن غيظهم ، حينما نسبت الى الغاياتى مخالفة لقانون التجنيد فزجوا به فى سجن ، اسمه القشلاق الأحمر ، فكانت تجربة زادت الكاتب الشاعر ، علما بحقيقة الأحوال فى بلده ، ولكنها لم تهز من عزمه ، فقد بقى حريصا على مواصلة نضاله ، بروح ملؤها الثقة بالمبدأ وبالله والأمل فى المستقبل ، على الرغم من ادلهام الظلمات •

واصل الغاياتى لكتابته النثرية ، والشعرية ، فلما اكتمل عنده عدد من القصائد تصلح أن تؤلف ديوانا ، جمعها وقدمها للمطبعة ، واختار لها اسما ، يتفق مع مذهبه وعقيدته ، هو ديوان (وطنيتى) • وقبل أن يخرجها للناس ، رأى أن يعرض الديوان على اثنين من زعماء الحزب الذى انتمى اليه ، وبقي على ولائه حتى الممات ، ألا وهو حزب مصطفى كامل ، الذى أسسه هذا الزعيم العظيم فى ديسمبر سنة ١٩٠٧ • ذهب الى محمد فريد زعيم الحزب ، وخليفة مصطفى ، والى الشيخ عبد العزيز جاويش كاتب الحزب الأول ، ورئيس تحرير (اللواء) لسان حال الحزب ، ولم يتردد الزعيمان فى اجابة طلب الغاياتى ، فكتب كلاهما مقدمة ، كانت نقطة تحول فى تاريخ مصر الوطنى ، وكانت هذه النقطة وحدها ، كفيلا بأن تحفظ للغاياتى

مكانا بارزا فى تاريخ مصر الحديث ، وتذيع اسمه ، فلا يطمس ولا يحجب ، ولكنه نسى وجحد ، لأسباب سنشير اليها فيما يلى .

تلقت السلطة فرصة ظهور (ديوان وطنيتى) ، وأحالت صاحب الديوان وصاحبى المقدمة الى المحاكمة ، ولم يكن الغاياتى حسن الظن بالقضاء المصرى فى تلك الحقبة ، وكان سوء ظنه فى محله ، فقد كانت السلطة البريطانية ، سلطة الاحتلال البريطانى ، هى صاحبة الكلمة فى مصر ، ولم يكن يقوى أحد ، على مخالفة ما تأمر به ، أو ماتهى عنه ، الا القلة المؤمنة المجاهدة ، وكان مما يزيد من سوء حال القضاء وعجز القضاة من رفض الضغط الحكومى عليهم فى قضايا السياسة والرأى أنه لم تكن للقضاء حصانته ، فالقاضى كائى موظف آخر فى مصر ، ان غضبت عليه سلطة الاحتلال ، أو سلطة الخديو ، فصلته عن عمله وقطعت رزقه ورزق أولاده . ولكن بدت من بعض القضاة بوادر حرص على حريتهم واقامة العدل بين الناس ، فعالجت الحكومة هذا الخطر ، بأن عدلت قانون الاجراءات الجنائية ، وجعلت الاختصاص فى قضايا الرأى والنشر والصحف ولو كانت جنحا ، لمحكمة الجنائيات ، لأن دوائر محاكم الجنائيات كانت تضم مستشارا انجليزيا أو على الأقل فرنسيا ، وكانت الرئاسة دائما لهذا القاضى الأجنبى ليدير المحكمة على الوجه الذى ترضى عنه الحكومة لذلك كله قرر الغاياتى أن يهاجر من مصر الى تركيا ، فهاجر بالفعل فى يوم ٥ من يوليه سنة ١٩١٠ ، وقد يسر له السفر أنه لم تكن بين مصر وتركيا حواجز تقتضى حصول الراغب فى الانتقال من أحد القطرين الى الثانى ، الحصول على اذن بذلك ، ووجود جواز سفر عنده ، فسافر الغاياتى الى استانبول أو الاستانة فى ذلك اليوم ، ليبدأ غيبة عن بلاده استمرت حتى سنة ١٩٣٧ ، أى نحو سبعة وعشرين عاما ، تغيرت فيها أحوال مصر وأحوال المنطقة العربية ، وأحوال العالم كله ، ففى هذه الأعوام

الطوال ، قامت الحرب العالمية الأولى ، واستمرت أربعة أعوام ، أعلنت خلالها الحماية البريطانية على مصر وعزل الخديوى عباس حلمى الذى كان متربعا على عرشها ، وحل محله عمه السلطان حسين كامل ثم أعقبه أخوه أحمد فؤاد ، سنة ١٩١٧ ، ثم جاء فاروق بن أحمد فؤاد ، وقامت ثورة سنة ١٩١٩ ، ونفى زعماء الثورة الى مالطة ، وأفرج عنهم ، وفاوضوا الانجليز وفشلت المفاوضات ، كما خمدت جذوة الثورة وحلت محلها حرب داخلية بين الأحزاب ، وأبرمت مصر مع بريطانيا معاهدة سنة ١٩٣٦ ، فتغيرت بعقدتها العلاقات بين مصر وبريطانيا فى الظاهر ، وبقيت على حالها فى الواقع ، فقد أصبح اسم المندوب البريطانى السفير ، ولكن بقي للسفير كل سلطات المندوب السامى ، واستمر تدخل بريطانيا فى شئون مصر الداخلية والخارجية على أشده .

وفى يوم ٢٠ من يونيه سنة ١٩١١ ، عقدت محكمة الجنايات جلسة لمحاكمة على الغياتى وزميله فى القضية . وزعيميه فى الحزب : محمد فريد وعبد العزيز جاويش ولم يحضر المحاكمة لبقائه فى (الأستانة) ، فحوكم غيابيا وحكم عليه بالسجن سنة ، وحضر فريد فحوكم كذلك ، وحكم عليه بالسجن ستة أشهر ، كما حكم على الشيخ عبد العزيز جاويش بالحبس ثلاثة أشهر ، ونفذ الحكم فى محمد فريد ومالبث أن هاجر الى تركيا سنة ١٩١٢ ، كما هاجر الغياتى من قبل ، لأنه اتهم ثانية بعد ان اتم مدة السجن الأولى ، بأنه أهان الحكومة فى خطبة القاها فى المؤتمر الوطنى للحزب الوطنى ، ولم يكن فى شئ مما قاله يستحق المحاكمة والحكم ، فأدرك أن الحكومة ستلاحقه بالقضايا وبالأحكام كتب أو خطب ، لتمنعه منعا ماديا من ممارسة واجبات زعامته ، فأثر السفر الى تركيا ، ليكون أقدر على النهوض باعباء قيادته ، ومما أغراه على الرحيل من مصر الى تركيا ، ان العلاقات بين البلدين كانت آنذاك

وثيقة الى أبعد حد ، فكان مايجرى فى احدهما يتردد صداه فى الحال فى البلد الآخر ، مما يمكن محمد فريد أن يوجه العمل السياسى فى وطنه ، وهو بعيد عنه . فهاجر فى مارس سنة ١٩١٢ الى تركيا . ولم يعد اليها الا بعد ان وافاه الأجل فى ١٥ من نوفمبر سنة ١٩١٩ فى برلين ، بعد أن تحمل شظف العيش ، والغربة ، والمرض ، والوحدة الموحشة ، وانهايار الآمال ، فقد هزمت تركيا وهزمت ألمانيا ، وخرجت بريطانيا عدوة محمد فريد وعدوة الغاياتى ، كأقوى ماتكون الدولة الظافرة .

ومعنى هذا أن ديوان وطنيتى الذى جمع قصائد على الغاياتى ، التى لم تكن ألفاظا ، بل كانت شواظا من نار ، وقذائف تتلظى ، الى قلب الاستعمار ، وهى شواظ وقذائف ، لمعت فى سماء مصر ، قبل أن تهبط على رءوس أعدائها ، فنزعت من القلوب الخوف ، وحضرت تحضيرا مباشرا لثورة سنة ١٩١٩ ، فلم يكن قبيل اندلاع هذه الثورة ، حزب أو جماعة تحرض على الاستعمار وتدعو الى مقاتلته الا حزب مصطفى كامل ، ومحمد فريد ، وعبد العزيز جاويز ، وعلى الغاياتى ، فقد استمروا يعملون فى مصر ، سرا ، وفى تركيا وألمانيا وكل أوروبا علنا ، حتى قامت هذه الثورة .

ومعنى هذا أيضا ان ديوان وطنيتى ، كان السبب المباشر لتفكير محمد فريد فى الهجرة ، وهو قرار أغضب أناسا وأرضى أناسا آخرين ، أغضب الذين كانوا يريدون ان يبقى فريد فى مصر ، على الرغم من كل ماكان ينتويه الاحتلال البريطانى والخبديو واعوانهما من التضيق على محمد فريد ، وملاحقته بالقضايا والاحكام ، لأن وجود الزعيم فى بلده وبين أهله ، يقوى معنوية أنصاره ، ويزيدهم جراءة ، وينظم صفوفهم ، ويزيده هو شجاعة وقدرة على مواجهة الأعداء .

والذين رضوا عن هجرة فريد قالوا ان وجوده فى الخارج بعيدا عن قبضة الاحتلال ، فتح امامه باب العمل الدولى فى أوروبا كلها ، وأنه بالفعل كان يذرع أوروبا جيئة وذهابا وأنه حضر المؤتمرات العديدة التى كانت تعقد خلال الحرب العالمية الأولى ، دفاعا عن الأمم المضطهدة والشعوب المحرومة من حقوقها ، وان جهود محمد فريد الدولية حفظت اسم مصر واسمه من ان ينسى طوال فترة الحرب مما جعل العالم متهيئا لاستقبال ثورة ١٩١٩ كامتداد لتلك الجهود التى أكدت ان مصر لم تهن عن المطالبة بحقوقها ومجاهدة أعدائها ... وللغاياتى سهم فى كل هذه الجهود .

فانه بعد أن أقام فى استانبول فترة ، يحرر فى أكثر من صحيفة عربية هناك ، وينظم القصائد ضد حكام مصر ، ويرسل صحفه الى بنى وطنه ، فيذكرون شاعرهم الشاب .

واخيرا خطا الغاياتى خطواته الحاسمة التى نقلته الى أوروبا ، وذلك فى ٢٩ من نوفمبر سنة ١٩١١ ، لقد سافر فى ذلك اليوم الى جنيف مارا بفيينا عاصمة النمسا . وقد بدا يرأسل جريدة الحزب الوطنى (حزب مصطفى كامل) منذ وضع قدمه فى جنيف ، ولما انقطع عنه مرتبه الضئيل من جريدة الحزب ، بدأ يدرس اللغة العربية لعدد من الشبان المصريين والعرب الذين يدرسون فى جنيف دون أن يكونوا على علم كاف بلغة بلادهم . ثم أخذ يرأسل بعض الصحف السويسرية مثل (ترييون دى جنيف) ، و (جرنال دى جنيف) و (السويس) ، ثم أخذ يرأسل جريدة (جازيت دى لوزان) ، فتوطدت علاقته بالصحافة السويسرية ، وعرفته دوائرها كاتبا بالفرنسية على الرغم من أنه مصرى، وافد الى أوروبا ، يحسن التعبير عن نفسه وعن أهله ، تعبيرا صحيحا ووطنيا تخالطه روح شعرية ، تجذب القارئ . لكن الذى يهمنى هنا هو ما يتصل بجريدة على الغاياتى التى أصدرها باسم «منبر الشرق» أى «ترييون دوريان»

فقد لعبت دورا سياسيا ووطنيا عظيما ، اذ ظهرت فى جنيف فى أعقاب ثورة سنة ١٩١٩ ، فقد كان الغرب لا يسمع من أنباء هذه الثورة العظيمة الا ما تنشره صحف أوروبا ، وكان أكثرها منحازا لسلطة الاحتلال البريطانية ، وكان المفروض ان تكون هذه الجريدة ، باللغة الفرنسية ، لأنها تصدر ليقرأها المتكلمون بالفرنسية ، ولكن وطنية على الغايات المتطرفة ، أبت عليه الا أن تكون صفحة من الصفحات الأربع التى تتكون فيها هذه الجريدة بالعربية ، وقد كلف نفسه جهدا كبيرا ليحقق هذه الغاية ، اذ لم تكن هناك مطبعة عربية فى سويسرا ، فراح يكتب هذه الصفحة بخطه ثم يحضرها (بالزنكوغراف) ، ويطبعا بعد ذلك ، فلما ثقل عليه هذا الجهد ، ظهرت هذه الجريدة بالفرنسية ، فكانت منبرا للشرق كله : من الهند الى المغرب ، وقد دافع عنها أكثر ما دافع عن مصر وعن ثورتها ، واذا فتشت فى تاريخ الحركة الوطنية المصرية بل وتاريخ الحركات الوطنية العربية ، وتاريخ الحركات الشرقية ، فلن تجد صحيفة واحدة كجريدة منبر الشرق ، يحررها عربى بلغة أوروبية سليمة وقوية ، وتصدر بانتظام ، وعلى وجه يكسب الاحترام والتقدير للجريدة ولصاحبها .

ولو لم يكن لعلى الغايات سوى هذا الجهاد المرائع ، الذى كلفه ما كلفه ، لكفى ليذكره مواطنوه المصريون والعرب ، ويعلموا من قدره ، وينوه بذكره ، ولكن شيئا من ذلك لم يقع . وقد كان الغاياتى يواصل هذا الجهاد المرير ، ولا أحد من قادة مصر ، ولا من قادة العرب ، يمد يد المساعدة ولو مرة واحدة ، ولو بقرش واحد ، لعلى الغاياتى لا لأن هذا القرش سيسد حاجة من حاجيات الجريدة ، أو سيكسب لها قارئاً ، أو يخرج بها من أزمة بل ليكون تعبيراً عن رغبة التعاون مع هذا المجاهد الصابر المستميت .

ومما يزيد من قدر هذا الجهاد وأثره ، أنه استمر من ٥٠ من

فبراير سنة ١٩٢٢ الى سنة ١٩٣٧ اى نحو ١٥ سنة متصلة والرجل لا يكل ولا يمل ، ولا ينتنى ولا يياس ، حتى انتقل الى مصر فى ٢٦ مايو سنة ١٩٣٧ .

فلكم هى كبيرة جريمتنا فى حق على الغاياتى الذى حينما فكر بعض اولى الامر فى تكريمه اطلقوا اسمه على حارة لا يزيد طولها عن ثلاثين مترا ، متوارية لا يعرفها أحد ، ولا يرد اسمها فى مطبوع أو منشور .

ولم تكن جريدة منبر الشرق طوال هذه السنوات ، مجرد صحيفة تنشر اخبار الوطن المصرى والعربى ، وتدافع عن حقوق المصريين والعرب والشرقيين ، بل كانت منتدى لزعماء هذه الأمم كلها ، يستضيفهم الى بيته ، ويؤدب لهم المادب ، ويعرفهم برجالا (جنيف) التى كانت مقر جمعية الأمم التى اتصلت اسباب على الغاياتى بها ، فعرف كبار موظفيها وعرفوه ، واحتفوا به كلما مر عليهم أو طرق بابهم ، وباختصار أصبحت دار منبر الشرق سفارة غير رسمية لمصر ، وأصبح صاحب الدار سفير مصر والعرب المحترم ، المسموع الكلمة . وقد عاينت على الغاياتى فى أوامر اغراض وواجبات هذه السفارة زوجة على الغاياتى السويسرية التى أنجب منها خمس بنات وولدا واحدا .

ولما جاء الغاياتى الى مصر ، نقل جريدته معه ، فواصلت سعيها على نفس المنهج ، فهى جريدة قومية كتب تحت اسمها بيتين جريا هكذا .

باسم الكنانة واسم شعب ناهض
لا باسم أحزاب ولا زعماء

وقد حقق هذين البيتين ، فلم يمالىء حزبا ، ولم يشايع

حكومة ، ولم يجر فى كلف زعيم أو عظيم ، ولم يمد يده الى دولة من دول العرب أو دول الغرب ، مع أن ماضيه القديم ، وشهرته منذ شبابه ، واثقانه للغة الفرنسية ، وصلاته بدوائر السياسة ابان وجوده فى جنيف ، وتردده على جامعة الأمم ، كل ذلك يجعله شخصية سياسية تنفع من تنحاز اليه ، وتعمل لخدمته ، مما يغلى مهره ، ويزيد أجره ولكنه استروض بالقناعة ، ورضى بما قسم الله له ، فلم يخالف ضميره ، ولم يخرج عما يأمر به دينه ، وخرجت جريدته صفحة نظيفة نقية ، تخلو من كل خطأ ، وترتفع فوق كل شائبة ، وتدعو فى دأب واتناد الى كل فضيلة قومية . وكانت داره فى مصر ، كداره فى جنيف منتدى الأحبة من رجال العلم والأدب والدين من العرب وأهل المشرق ، ولم يكن معه من يعينه الا شخصه وصبره وتقواه واحتماله للمكاره ، وصبره على الشدائد .

فلما مات فى ٢٧ اغسطس سنة ١٩٥٦ ، نعته الاذاعة المصرية، بوصفه أحد أبطال مصر ، وأوائل المجاهدين لها ، والذائدين عن حياضها ، والثابتين المحتسبين الاتقياء الانقياء ، وسرنا وراء نعشه ، نستمطر الرحمة على جدته ، وندعو له بمقام رفيع مع الانبياء والصالحين ، والشهداء والصديقين ، وحسن أولئك رفيقا .

والكتاب الذى اقدم له بهذه الصفحات ، من تأليف الأستاذ الدكتور ابراهيم عبد الله المسلمى ، وهو كتاب يفيض بالحب للمترجم له الأستاذ المرحوم على الغاياتى ، والقارىء يلمس هذا الحب من كل سطر فى الكتاب ، ومما هو بين السطور ، وحب الكاتب لمن يكتب عنه شرط لتجويد الكتابة . ولذلك قد جاء هذا الكتاب صورة صادقة وحية ، لحياة الغاياتى ، وقد كتبت بأسلوب سهل ، واضح مما يعين على متابعته وفهم حياة هذا المجاهد والتأثر بها ، والاعجاب

به • وقد ألم الكاتب بكل مايتصل بالغاياتي منذ مولده الى يوم وفاته،
وبذل فى سبيل ذلك جهدا مشكورا وعناية ملحوظة • وانى لأرجو أن
يكون هذا الكتاب الشيق ، فاتحة اهتمام بالغاياتي ، حتى تردله
حقوقه المهضومة ، فيذكره الكتاب والشعراء والصحفيون ، وتتحدث
عنه الصحافة والاذاعة ، وتهدى قدوته طريق الشباب فى جيلنا
الحاضر الى التضحية والجهاد والعمل الصالح •

(فتحي رضوان)

(مقدمة المؤلف)

كانت بداية معرفتي بصاحب الترجمة ، سطور قليلة ، قراتها
في جريدة « اللواء » ، التي أصدرها الزعيم الوطني الشاب
« مصطفى كامل » في ٢ يناير سنة ١٩٠٠ ، والتي تحولت في نهاية
سنة ١٩٠٧ ، الى لسان للحزب الوطني .

وأخذت السطور تتزايد ، نثرا وشعرا .. ويتعاضد أمرها ،
وأحسست أن وراءها كاتب ثائر ، قلمه لا يعرف الا حب الوطن
الخالد وبغض الاحتلال الجاثم على أرض وادي النيلنا العظيم ..

ومع ذلك .. لم أتعرف حقيقة على ذلك البطل « المجهول » في
تاريخنا .. الا بعد أن أصدر ديوانه : « وطنيتي » ، في سنة ١٩١٠ ،
ثم أصبح للديوان قضية ومحاكمة ، جعلت اثنين من خيرة أبناء
مصر البررة ، يدخلون سجونها ، بسبب كتابتهم مقدمات لهذا الديوان
أول هؤلاء هو : الزعيم « محمد فريد » ، والذي أصبح رئيسا للحزب
الوطني بعد وفاة « مصطفى كامل » ، في فبراير سنة ١٩٠٨ ، أما
الثاني فكان : الشيخ « عبد العزيز جاويز » ، رئيس تحرير صحف
الحزب الوطني : « اللواء » ، ومن بعده « العلم » .

هنا فقط عرفت اسم الشيخ « على الغاياتي » ..

وأخذت أبحث وأنقب ، عن حياة ذلك الشاب ، الذي كان عمره

وقتئذ ، خمسة وعشرين ربيعا ، قبل فراره من المحكمة ، وهجرته الى الآستانة ، ثم الى جنيف .

ولكن يبدو أن « الغاياتى » ، قد سقط سهوا من التاريخ !

لا . بل سقط عمدا . . . ولما لا ؟ !

ان مؤرخى الصحافة أهملوه . . والذين ذكروه لم يوفوه . . هو وجريدته حقهما . . ووضع نقاد الأدب العربى على الرف . . حتى ان مؤرخنا الكبير « عبد الرحمن الرافعى » ، لم يخصص له من كتابه « شعراء الوطنية » الا أربعة صفحات فقط ، وفى نهاية كتابه المكون من (٣١٦ صفحة) .

« فالغاياتى » لم يكن ذا مال ولا سلطان . . لم يكن من اتباع حزب من الأحزاب ، او خادما لزعيم أو رئيس !

كان الغاياتى « أمة » وحده ، فى الدين ، وفى الخلق ، وفى الوطنية . . وكان صاحب كلمة حرة شجاعة ، ونقد بناء .

وصاحب المبدأ ، والخلق والدين ، يهمله كل مداهن مخادع .

ولكن أبدا . . . التاريخ فى النهاية ، لا يهمل كل وطنى جسور .

ويكفى « الغاياتى » فخرا ، أنه بعد هجرته الى الخارج ، كان يصدر بمفرده فى جنيف - مقر عصبة الأمم - جريدة باللغة الفرنسية تدافع عن حقوق مصر ، والاسلام ، والشرق ، بل انه جعل شعارها « الشرق للشرقيين » ، وذلك لأكثر من خمسة عشر عاما (٥ فبراير سنة ١٩٢٢ - ٢٦ مايو سنة ١٩٢٧) ، وعندما عاد القلم المهاجر مع أسرته التى كونها فى جنيف ، أعاد إصدار هذه الجريدة باللغة العربية ، تحت اسم « منبر الشرق » ، فى ٦ مايو سنة ١٩٢٨ ،

فظلت مستقلة ثمانية عشر عاما (حتى ١٧ أغسطس سنة ١٩٥٦) ،
عن كل جماعة ، أو هيئة ، أو حزب ، أو زعيم ٠٠ وجعل شعارها ٠

« باسم الكنانة واسم شعب ناهض

لا باسم أحزاب ولا زعماء »

« كل يزول وينقضى أما الحمى

فوديعنة الأبناء للأبناء »

وقد أردت بداية ، أن أكتب مقالة ، عن ذلك « الغاياتى » ٠٠
الصحفى والشاعر والمجاهد « المجهول » ٠٠ وللحقيقة ، فاننى لم أجد
أحدا أنصف ذلك الرجل ، الا قليل ، منهم استاذنا الكبير : فتحى
رضوان ، فى مؤلفه « عصر ورجال » ، وقد اعتمد فى التاريخ
« للغاياتى » على مذكراته الشخصية ، والتي لكتبها فى حوالى ٢٨
حلقة اسبوعية ، فى جريدته « منبر الشرق » فى أوائل سنة ١٩٥٢ ،
ولكننا للأسف لم نعثر على المجلدات التى تحتوى على السنوات من
١٩٤٧ الى ١٩٥٣ ، محفوظة فى دار الكتب العامة بالقاهرة ٠ ولكننا
وجدنا مذكراته منتشرة ، ومتفرقة ، فى باقى السنوات ٠ ، وكذلك
تلميذه الأستاذ « محمد طاهر الجبلاوى » ، وصهره الأستاذ الدكتور
« مختار الوكيل » فى كتاب « خمسة من شعراء الوطنية » ٠

وقد تحولت المقالة ، التى كنت أنوى كتابتها ، الى كتيب ٠٠
والكتيب الى كتاب ٠٠٠ بل كنت أنوى فعلا أن يتحول هذا الكتاب
الى مجلد ، يؤرخ للرجل ، ولكل حرف من حروفه فى النثر والشعر ،
والتي تؤرخ بصدق ، ودون تنميق أو تزييف ، لأهم أحداث الوطن ٠٠

ولكن يكفينى أننى ألقى بالضوء الكاشف ، على ذلك الوطنى
« المجهول » ، وأن تراه - عزيزى القارئ - حقيقة بين يديك ٠٠

قالى سطروره المضىئة ، قبل أن تأخذنا الحماسة ، فى مقدمات طويلة
وانشائية ..

وفى النهاية .. لايسعنى الا أن أقدم خالص شكرى وتقديرى ،
الى كل من عاوننى فى اصدار هذا الكتاب وأخص بالشكر ، صاحب
تقديمه ، الأستاذ الكبير فتحى رضوان ، والعاملين فى دار الكتب
والوثائق القومية ، وفى قسمى الدوريات والمراجع ، وإلى ادارة
المطبوعات والصحافة بالهيئة العامة للاستعلامات ، جزاهم الله عنى
خير الجزاء .

٢١ سبتمبر ١٩٨٦

د . ابراهيم عبد الله المسلمى
قسم الاعلام - بكلية الآداب
جامعة الزقازيق

(الفصل الأول)

(ما قبل وطنيتى)

* المولد والنشأة

* فى جريدة « الجوائب المصرية »

* فتنة دمياط الدينية

* فى القشلاق الأحمر

* فى صحف الحزب الوطنى

(المولد والنشأة)

لم تكد تمر أربع سنوات على بداية الاحتلال البريطانى لمصر ، حتى ولد : « الغياىى » ، لأسرة متوسطة الحال ، ولكنها ذات حسب ونسب ، يصل بها الرسول المصطفى. عليه الصلاة والسلام ، كان ذلك يوم ٢٤ أكتوبر سنة ١٨٨٥ ، بمدينة دمياط بشمال الوادى (١) ، ودخل « الغياىى » الكتاب طفلا لم يتجاوز السادسة من عمره ، وما ان بلغ الثامنة حتى كان قد حفظ القرآن الكريم وأجاد حفظه ، ثم أرسله أبوه الى المعهد الدينى ليتلقى به علوم الدين ، وكان ذلك يتم فى (جامع البحر) حيث يتلقى الطلاب فى حلقاته شئون الدين وأصول اللغة والبلاغة . . على أيدي شيوخ أجلاء من رجال الدين (٢) .

ومع ان الاحتلال بدأ يؤثر فى الأمة ، تأثيرا ملؤه اليأس والقنوط والاستسلام ، كما ظهر طغيانه وجبروته على كافة البلاد ، حتى ان شيخ المؤرخين : « عبد الرحمن الرافعى » يقول عن السنوات الأولى للاحتلال بأنها : « تؤلف فى تاريخ مصر القومى فترة انحلال

(١) نيليب دى طرازى ، « تاريخ الصحافة العربية » ج (٤) (بيروت المطبعة الاميركائية ، ١٩٣٣) ص ٣٦٦ .
(٢) محمد طاهر الجبلاوى « على الغياىى » ، فصل من كتاب : « خمسة من شعراء الوطنية » (القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٣) ص ٢٧٨ .

وطنى عام : انحلال فى الوطنية ، انحلال فى الأخلاق ، انحلال فى حالة الشعب الاقتصادية والاجتماعية(٣) »

الا أن فترة البعث الوطنى جاءت على يد الزعيم الشاب « مصطفى كامل » ، الذى نهض يدعو الى الحرية والاستقلال ، فبدأت دعوته غريبة عن الأذهان ، بعيدة عن الأفهام ، وتساءل معاصروه : كيف تقوم حركة وطنية لاستخلاص الاستقلال من يد أقوى الدول نفوذا وأوسعها سلطانا ؟ ، ولكن وطنية « مصطفى كامل » كانت أقوى من الجيل الذى ظهر فيه ، وأقوى من العوامل المثبطة ، فأخذ يثابر على دعوته ، ويناضل عنها ، حتى استجابت الأمة لندائه ، فكانت نهضة ، وكانت حياة ، وكان شعورا ، وكان جهادا ، كانت رسالته الى مصر كصرخة الحياة المدوية فى سكون النوم العميق ، كانت رسالة الأمل بعد اليأس ، والحياة بعد الخمود ، والكرامة بعد الهوان ، والجهاد للحرية والاستقلال ، بعد الاستسلام للاستتلال والاستعباد(٤) .

ومع ذلك ، فلقد كان على الغاياتى فى معزل عن هذه الحركة الوطنية ، لا يعرف من أمرها شيئا ، فحسبه أنه ولد فى دمياط - كما يقول بنفسه - فنشأ فيها بين « قوام كرام ، غير أنهم (محافظون) يعبدون الحكام كأنهم آلهة يحيون ويميتون ، ثم لا يكادون يذكرون الوطن والوطنية على الإطلاق !! »(٥) ، وقد بقى بينهم حتى ناهز الثانية والعشرين من العمر، ثم غادرهم أسفا مسرورا ميمما القاهرة،

(٣) عبد الرحمن الرافعى « مصر والسودان فى اوائل عهد الاحتلال » ط (٣) (القاهرة ، الدار القومية للطباعة والنشر ، ١٩٦٦) ص ٢٢٨ .
(٤) عبد الرحمن الرافعى « مصطفى كامل باعث الحركة الوطنية » ط ٤ (القاهرة ، النهضة المصرية ، ١٩٦٢) ص ١٣ .
(٥) على الغاياتى « وطنيتى » الطبعة الاولى ، ١٩١٠ ، ص ١٦ .

« على أنهم لا يزالون الا قليلا - من نشئهم المأمول - أبعد العباد عن
ذكر البلاد » .

ومع ذلك فلقد بدأت أولى أفكار ومبادئ « الغاياتى » تتبلور
على يد غير مباشر لدعوات الإصلاح التى تبناها السيد « جمال الدين
الافغانى » ، ومن بعده الامام « محمد عبده » ، والتى تنحصر فى
الدعوة الى نبذ الخرافات التى لحقت بالدين الاسلامى أيام الضعف ،
للتوسل بغير الأعمال الصالحة ، والتواكل والاستسلام ، وعدم
الأخذ بأسباب التقدم التى اتبعها الغرب اخذا عن الشرق ،
والوقوف على عوامل تفرقه ومقدرته للعمل بها ، وأن يفتح باب
الاجتهاد فى فهم الدين والتبصرة به . . . وكان « الغاياتى بعقله المتفتح
ونفسه المتوثبة يعكف على هذه الآراء ويدرسها بامعان ، ثم يهب
لنشرها بين الطلاب ، ويدافع عنها بحماسة ، مما اثار خصومة بالغة
بينه وبينهم ، وبين بعض شيوخ معهد جامع البحر ، وعلى رأسهم
شيخ المعهد الذى كان يسير فى ركب التأخر والجهالة . . .

ويحسن أن نذكر هنا كيف كان المصلحون الأولون يلقون من
حركة معادية ، وهذا هو الامام « محمد عبده » يحارب داخل الأزهر
أولا ، ثم على يد بعض من يحملون أمانة القلم والكلمة فى بعض
الصحف التى يساندها الخديو « عباس حلمى » وبعض حاشيته ،
وهذه هى جريدة « حمارة منيتى » تنشر صورة للامام وهو يراقص
امراة فرنسية واكلها متعلق بثيابه ، وزجلا تندد فيه باباحته ارباح
صندوق توفير البريد ، وتقول فيه :

الناس يدين وانت بسنة	وكل حاجة تحللها
اعرف خلاصك فى الافتى	مطرح ماترسى دقلها

وكانت هذه الصحيفة تتستر وراء اسم رجل يدعى «عبد الرحمن الهندي» من أهالي دمياط، ويتمتع بالحماية البريطانية، مما يبيح لها نشر كل ماتريد للنيل من هذا الامام الكبير وغيره، وعندما وصلت هذه الوريقة الساقطة الى دمياط وفي صدرها هذا الرّجل، طار خصوم «الغاياتي» فرحا بها وأذاعوها بين الطلاب، وسموا «الغاياتي» ومن معه من أنصار الامام «محمد عبده»: «الملة الستة»، ومنهم السيد العالم «مصطفى مشرفة» - والد العلامة على مصطفى مشرفة - فضاق شيخ المعهد «بالغاياتي» وطرده ومنعه من تلقى الدروس فى حلقاته، فخرج «الغاياتي» من المعهد ليشغل مدرسا باحدى المدارس الابتدائية الخاصة، وكان يديرها اثنان من أبناء الأعيان هما: السيد «عبد الرحمن العلالي» والسيد «محمد الكرداني» (٦)

وقد وصل على الغاياتي الى القاهرة يوم الخميس ٤ أبريل سنة ١٩٠٧، فقضى بها حوالى مائة يوم - قبل أن يعود الى مسقط رأسه ثانية - قضاهما بين ياس ورجاء، وشدة ورخاء، وعندما يعود بالقطار الى دمياط يوم ١٦ يوليو سنة ١٩٠٧، يفصل لنا ذكرياته بين هنا وهناك فيقول (٧):

«دمياط ووطنى الذى عرفت هواه، قبل أن أعرف الهوى، فصادف قلبا خاليا فتمكنا ٠٠٠، وقد شاءت الأقدار أن تحول بينى وبينه، فنأت بى عن أرضه الطاهرة، وأحلتنى أرض القاهرة - تلك الأرض المباركة التى حشر الله فيها ستمائة ألف نسمة أو يزيدون من جميع الشعوب والأمم، وجعلها غاية لهم يسعى كل فرد منهم

(٦) محمد طاهر الجبلاوى «مرجع سابق» ص ٢٧٩ - ٢٨٠ .

(٧) مقالة بعنوان «بين دمياط والقاهرة»، جريدة «الجواب

المصرية»، العدد ١٣٤٣ - فى ١٧ يوليو ١٩٠٧، ص ٢ .

ليدرك من ورائها غرضا يرى به كل الصيد في جوف الفرا ، وهي
مع هذا التزاحم والتنازع معرض عام لمظاهر العالم أجمع ، وبها
لذى اللهو والهوى ملهى ومرتع ، لا يجد لهما فى سواها بديلا ، ولقد
نمقتها يد الابداع حتى قال قائلها ! ليس فى الامكان ابداع مما كان ،
وبالجملة فيها من كل معنى طرب ، نعم فيها ماتشتهى الأنفس وتلذ
الأعين ، ولكنى لم أر لهذا بفؤادى محلا ، فؤاد استولت عليه
دمياط ، فما يغنيه من القاهرة ؟ أنت يادمياط على مافيك من نقص
وانحطاط كما يقولون - مالكة قلبى وربة السلطان على لى ، فما
يسرنى من القاهرة بعد هذا ؟ أنت أيتها القاهرة مهما بلغت من جمال
وجلال فبكل أسف ليس لك من نصيب فى هذا الفؤاد الذى غدا على
دمياط وقفا ، •

فى جريدة « الجوائب المصرية »

بدا الغاياتى حياته القاهرية محررا بجريدة « الجوائب المصرية »، وهى جريدة يومية سياسية أدبية تجارية ، يرأس تحريرها شاعر القطرين : خليل مطران ، « وكان الغاياتى الأزهرى الشاب ، وهو بعد فى مطلع شبابه ، وفى المرحلة الأولى لعمله فى الصحافة ، لا يتردد أن يقف الى جانب الرأى الحر ، الذى يراه على صواب ، دون أن يحفل أو يقيم وزنا لسلطان خصوم هذا الرأى » (٨) .

ويعترف الغاياتى فى رسالته الى صاحب جريدة « الجوائب المصرية » (٩) ، بأنه كان يعمل فى الجريدة بدون أجر ولا جزاء ، بل هى على حد تعبيره « محض تبرع منى خدمة لدينى وأمتى ، كما يقتضيه واجب طالب العلم » .

وقد استمر الغاياتى فى كتاباته الثائرة فى « الجوائب المصرية » بجانب رئيس تحريرها ، وبعض كتابها فى ذلك الوقت كأحمد محرم ، وحسن موسى العقاد ، وجورج مطران ، وسليمان فوزى ، وعطا حسنى ، وعلى علوى ، وحسين شفيق المصرى ، الى

(٨) فتحى رضوان « عصر ورجال » ، (القاهرة ، الانجلو المصرية ، ١٩٦٧)

ص ٣٠١ .

(٩) « الجوائب المصرية » المجلد ١٤٥٩ فى ٣ ديسمبر سنة ١٩٠٧ ،

ص ١ .

ان تركها كما يقول بسبب « سياستها في عهد صاحبها الجديد ، وهو الوجيه الشاب : عطا بك حسنى . وكان فى ذلك الوقت معروفا بأنه قبل كل شىء (صهر العائلة الخديوية) ، وهذا أكبر القابه وأجدرها بالشهرة » (١٠)

وقد حدث أن الغياتى ، كتب مقالة من مقالاته بعنوان «الدستور أميرنا » ، فلم تكذ تظهر وتعرف ، حتى أمر عطا بك ، بوضع مقالة أخرى محلها . واعادة طبع الجريدة ، وجمع ماوزع من أعدادها فى السوق ، لأن المقالة كانت مشربة بروح الحزب الوطنى ، الذى كان اذ ذاك يطالب الخديوى بالدستور مطالبة قوية ، وكان غير راض عن سياسة الوفاق الجديدة بين عابدين وقصر الدوبارة ، ومن هنا خرج الغياتى من « الجوائب » ليكتب فى « اللواء » لسان الحزب الوطنى آنذاك . وقد بحثنا عن هذه المقالة ، فى الأعداد المحفوظة من جريدة « الجوائب المصرية » ، بدار الكتب العامة بالقاهرة ، ولكننا للأسف لم نجدها ، أما بخصوص ما ذكره الغياتى من أن عطا بك حسنى، هو صاحب « الجوائب المصرية » ، بعد الشاعر «خليل مطران » ، فاننا لم نتثبت من ذلك من الجريدة ، فلقد وجدنا مقالات لعطا حسنى ، ولكن كان مدير الجريدة الجديد ، كما هو مكتوب على رأسها هو : على علوى ، وذلك اعتبارا من ١١ يناير سنة ١٩٠٨ ، والذى تملكها بعد ذلك فى شهر يونيو من نفس السنة .

وقد لاحظنا بداية تشرب الغياتى بمبادئ الحزب الوطنى ، حتى كانت رسالته للجريدة من دمياط،وبعنوان « فرع للحزب الوطنى فى دمياط » (١١)،يقول فيها بأنه قد أصدر منشورا دعا فيه الديمقائين

(١٠) مقالة بعنوان « ذكريات قديمة منذ ثلاثين عاما » ، جريدة « منبر الشرق » ، العدد ١١ فى ٩ افسطس سنة ١٩٢٨ ، ص ٥ .
(١١) جريدة « الجوائب المصرية » ، العدد ١٥٥٥ ، فى ٢٨ مارس سنة ١٩٠٨ ، ص ٢ .

لانشاء فرع للحزب الوطنى ، فقامت قيامة الأموات ، من أهل دمياط ،
وهاموا فى تيه الظنون ، والكل يقول : جاءت المصيرية الكبرى ،
والداهية الدهماء ، لنا ولبلدنا الأسيف ، فقد رسخ فى أفكار عباد
الاحتلال منهم ، أن المحافظة سيمحى اسمها ، وتعود المدينة مركزا ،
أو نقطة فقط ، جزاء لاهلها على هذه الوطنية ، التى ما سمعوا
بها من قبل ، الى غير هذا من الاوهام الباطلة ، التى ولدتها فكرة
الجهل القديم ، ممن حضروا ازمان الاستبداد ، واشربوا الجبن
اقام الحكومة وذكرها ، فأصلح الله حالهم ، وطهر البلاد من أمثالهم

(فتنة دمياط الدينية)

لم ينقض على عمل على الغيايتى فى جريدة « الجوائب المصرية » الا شهر او بعض شهر ، حتى قامت فتنة دينية فى دمياط - مسقط رأسه - بسبب خلاف بين علماء الدين فى ذلك الثغر ، «اشتعلت نارها بتدخل العوام فيها ورفع أمرها الى مشيخة الأزهر وسمو الخديو ، وكاد يستفحل خطبها بتحريض بعض العلماء ذوى الافكار العتيقة البالية ، الجهلة والسفلة على ايداء مخالفينهم من المصلحين» (١٢)

وقد ظل الغيايتى يكتب لنا مفصلا هذه الفتنة فيما يقرب من عشرين مقالة فى « الجوائب » ، وفيما يقرب من شهرين ، غير عابىء « بالأعمال الصببانية للحمقى والجهلاء » ، ، ويلخص الغيايتى للقراء أولا سبب هذه الفتنة قائلا(١٢) :

« ان احد علماء دمياط (الشيخ حسن على) ، قصد فى ليلة المولد النبوى مسجد (النفيس) ، وقرا قصة المولد الشريف خالية من الشوائب القصصية المزوجة بأكثر القصص ، وحض الحاضرين على اتباع القرآن الكريم ، وما صبح من أحاديث النبى صلى الله

(١٢) « وطنيتى » للغيايتى ، هامش صفحة ١٢٢ .

(١٣) « الجوائب المصرية » ، العدد ١٢٩٣ ، فى ٢٠ مايو سنة ١٩٠٧ ،

عليه وسلم ، وحذرهم من السجود للأولياء ، والاستنجاد بهم من دون الله ، ومن النذور للأضرحة وتعهد صناديقها بالبذل والعطاء ، فى حين أن الاعمال الخيرية امامهم واسعة الأبواب ، وهى فى حاجة الى الدرهم والدينار من المحسنين .

ثم يستطرد قائلا : « ثم علم شيخ المسجد (الشيخ النحاس) بذلك وكبر عليه الأمر وثار ثائره ، فذهب الى اثنين من قدماء العلماء الذين لهم سلطان عظيم على قلوب العامة ، وروى لهما الحديث ممسوخا محرفا ، فروياه كذلك للعوام ، فقالوا فى الشيخ ما قالوا ، ورموه بالمروق من الدين والعدول عن الايمان بالله ورسله ، وزادوا من عند أنفسهم ما شاءوا ، ، وهناك قام زعاع القوم وسفهاؤهم ، منذرين مهديين ، وشرعوا فى رمى منزل الشيخ بالحجارة ، وانهالوا عليه شتما ولعنا حتى اضطر الى الاستنصار بالحكومة .

ويرى الغاياتى أن الحكم الذى صدر على هذا الشيخ « من عمل الشيطان » ، فهو يقضى بمنع هذا العالم من التدريس ، وبقطع مرتبه وجرايته سنة كاملة ، يقدم شيخ علماء دمياط فى آخرها شهادة للمشايخ بحسن سلوكه ، لذلك « فان مشيخة الأزهر هى المسئولة وحدها عما يحدث من وراء اهمالها مرة واتكالها على شيخ علماء دمياط مرة أخرى ، اذ يجب عليها تلقاء ذلك أن تقوم بالاهتمام الكافى وتواصل البحث فى الموضوع ، وتنشر عنه ما يكون به فصل الخطاب ، والا فانها تكون مسيئة الى العلم والدين ، بل مسيئة الى مدينة عظيمة ، كادت تراق الدماء فيها من أجلهما ، وأهلها يستغيثون بها ويرجون منها أن تؤيد الحق ودعائه ، وتخذل الباطل ونصرائه بقولها فى ذلك ، فان القول ما قالت « ثم يتساءل قائلا : « فهل تريد حفظها الله ، شرا بالاسلام والمسلمين ، وهى داعية الخير ، وناصره الهدى ، وقبله الدين » .

وفى مقالاته هذه التى كان يكتبها تحت عنوان « فتنة دمياط
واسبابها » (١٢ مقالة) او « المسألة الدينية فى دمياط » (خمس
مقالات) ، بالاضافة الى مقالات اخرى متفرقة ، تجد الغاياتى شجاعا
جريئا لا يخشى فى الله لومة لائم . وهذه نبذ من كلماته :

« وليعلم القراء على اختلاف مذاهبهم ان الدين بعيد عن هذه
المشاغبات والتحزبات وانما هى أمور لا يعبا الله بها ، وليست من
دينه فى شىء . وسيعلم الذين يخلقونها اى منقلب ينقلبون ، فانهم
انما يحاربون بها الدين من حيث لا يشعرون ، ونأمل من حضرة
شيخ العلماء ان يتقى الله فى دينه ونفسه وينحصر الحق حيثما
كان » (١٤) .

« اما شيخ العلماء ، فاسمه لاجل ان يحفظه جميع
القراء وهو (عبد الرحمن الخضرى) فقد أتى بشهود عريضة يرمون
الشيخ حسن . . بالكفر والخروج عن الدين ، وهم لا يعرفون ماكتب
فى هذه العريضة . . فلتطلب مشيخة الأزهر اوراق التحقيق
لمعرفة ما فيها من نوى الآراء السديدة والذمم الطاهرة ، فاذا لم يقم
الأزهر بذلك ويضرب على أيدي هؤلاء المفسدين بيد من حديد ويؤيد
الحق بكلماته ، فمن نرجوه للاسلام والمسلمين ؟ » (١٥)

« وعلى اخواننا الصحفيين البحث فى الأمر . والانتصار للحق
وأهله ولهم الأجر والحمد من الله والناس ، فليس لنا فى أصل
الرواية شىء . بيد انا نذكرها كلما صحت لدينا وندع لأنفسنا حرية
الصحافة ، فلا نراعى ولا نحابى ، وهذا مايمدحنا عليه العقلاء
المنصفون » (١٦)

« يا قومنا انصفونا وانظروا فى الامر نظرة المتأمل العاقل .

-
- (١٤) العدد ١٢٦٤ فى ٢١ مايو سنة ١٩٠٧ ، ص ٢ .
 - (١٥) العدد ١٢٦٦ فى ٢٣ مايو سنة ١٩٠٧ ، ص ٢ .
 - (١٦) العدد ١٢٦٧ فى ٢٤ مايو سنة ١٩٠٧ ، ص ٢ .

فإن رأيتم الحق بجانبنا فكونوا معنا ، والا فارشدونا الى الصواب ،
وبيّنوا خطانا بالأدلة القاطعة ، وعلينا بعد ذلك الامتثال والاذعان . .
هذا ما ندعوكم اليه ، كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نتبع الا الصراط
المستقيم ، ولا ننقسم على أنفسنا ونسفه بعضنا ، فنكون ممن غلب
هواهم هداهم فكانوا من الخاسرين (١٧) .

ثم يرى الغيايى انه كتب ماكتبه وهو « مؤمن بالله وملائكته
وكتبه ورسوله واليوم الآخر ، مؤمن بالقدر خيره وشره ، وأشهد
أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله ، - أما الزكاة والحج فلم
(يجبا) علينا الآن - ونتبع قول السلف ونسير على سيرتهم ونتعبد
على مذاهبهم ، وأنا مع ذلك نرى النبى صلى الله عليه وسلم ، أحب
الينا من أنفسنا التى بين جنبينا ونحترم كل ما جاءنا به من عند الله
تعالى ، ونعتقد أن لله أولياء لاخوف عليهم ولا هم يحزنون ، ونعظمهم
تعظيما يليق بهم ، وبالجملّة فنحن مؤمنون مسلمون بكل معانى
الايمان والاسلام » (١٨) ويبدو أنه لم يكتب ذلك الا ليحسن الناس
به الظن ولا يرموه بما هو به براء ، لذلك نراه يدعو قائلا :

« جعلنا الله واياهم من عباد الله الذين يستمعون القول فيتبعون
أحسنه ، أولئك الذين هداهم الله ، وأولئك هم أولو الألباب » .

ويعقب الغيايى على صدور الحكم ضد الشيخ حسن على
بقوله : « فهل بعد هذا نرجو تقدم الأمة بارتقاء العلم والعلماء ؟ هل
بعد هذا نعلق آمالنا بالأزهر ورجاله ونقول أئمة الدين ؟ هل بعد
هذا نؤمل اصلاح الأزهر على يد واحد من أهله ؟ كلا والله . لا ترقى
الأمة ولا يرجى من الأزهر خير ولا يؤمل له اصلاح ، مادام رؤساؤه
رؤساءه ، وأبناؤه أبناءه . سيكون فيه مثل هذا وذلك من أهل الغباوة

(١٧) العدد ١٢٩٦ فى ٢٧ مايو ١٩٠٧ ص ٢ .

(١٨) العدد ١٣٠٤ فى أول يونيو ١٩٠٧ ، ص ١ ، ٢ .

والتنطع والجمود والجهل بطرق الادارة والاصلاح ثم يرجى له خير مطلقا ؟ كلا والله . انه لايزال متقهقرا الى الوراء حتى تتحول حاله وتنقرض رجاله ويوكل أمره الى أولى الراى والنظر « (١٩) » .

أفبعد هذه الجرأة المتناهية ، والراى الحر ، فى أدق المسائل التى ترتبط بالعقيدة والدين ، لانستطيع أن نحكم على الشيخ على الغاياتى بأنه - وهو ابن الثانية والعشرين - سوف يكون له دور فى الكتابة الصحفية وفى ميدان الجهاد الوطنى ؟ ، ثم يمكنك أيضا أن تستشف عن أخلاقه الطيبة وشخصيته الكريمة ، وهو يدعو السراة والكبراء الى التبرع لهذا العالم الدمياطى ، حتى أن الشاعر خليل مطران رئيس تحرير « الجوائب » يتبرع بثلاث مرتبه لهذا الشيخ : حتى لايضام الرجل فى معاشه الى أن تعاد اليه وظيفته ، وذلك حبا فى الدين الاسلامى - وهو مسيحى - ورغبة فى تخليصه لأصله النافع الشريف السمع ، حتى لايبقى عذر لجاهل به يزعم انه مناف للحضارة والترقى « (٢٠) » .

وأخذ الكتاب يؤيدون الغاياتى فى كتاباته انتصارا للحق ، واقامة للانصاف ، ومنهم « الفيلسوف الحكيم والعالم الكبير الدكتور شبلى شميل » (٢١) ، وانهاالت رسائل القراء تحبى الجريدة وصاحبها ، لأنه أوسع صدرها الرحيب لنصرة الاسلام ، مما جعل الغاياتى يوجه كتابا مفتوحا الى فضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر الشريف ، يندد فيه بالحكم على الشيخ حسن على « حيث أن الراى العام راض عنه ، وساخت على الحكم ، ومن أصدروه » ، ثم يوجه حديثه للشيخ حسن قائلا : « لاتبتئس ولا تحزن فان الأدبيات

(١٩) العدد ١٣٠٨ فى ٦ يونيو ١٩٠٧ ، ص ١ ، ٢

(٢٠) العدد ١٣١٤ فى ١٣ يونيو ١٩٠٧ ، ص ٢ .

(٢١) مقالة بعنوان « لا سدم الحق انصارا » ، العدد ١٣١٥ فى

١٤ يونيو ١٩٠٧ ، ص ١ ، ٢ .

فوق الماديات ، ولاتهم الأخيرة مادامت الأولى محفوظة لك ، معتبرة
فى نظر كرام قومك ، وان الله معك ، وهو تعالى سيجزى
الظالمين « (٢٢) .

وقد نشر الغاياتى ماكتبه هو فى « الجوائب » ، وما استكتبه
الفضلاء فى « الجوائب » وغيرها ، فى موضوع المسألة الديمقراطية
الدينية ، فى رسالة أسماها « سيف الله الصارم » ، طبعت بمطبعة
« الجوائب المصرية » فى ٦ يناير سنة ١٩٠٨ ، وكان قد أعلن ان
قيمة الاشتراك فيها قبل النشر بخمسة قروش صاغ (٢٣) .

وقد نظم الغاياتى قصيدة جريئة وقاسية على دعاة الرجعية
- حتى ولو كانوا من علماء الأزهر - والذين كانوا يعملون فى ذلك
الوقت مع الاحتلال والسلطة لعزله عن سير الحياة ، وعن أداء
رسالة الدين الاسلامى الصحيحة ، فتراه يقول فى موضع من
قصيدته التى نشرها فى ديوانه « وطنيتى » : (٢٤) .

ياويل من عبدوا القبور وأشركوا
بإله بين قوسل وتضرع

ورأوا من العلماء تأييدا لهم
فمضسوا وما فطنوا لغى مبدع

ياقوم ان أولئك العلماء
قد جعلوا الشريعة سلما للمطامع

(٢٢) العدد ١٣١١ فى ١٠ يونيو ١٩٠٧ ، ص ١ ، ٢ .

(٢٣) العدد ١٣٦٥ فى ١٢ أغسطس ١٩٠٧ ، ص ٣ ، ولكن هذه الرسالة
غير محفوظة فى دار الكتب العامة .

(٢٤) « وطنيتى » للغاياتى ، ص ١٢٢ : ١٢٦ .

فإذا أرادوا قالحلال ممتنع
أما المحرم فهو غير ممتنع

فهلهم تنبذ رأيهم ونرى لنا
رأيا تنزه عن فساد المنزع

ونشئ غارتنا عليهم كلما
شنوا علينا غارة المتجشع

حتى نرد همو الى الاسلام
أو نذر العمائم بالمقام الأشنع

وهناك يصبح دين أحمد خالصا
لأولياء الأربيع

ويشرح الغيايتي المقصود من « الأولياء الأربيع » في الهامش ،
فيقول : « الأولياء الأربيع هم السيد أحمد الرفاعي ، والسيد
عبد القادر الجيلاني ، والسيد أحمد البدوي ، والسيد إبراهيم
الدسوقي ، رضي الله عنهم ، وهم الأربعة الأقطاب الذي يرجع اليهم
الكون والتصرف فيه ، وكل ولي يستظل بلوائهم ، كذلك قال الجهلاء »

يعلق فتحي رضوان على موقف الغيايتي بقوله : (٢٥) « وبهذه
المصفحة المبكرة في حياة على الغيايتي ، يطالعنا على حقيقته ، ثائرا
صادقا ، لا تتفجر ثورته حيث تكسبه عطف العامة أو تأييدهم ، أو
حيث يكون الصدام والصراع من جهة حكم ، أو سلطان مكروه ،
لا سند له الا سلاحه وماله وهيلمانه ، فليس أقسى على المجددين
والثوار ، من أن ينازلوا قوة تكساها الزمن وانحلال الخلق ، وفساد

(٢٥) « عصر ورجال » ، مرجع سابق ، ص ٢٠٢ .

العقيدة قدسية زائفة عند عامة الناس ، ففي معركة كهذه لا يضيع صوت الناثر فحسب ، بل يعتبر مارقا خارجا على الأمة ، ويستباح دمه ، دون أن يظفر بكلمة اشفاق واحدة ، فيجتمع عليه ظلم صاحب السلطة ، وظلم العامة والشعب » .

وإذا كان الغاياتى من المطالبين بالاصلاح الدينى ، مستنكرا للمنكرات والبدع فى موالد أولياء الله الصالحين(٢٦) ، وعن التصرفات التى يحدثها العوام فى ضريح الامام الحسين ، وكيف أنها شرك بالله أو جهل بالدين ، فهو يحذر قائلا : « فكفى وعجبا على أمة ضحكت من أجلها الأمم ٠٠ وكفى عبادة للأولياء الى هذا الحد » (٢٧) ، فهو يعلق أيضا على تلك الخرافات التى ألصقها الجهال بالمسيد البدوى ، وكيف أن الشيخ محمد عبده كان يحارب كل غريب عن الاسلام وكان له أيادى بيضاء ومآثر غراء على الدين ، وأنقذ الكثيرين من هاوية الشرك والجهل المبين : « الأمر الذى سيدوم مادام الوجود وما ارتقت المدارك والفهوم ٠٠ » (٢٨)

وفى احدى مقالات الغاياتى عن الأزهر الشريف ، يرسم لنا صورة وصفية للمكان ورواده ، لاتخلو من الجراءة والسخرية فى وقت واحد ، مما جعلنا نسردها هنا لكى يستطيع القارئ بنفسه أن يحكم على الأسلوب الصحفى فى ذلك الوقت ، يقول الغاياتى : (٢٩)

(٢٦) مقالة بعنوان « مولد النصف بدمياط » ، جريدة « الجوائب المصرية » العدد ١٤٠٠ فى ٢١ سبتمبر ١٩٠٧ ، ص ١ .

(٢٧) مقالة بعنوان « عودة الى المسجد الحسينى » ، « الجوائب المصرية » العدد ١٤٢١ فى ١٦ أكتوبر ١٩٠٧ ، ص ١ .

(٢٨) مقالة بعنوان « الكلمة الأخيرة فى المسجد الحسينى » ، جريدة « الجوائب » العدد ١٤٢٧ فى ٢٣ أكتوبر ١٩٠٧ ، ص ١ ، ٢ .

(٢٩) العدد ١٢٩٨ فى ٢٥ مايو ١٩٠٧ ، ص ١ ، ٢ .

« يمت اليوم الجامع الأزهر وأنا بين اليأس والأمل أروم مقابلة شيخه (كان حينئذ الشيخ حسونة النواوي) وأعلق عليها ما شأمت الآمال ، ولكنني أخشى أن يكون فضيلته من بقية القرون الأولى ، الذين رأسوا هذه المشيخة وهم لا يعرفون من الرئاسة إلا كما يعرف الأعمى من ضوء الشمس ، ورغما عن هذه العوامل الفكرية دخلت الجامع ، أو المدرسة الدينية الكلية كما يقولون ، فرأيت كاني انتقلت طرفة من هذا العالم الحى الراقى الى عالم آخر أقرب الى العدم من الوجود ، ورأيت أهله يتطلعون الحياة الراقية ولكنهم يسرون فى غير سبيلها القويم ، وينهبون الليالى والايام ليدركوا غايتهم فتعز عليهم وتبتعد عنهم كلما أرادوا التقدم نحوها . . . وما ذلك إلا لأنهم ينتهجون منهجا وعرا بغير دليل ولا هدى ، ويلقون بأنفسهم بين صعاب وعقاب ، لا يعلم إلا الله كيف يتخلصون من وبالها ويرجعون من حيث أتوا . . . الجامع خالي من أجناس مختلفة وكلهم يقصد أمرا واحدا ويعمل على ما يبلغه آياه . فيعود فائزا من ساقته مقادير السعادة الى الدار من بابها ، ويعود بخفى حنين من أوقعه سوء حظه فى أيدي أولئك الذين قالوا انا وجدنا آباءنا ، فتركوا القديم على قدمه ، وأسأوا الى أنفسهم وإلى الناس وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا » .

(فى القشلاق الأحمر)

ونصل الى احدى المكائد التى دبرها « حزب الضلال والجهل والحق » ضد الغاياتى ، الذى وقف ينصر الحق ، ويدافع عن دين الله الخالص ، ويؤيد الرجل الضعيف الذى قام يدعو الى الله - يقصد الشيخ حسن على فى دمياط - فاضطهد واصيب فى نفسه ورزقه ، فنصبوا للغاياتى المصائد محاولين أن يحسوا اسمه من ديوان الأحياء (٣٠) ، وترك الحديث للغاياتى نفسه ، وهو يستعيد ذكرياته فيقول : « ٠٠ وقد كنت اذ ذاك محررا بجريدة « الجوائب المصرية » فتتبع هذه الفتنة الشعواء ، وأخذت أكتب واستكتب غيرى من الكتاب منتصرين للحق ، محاربين الباطل ، فكان قولى ثقيلا على المبطلين ، فدبروا لى مكيدة تريحهم من سماع صسوتى ، وتكون انتقاما منى وعقابا لى ، على حملتى التى شاركنى فيها كثيرون من مصلحي الأمة وفضلائها ، وايدونى فى موقفى تأييدا عظيما ، أما هذه المكيدة فهى ادخالى الجيش بدعوى أننى عوفيت من القرعة العسكرية لطلب العلم ، ولم اقض المدة القانونية بعد المعافاة بدون اشتغالى بحرفة سواه ، فقدموا الى الحربية مطاعنهم وأمطروا على ادارة القرعة رسائلهم ، وأخذ التحقيق دورا يعرفه من يعرف قانون القرعة ، واستبداد رجالها وغلظتهم ، فكانت النتيجة انى (سجنت)

(٣٠) « الجوائب المصرية » ، العدد ١٤٥٩ - ٣ ديسمبر سنة ١٩٠٧ ،

بقشلاق العباسية (القشلاق الأحمر) اثنى عشر يوما (من ١٨ الى ٣٠ ديسمبر سنة ١٩٠٧) تحت التحقيق . ثم اطلق سراحي لأسباب قانونية . بعد أن عرفت سوء الإقامة في الجيش المصرى ، وأسباب النفور والفرار من وجهه . وقد نظمت قصيدة طويلة فى مدة (السجن) هذه خلاصتها ، (٣١) .

يقول النيايتى فى مطلع قصيدته هذه :

أصبر لخطب الدهر غير مضطجع
واذا رماك بما يسوءك فاخضع

واترك عداك فانهم ان يشمتوا
بك ساعة رجعوا بما لم ترجع

ما الدهر الا ساعتان فهذه
يمنن وتلك لبؤسه المتوقع

فإذا لقيت من الزمان وفاءه
يومنا فلاق العذر غير مروع

ثم تراد لا يخلو من روح الدعابة . ان يصف نفسه كأنه بطل
من أبطال الحرب فيقول :

أصبحت (رب السيف والقلم) الذى
هزم العمائم يوم أضحت لاتعى

(٣١) « وطنيتى » للنيايتى ، هامش ص ١٢٢ و ١٢٣ .

(فى صحف الحزب الوطنى)

اعتنق شاعر الوطنية والمجاهد القديم على الغاياتى ، مبادئ الزعيم مصطفى كامل ، منذ أن استمع الى خطبته الكبرى التى ألقاها بالاسكندرية فى ٢٢ أكتوبر سنة ١٩٠٧ ، وصار من تلاميذه وأنصاره الأوفياء المحافظين لعهد طوال السنين (٣٢) ، وكان من الطبيعى أن يكون الحزب الوطنى ، حزب مصطفى كامل ومحمد فريد ، حزب الجلاء ، هو الحزب الذى يكسب ثقة على الغاياتى الشاب ، فلم يكن ممكنا لشاب فى مثل حماسه التى أغرته بدخول معركة مخوفة ، كمعركة فتنة دمياط الدينية ، أن يجد فى أحزاب مصر فى تلك الايام - حزب الأمة وحزب الاصلاح على المبادئ الدستورية والحزب الوطنى - مايشبع ميله الثورى ، وطاقتة الانفعالية الفتية ، الا حزب متطرف غاية التطرف ، ولم يكن بين الأحزاب المصرية مايفوق الحزب الوطنى فى تطرفه ، بل ان العيب الذى كان يأخذ عليه عند خصومه ، أنه يبالغ فى التطرف الى حد يعنى معه عن حقائق الحياة ، والواقع الذى لا سبيل الى الفرار منه (٣٣) .

وقد عجل مزاج الغاياتى الثورى بالنتيجة الحتمية التى يقود

(٣٢) عبد الرحمن الرافعى « شعراء الوطنية » ، ط (١) (القاهرة النهضة المصرية ، ١٩٥٤) ص ٣٠٥ .
(٣٣) فتحى رضوان « عصر ورجال » ، مرجع سابق ، ص ٢٠٣

اليها هذا المزاج ، فقد بدأ ينشر في « اللواء » لسان حال الحزب الوطنى ، ثم فى « العلم » ، قصائد نارية لايهاب فيها جانب الاحتلال، ولا يقيم وزنا لمقام المحاكم أو القضاة ، ولا يجمال فيها أصحاب المقامات الأدبية كأحمد شوقى شاعر الأمير فى ذلك الحين وقبل أن تعتد له امامة الشعر ، ولا شيوخ الأزهر وهو واحد منهم .

وقبل أن نستعرض معا بعضا من هذه القصائد ، يحسن لنا أن نصف لشعر الحركة الوطنية وصلته بالصحافة ، فلقد كان الزعيم الشاب مصطفى كامل بحق باعث الحركة الوطنية فى مصر ، وقد صحب هذه الحركة طائفة من الشعراء من أهمهم اسماعيل صبرى ، وحافظ ابراهيم ، وأحمد شوقى ، وعلى الغيايتى ، وأحمد محرم ، وأحمد الكاشف ، ويمكن الحكم على شعر هؤلاء بأنه كان يسير مع الصحافة جنبا لجنب ، ويجرى مثلها مع حوادث المجتمع المصرى ولا يترك مناسبة من المناسبات حتى يكون له كلمة ، كما للنثر الصحفى كلمة ، وكثيرا ما تشترك الكلمات فى المعانى والأفكار ، كما اشتركا فى الغايات والأهداف ، أفليست الحركة الوطنية فى حاجة دائما الى من يلقي فى أتونها الوقود بين الحين والحين ، ليزداد الاتون لها ، فتزداد المشاعر قوة وسعيرا ؟ (٣٤)

ولقد كان الغيايتى بحق أحد هؤلاء ، الذى يلقي فى وقود الثورة والوطنية والاصلاح الوقود الحر الشجاع الجسور فينشـر فى « اللواء » تحت عنوان « ياحماة الدين ويحكموا » ، قصيدة يؤيد فيها طلبة الأزهر ، الذين أضربوا عن الدرس احتجاجا على عدم قبول بعض طلباتهم ، ويؤيد فيها استقالة الشيخ حسونة النواوى شيخ الجامع الأزهر من منصبه ، لما لقيه الطلبة الأزهريون

(٣٤) عبد اللطيف حمزة « مستقبل الصحافة فى مصر » (القاهرة ، الفكر العربى ، ١٩٥٧) ص ٩١ : ١١٠ .

من سوء معاملة بلغت حد جلد بعضهم فى قبلة مسجد الأزهر ،
بأمر من خليل حماد باشا رئيس ديوان الأوقاف ، يقول فيها (٣٥) .

يا حمالة النيل ويحكمو
ودعوا الدين الذى قبرا
ان ييسر الله محتسرم
كيف بات الآن محتقرا

.....
.....

خلق الظالم لهم رجلا
حارب العدل ومن عدلا
عشق الجلد وعدته
فقدوا الجلد له عملا

وعندما يصدر قانون المطبوعات المقيد لحرية الصحافة ، يقول
الغياثى تحت عنوان « صوت المصرى » (٣٦) .

لئن قيسوا منى الميراث واوثقوا
لسالى فقلبى كيفما شئت ينطق
فلا يامنوا تلك القلوب فانها
دماء اراها اوشكت تتدفق

ثم ينشر تحت عنوان « الى سمو الأمير والوزارة والامة » ،

(٣٥) « اللواء » ، العدد ٢٨٨٥ ، ١٩ فبراير ١٩٠٦ ، ص ٦ .

(٣٦) « اللواء » ، العدد ٢٩١٥ ، ٢٥ مارس ١٩٠٦ .

قصيدة من ثلاث قطع واحدة لسمو الأمير ، واخبرى للوزارة السابقة ، والثالثة للأمة ايدها الله بنصره ، ويتحدث الغيايتى أيضا عن الصحافة (٣٧) ، « فهى خير واسطة لحسن التفاهم بين الأمة والحكومة، وهى لسان شكر وعتاب ينطق بما يكره فؤاد الشعب منهما فهو عند عدل الحكومة واحسانها شاكر ممدوح ، وعند غير ذلك معاتب لائم ، ولاريب أن سمو الأمير هو رأس الحكومة الأكبر ، وأولى من يوجه اليه أمل الأمة وألمها ، وقد جاء قانون المطبوعات قاطعا لهذا اللسان ، حائلا بين الأمير وشعبه ، لذلك كان يوم ارجاع هذا القانون هو آخر العهد بيننا وبين سموه ، وقاطع حبل المودة والعتاب الذى أصبح أمره بيده الأفتدة بعد الألسنة ، على أن هذه الابيات الموجهة الى سموه هى فى الحقيقة عتاب على قطع العتاب الذى نعتبر أنه كان موجها اليه ، خاصة أننا لانعرف لنا حاكما شرعيا سواه » .

ويقول الغيايتى فى هذه القصيدة - التى سنرى فيما بعد كيف حولته الى شاعر وطنى كبير :

اعباس هذا آخر العهد بيننا
فلا تخش منا بعد ذاك عتابا
ايرضيك فينا أن نكون أنذلة
ننال اذا رمنا الحياة عقابا
ونياس من أمالنا فيك كلما
قضيت علينا أن نكون غضابا
وارضيت أعداء البلاد واهلها
واصليتنا بعد (الوفاق) عذابا

(٣٧) « اللواء » ، العدد ٢٩١٦ ، ٢٧ مارس ١٩٠٩ .

رويدك يا عباس لا تبلغ المدى
ولا تستمع للظالمين خطابا
فما يبتغى (جورست) الا مكيدة
تصول اقلام السلام حرايا
وما قد رمى (حرية القول) رمية
بسهمك تجنى للبلاد خرابا

الا امطر الله الوزارة نقمة
ولا بلغت مما تروم مراما
تحاول ان تقضى علينا باثمها
ولكن ستلقى دون ذاك اثاما
وزارة خداع اقامته بيتنا
يد الحاكمين الاثميين فقاما
وبين يديه عصبة (بطرسية)
تصوب نحو المصلحين سهامها
جنى ماجنى فى (دنشواى) وغيرها
ولم يكفه حتى استحل حراما
فقيد اقلام الصحافة عليها
اذا ابصرت سوءاته تلغامي
سلام على عهد الوزارة قبله
وان كان عهدا لا يبيح سلاما

بني مصر بشرى فالرجاء محقق
ومن عدم الأقوال رام فعلا
وهذا يراعى قليقيد قائما
لدى يراع لايهاب تضالا
سأطلقه يجرى كما شاء حده
ومن شاء فليقطع عليه مجالا
فلا تيأسوا فاليأس مجلبة الردى
وشدوا الى نيل الرجاء رحالا
ولا تفزعوا من حاكم أو حكومة
تري نشر آمال العباد ضلالا
وسيروا الى ما تأملون بحكمة
ولا تحسبوا الفوز المبين محالا
فانى لحت النصر بين صفوفكم
وأبصرت عقبى الظالمين وبالا

ويشرح لنا الغايات المقصود بسياسة الوفاق ، وهى تلك التى
أتى بها المندوب السامى البريطانى فى مصر « جورست » ، بعد
سياسة الخلاف التى ذهب بها اللورد « كرومر » ، وان كان يرى
أنه « لآخر لنا فى سياسة ما مع الاحتلال » ، أما الحاكمون الآثمون
فهم الانجليز المغتصبون ، وقد كان تعيين بطرس باشا غالى رئيسا
للوزارة خلفا لمصطفى باشا فهمى ، بمحض ارادتهم ، فهم الذين
أقاموه رئيسا للنظار ، وأصدروا أمرهم من « لندره » بذلك كما رواه
« المقطم » حين ذاك - الجريدة - وهو لسائهم الصادق قطعه الله ،

كما يرى الغاياتى ان اليأس باعث الهلاك وجالبه ، ومن يئس فقد
جهل معنى الحياة وفقد شخصية الأحياء ، ولاسبيل الى نهضة
الأمة وحياتها الا بمخالفة الامل ومحاربة اليأس ، وذلك تأكيدا لاحدى
مأثورات زعيم الوطنية مصطفى كامل « لامعنى للحياة مع اليأس .
ولا معنى لليأس مع الحياة » .

وترتفع الحماسة عند شاعرنا وكاتبنا الوطنى على الغاياتى ،
حتى أنه تنسيه كل دواعى القانون ومقتضياته - كما سنرى عند
الحديث عن ديوانه «وطنيتى» - فيوجه تحياته الى شاب هندى
ثارت فيه الحمية الوطنية مما جعله يقتل أحد حكام الهند الانجليز ،
فيقول (٣٨) : « دنجرا اسم طالب هندى كان بانجلترا ، وهو من
حزب (الفدائيين) الأحرار من الهنود الذين يحاربون أعدائهم
الانجليز بالسيف والقلم . وقد كان من أمره أنه انتهاز فرصة فى
حفلة بلوندره مكنته من قتل (السير كيرزون ويللى) الذى كان من
حكام الهند ، معتقدا أنه بذلك القتل يثار لبلاده ويعيد مجد أمته .
وقد قبض عليه ، وأجرى التحقيق معه فأبدى هذا الاعتقاد بكل
صراحة معلنا أمله فى حياة الهند بموته وموت أمثاله فى سبيل
جهادهم من أجلها ، ولما حكم عليه بالاعدام ابتسم لهذا الحكم وحياته
بسلام عسكري بكل ارتياح ، على أن هذا المذهب الفدائى العدمى
الذى أفاد فى بلد فقد لايفيد فى الأخرى ، وربما أخفق سعى أصحابه
فى بعض أغراضهم ، ولكنى أرى أن الفكرة الأولى المراد بها خدمة
البلاد ، والانتقام من أعدائها بأنجح الطرق وأفضلها ، فكرة
شريفة محترمة ، لا تشبع بها الا نفس شجاع مقدام ، بصرف النظر
عن نتائجها التى قد لايلحظ صاحبها فيها الا خيرا وأولاها ، لهذا
يجدر بأمثال هذا الطالب أن يمجدوا ، لا باعتبار عملهم الأخير ،

(٣٨) « اللواء » ، المجلد ٣٠٤٢ ، ١٩ أغسطس ١٩٠٩ .

ولكن باعتبار فكرتهم الشريفة ، وشخصيتهم الكريمة ، سواء أحسنوا
بعد أم أساءوا » .

يقول الغياثى فى تلك القصيدة بعنوان « اليه بعد الاعدام » (٣٩)

كيف أرثيك (دنجر) بمقال
يدعى القوم أنه اجرام
كنت شهما على البلاد غيورا
لم يشك الرضاء والاحجام

دفعتك الحياة للموت حتى
لم يرعك القضاء والاعدام
فقضيت الحياة مبتهج النف
س وأمضت قضاءها الاحكام
مت بالأمس والممات حياة
خلدتها لذكرك الايام
فسلام عليك والسمع جار
وسلام وفى القلوب ضرام
وسلام وأنت حى وميت
لك يهديه النيل والاهرام

(٣٩) نشر الغياثى أيضا فى ديوانه « وطنيتى » ص ٦٠ و ٦١ قصيدة
بعنوان « الى دنجر قبل الاعدام » يعترف فيها بأنه نظمها بعد اصدار الحكم
على دنجر بالاعدام ، ولكن ليس من أجل تمجيد الجريمة القانونية ،
والا أصبحت جريمة معاقب عليها ، ولكنه رثاء شخصى يقول فيه :
هنيئا فقيد الهند نلت مدى المجد وخلدك التاريخ فى مصر والهند

يافتى الهند ان النفس وجدا
كامنا تستفزه الآلام

رمت أبدية يوم موتك لكن
حال بينى وبينه الاحكام

وسيدو مع الزمان ويدرى
غافل القوم اننا لا ننام

وعندما امتنع أعضاء الوزارة البطرسية ، عن حضور جلسات
مجلس الشورى - الهيئة التشريعية لمصر آنذاك - وذلك فرارا من
أسئلة نواب الشعب ومناقشاتهم ، يلقي الغاياتى بسهام نقده شعرا
الى صدورهم قائلا تحت عنوان « الى وزارة مصر .. احتقار أم
اعتصاب (٤٠) » :

ياايها الوزراء ماذا نابكم
حتى هجرتم (صورة الثواب)

ان كان سيف الحق روعكم وقد
هتك الحجاب وصال فى الحجاب

او كان (اسماعيل) صوب سهمه
قاصاب منكم موضع الأوصاب

.....

فتلزات اقدامكم من هولها
وهرعتمو فزعاً الى الأيواب

(٤٠) « اللواء » ، العدد ٣١٦٠ ، ٦ يناير ١٩١٠ ، ص ٥ .

ورضىتموا الهرب المعيب لأنه
خير من (الافلاس عند حساب)

.....

عار عليكم ان يقال (وزارة)
لم تدر ان سئلت بيان جواب
هربت فرارا من ميادين السؤا
ل وسجلات ما سجلت من عاب

وهو يقصد باسماعيل هنا ، ذلك « النائب الحر عن مديرية
الشرقية فى مجلس الشورى (اسماعيل باشا أباطة) »
وتحت عنوان « نحن والاحتلال » يقول على الغياتى(٤١) :

كفكفى يا مصر دمع الوجيل
وارتقب يا ايل نيل الأمل
جاوز الصبر المدى والصبر لم
يبعد فيه الوجد من محتمل
كم شقاء ! كم بلاء ! كم اذى !
اى حال بعد ذا لم يحل

لكما ينشر أيضا قصيدة يختار عنوانها بدقة باللغة هي « آهة
مصرى ينوح على مصر » يقول فيها(٤٢) :

آه كم آهة وكم حشرات
آه كم زفرة وكم عبرات

(٤١) « اللواء » ، العدد ٢١٦٤ ، ١٠ يناير ١٩١٠ ، ص ٥ .

(٤٢) « اللواء » ، العدد ٢١٧٣ ، ٢٠ يناير ١٩١٠ ، ص ٥ .

طال ليل البلاد والشعب سار
لا يرى غير هذه الظلمات
ظلمات من المظالم أودت
بضياء الحياة بعد الحياة
يشتكى الشعب والقضاة خصوم
قلمن يشتكى خصام القضاة ؟
أوشك القلب أن يطير انتقاما
بيد أن الصدور ذات أنفاة ؟
ليس للصبر موطن في فؤاد
أضرمت له أوعاج الزفرات
بين جنبي مسهد مستهام
ليس يشكو هوى فتى أو فتاة
همه «مصر» خير أرض أقلت
بعد خير الهداة شر البغاة
طلع النحس بالشقاء عليها
ودهاها الزمان بالويلات
قهرتها يد الطغاة وكانت
مصر أولى بقطع أيدي الطغاة

وسنرى أيضا - فيما بعد - أن البيتين الثالث والرابع ، سيكون
لهم تاريخ في نضالنا الوطنى ، ويتفاعل الغاياتى أيضا مع أحداث
الشعب الفرنسى ، ففرنسا حينئذ تتظاهر بتأييد الكفاح المصرى ضد
الاحتلال البريطانى ، فيواسى شعبها بعد أن فاض نهر (السين)

وأغرق جانبا من العاصمة باريس ، وترتبط أحداث ذلك الفيضان مع قضية مد امتياز قناة السويس ، لتصبح الى سنة ٢٠٠٨ ، بدلا من انتهائه فى سنة ١٩٦٩ ، ويأمر الخديوى بعرض هذا الموضوع على الجمعية العمومية فى يوم ٨ فبراير سنة ١٩١٠ ، وقد أثارت هذه القضية مشاعر المصريين ، وصحفهم ، وهذا هو الغايتى ينشر أولا تحت عنوان « السين يضطرب والنيل ينتحب » قصيدة يقول فيها (٤٣) :

ما لقلب (السين) يضطرب
وأخوه (النيل) ينتدب
بلغت (باريس) غايتها
فتولّى نهـرها العـرب

ثم ينشر ثانية تحت عنوان « اليكم نواب الجمعية العمومية (٤٤) » قصيدة فى « اللواء » يقول فيها :

أرادوا بمصر محتة وبلاء
وجاءوا بكم يستعجلون قضاء
.....

لقد بات قلب الشعب سهما مصوبا
سـيمضى الى النواب أو يتنـاءى
وبـات يراع الكـاتبين مهنـدا
فا طلع من ليل المداد ضياء

(٤٣) « اللواء » ، العدد ٣١٨٥ ، ٣ فبراير ١٩١٠ ، ص ٥ .

(٤٤) « اللواء » ، العدد ٣١٩٠ ، ٨ فبراير ١٩١٠ ، ص ٥ .

.....

وها قد أتى « يوم القناة » معجلا فويل لمن « يوم القناة » أساء

والى جانب مشاركة الغاياتى فى كل الاحداث الجارية والقضايا الوطنية فانه كان يشارك فى رثاء زعماء الحركة المصرية الوطنية ، فى الذكرى الاولى لوفاة الزعيم مصطفى كامل ، ينشر تحت عنوان « رب ذكرى هيبت شجنا » (٤٥) هذا ملخص له : حددت ذكرى الفقيد المبرور ألم النفوس المستكن ، وهاجت بكل جانحة من الأشجان لا عجة ، لا يخبو لها سكير ، ولا يودأ زفير ، وانى لا ذكر يوم كنت بدمياط فى العام الغابر - ١٩٠٨ - وقد دهمنى خطب الفقيد العظيم ، فأقمت حفلات التابين الجامعة ، وأديت من الفروض الوطنية بعض مايجب لفقيد الشرق والاسلام ، واشترك خطباء المساجد يوم الجمعة وعلماء الدين وجماعة الكتاب والشعراء الكرام فى قضاء هذا الحق الوطنى المقدس ، وكان الكل مدفوعا بشعور واحد هو حب الفقيد الممثل لمعنى الوطن والوطنية ، اما المدامع والأقلام فى مصر فقد تسابقت فى ذلك اليوم العصيب بكاء ورثاء ، ولقد جاء يوم الذكرى ، فحار دمعى بين الشؤون والجفون ، كما حار يراعى بين المداد والقرطاس ، فاذا ما شاركت اليوم الأمة فى شعورها الشريف بكلمات من الشعر صادرة عن قواد محزون ، فانى لا أزال أرانى مع هذا بعيدا عما أريد من التعبير والبيان فى هذا الموقف العظيم ، .

ونرى فى هذه القصيدة ، أنها ليست سلاحا من أسلحة الوطنية فقط ، ولكنها كانت محاولة من على الغاياتى لتجديد الشعر العربى

(٤٥) « السواء » ، العدد ٢٨٨١ ، ١٥ فبراير ١٩٠٩ ، ص ٢ .

ليوائم الحياة الوطنية والاجتماعية الجديدة ، فنراه يقول : « وقد اقتفيت في قصيدتي هذه طريقة جديدة ، هي جعل القصيدة قطاعا ، كل قطعة ذات روى خاص ، وبذلك تسهل على الشاعر بعض الصعاب التي يصادفها في سبيل القافية والتزام الروى في جميع القصيدة ، وهي طريقة وسطى بين طريقة الشعر المرسل والطريقة القديمة ، وقد اخذت أن تكون القطعة سبعة أبيات فصاعدا من بحر وضرب وروى واحد ، وبهذا يصح أن تكون كل قطعة قصيدة قائمة بذاتها ، وإن شئت فهي قصائد متعددة في قصيدة واحدة ، فعسى أن يروق ذلك لشعرائنا فيقدموا على القريض ليكون صغيرهم بعد احجامه وضعفه شاعرا مقداما قادرا ، ويتسنى لكبيرهم أن يتحدى شعراء أوروبا وبياريهم في الشؤون الاجتماعية العصرية فيصبح له في كل معنى قول مأثور وأثر مشكور » .

ويعلق الغيايتى في ديوانه « وطنيتى » (٤٦) بأنه قد حادث حضرة الشاعر الكبير حافظ أفندى إبراهيم في هذا النهج من الشعر فاستحسنه ، قبل أن يبدأ بسلوكه في هذه القصيدة ، وقد وعده بالسير فيه ، كما حادث سعادة اسماعيل باشا صبرى في ذلك فاستحسن أن يكون الشعر بيتين بيتين ، ووعد باتباع هذه الطريقة في نظمه ، ولكنه لم ير لسعادته بعد ذلك الا قصيدة في رثاء (بطرس باشا غالى) ، اتبع فيها الطريقة القديمة ونشرها على غير انتظار . كما أن حافظا لم يف بوعده ، ولا يدرى الغيايتى لماذا لا تهذب طرق الشعر العربى حتى يجارى شعراؤنا شعراء الأمم الراقية ، ولا يكون لشكواهم من صعوبة الطريقة القديمة وجه حسن ، ولا لاحجامهم عن الوطنيات والاجتماعيات عذر مقبول ؟

والقصيدة خمسة مقاطع ، اخترنا منها البيتين الأولين من كل مقطع ، فيقول :

(٤٦) « وطنيتى » للغيايتى ، ص ٤٧ : ٥١ .

عجبا للقريض كيف عصاني
ولدمع دعوتيه فتناءى
كنت يوم الوفاة أول بكاء
نظم الدمع والقريض رثاء
.....

ليت شعري ماذا دهاني
جف بالامس مدمعى ومدادى ؟
ان تكسرى الفقيد بعد ربيع
جسدت رزاه بكل فؤاد
.....

أدهشتنى حياة مصر وأحيا
أملى نشوها العظيم الرجاء
عرفت واجب الوفاء وأحييت
ذكر حامى الحمى شهيد الوفاء
.....

مصر اتى أرى أمامك يوما
صامت القول ناطق الأفعال
أقتم الصدر نور القلب يجلو
بسناه وجهه المنى والمعالي
.....

أيها النيل هل تعود سريعا
ويجود الزمان بالحسنات
أيها النيل ان قومك يشكو
ن الى غير شاعر بشكاة
* * *

ولعلنا نختم هذا الفصل بتلك المقالة التهكمية الساخرة والتي نلمح فيها روح الدعابة عند الغياتى « والمنشورة تحت عنوان « لقد زاغت أبصارهم فما أجهلهم » (٤٧) وهى صورة وصفية لشاعره بعد أن سطا اللصوص على منزله فلم يجدوا شيئاً يستحق السرقة . . يقول الغياتى : « تسمع عن اللصوص المتمدينين من النوادر الدالة على بعد نظرهم وقوة ذكائهم ما يحببنا فى نكرهم وإن كرهناهم ، ويدعوننا الى الاعجاب بهم والتصفيق لحيلهم العجيبة المدهشة ، ومن سوء الحظ بل من حسنه أن لصوصنا - قاتلهم الله - أغبياء عمى البصائر والابصار يغرمهم الخبر وإن كذبهم الخبر ، وتخدعهم المظاهر فتحجب عنهم الحقيقة التى هم عنها يبحثون .

من ذلك أن اللصوص (شرفوا دارى) ليلة أمس فى الساعة الرابعة بعد نصف الليل ، فأخذوا يعالجون فتح الباب حتى أيقظتنى حركتهم وأنا مشفق عليهم أسف على اخفاق مسعاهم ، ولم يكادون يشعرون بايقادى الصباح وندائى - من الباب - حتى ولوا الأدبار وخرجوا الى الشارع بعد أن اجتازوا السلم وثبا وقفزا ، ولقد رأيتهم يجرون فى الطريق خائفين وجلين فتشجعت وضحكت عليهم مقهقها بأعلى صوتى داعيا لهم بالهداية الى سبيل النجاح ، ولست أدري ماذا يمنع هؤلاء الجهلاء من مقابلتى نهارا وزيارة منزلى وتفقد من الفرش الى العرش حتى لا يتعبوا أنفسهم ليلا ويتحملوا مؤنة الصعود والهبوط والحركة والسكون والوجل الشديد .

ثم يدعو الغياتى هؤلاء اللصوص الى مقابلاته بدون خوف فى النهار لكى يعرض عليهم ما يمتلكه من اثاث ومتاع فى « داره الكريمة » ، أما اذا كانوا من رؤساء الأدباء يريدون سرقة قصيدة أو قلما أو كتابا فليأتوا طارقين الباب باللطف لا بالعنف والشدة

(٤٧) « اللساء » ، العدد ٢٨٩٩ ، فى ١٩٠٩/٣/٧ .

وسوف يفتح لهم الباب ويكرم وفادتهم ويدير عليهم كوب الشاي
الوحيد الذى يمتلكه عليهم بالتناوب لأنهم فى رأيه « لصوفر،
شرفاء » !!

* * *

وهكذا استمر على الغاياتى يكتب فى صحف الحزب الوطنى :
نثرا وشعرا ، حتى وصل الى مرحلة يستطيع أن يجمع فيها قصائده
وخواطره فى ديوان شعر ، فكان أن خرج علينا بكتابه : « وطنيتى » ،
ولم يكن قد مضى عليه فى القاهرة ثلاث سنوات .

* * *

(الفصل الثانی)

(وطنیتی)

* تمهید واهداء

* كلمة حضرة محمد بك قريش

* كلمة الأستاذ الشيخ عبد العزيز جاویش

* مقدمة الغاياتى للديوان

* نماذج من الشعر

* الحكم على الديوان

* قضية وطنیتی

(تمهيد واهداء)

لم تتاحيف سنة ١٩١٠ ، الا وكان على الغاياتى المحرر بجريدة « العلم » لسان الحزب الوطنى بعد « اللواء » ، قد أصدر « وطنيتى » . وهو كما يقول على غلافه « مجموعة قصائد ومقاطيع فى موضوعات متنوعة وأغراض وطنية مختلفة دعت اليها النهضة الحاضرة فى مصر » (١)

وسوف نستعير هنا نصوصا بأكملها من ذلك الديوان ، الذى تمت مصادرتة من قبل الحكومة ، وأحرقت كل نسخة تقع تحت يدها ، فلقد أصبحت صفحات ذلك الديوان ، بل وحروفه ، وثائق تاريخية مصرية عديمة ، وسوف نبدأ بذلك التمهيد .

« بسم الله الرحمن الرحيم »

« الحمد لله حمدا يوافى نعمه . ويكافى مزيده . والصلاة والسلام على جميع أنبيائه وأصفياؤه والأقربين . خصوصا خاتم النبيين . وإمام المرسلين . سيدنا محمد بن عبد الله . الذى أرسله الله رحمة للعالمين . وجعله سراجا منيرا للمهتدين . ويشيرا نذيرا للناس أجمعين . فنبه الأمة من غفلتها . وأرسل بينها كتاب الله

(١) تعتمد هنا على الطبعة الأولى من الديوان ، التى صدرت سنة ١٣٢٨ هـ - ١٩١٠ ميلادية وقد صدرت الطبعة الثانية سنة ١٩٢٨ ، الثالثة سنة ١٩٤٧ ، كما سنفصل فيما بعد .

مصدقًا لما بين يديه من الكتب فأوردها موارد الحياة • وأفاض عليها
الحكمة والنور فكانت خير أمة أخرجت للناس • جاهدت في سبيل
الله حق جهاده • وقدمت النفوس والنفائس قرابين إليه تعالى •
فنصرها نصرا عزيزا • وثبت أقدامها على الحق • وأظهر دينها
على الدين كله • وكذلك يعتز الاسلام بقادته • والوطن بساتته •

« ولعمري لو اتبعنا سنن هذا الدين الحنيف • واهتدينا بهدى
القرآن الكريم لما بلغ منا الظالمون مبلغا • ولكننا أمنع شعوب الأرض
جانبا وأرفعهم جنابا » •

* * *

« ان الاسلام دين الحرية والمساواة والاخاء • وهو رسول
السلام العام • وشارع الديمقراطية والدستور • وبالجمله هو
مثال الوطنية الصادقة والحكومة الصالحة » •

« ولا ريب أن أنجح دواء لمصر وهى خير البلاد الاسلامية انما
هو احياء معالم الدين الاسلامى بين ربوعها • واقامة شعائره فى
ديارها • فوالذى نفسى بيده ماوجبت سبيلا أدنى الى الحياة
الخالدة • والمجد الأسمى من سبيل النبى صلى الله عليه وسلم » •

« فمن شاء لمصر من أبنائها مقاما كريما • وخيرا عميما •
فليكن رائده الاسلام وامامه القرآن • ذلك طريق الوطنية القويم •
ومنهجها الآمين • والله نر الحزب الوطنى فقد فطن الى ذلك وحث
فى المبدأ الخامس من مبادئه الشريفة على نشر المبادئ الدينية
الصحيحة بين الأمة » •

« فوفق اللهم قومنا إلى اتباع دينك • وسدد خطواتنا فى
سبيلك • وصلى وسلم على عبدك ورسولك النبى الامى سيدنا محمد

وعلى آله وصحبه والتابعين • واهدنا الصراط المستقيم • صراط
الذين انعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين - أمين » •

وتستطيع ان تتحسس على نزعة على الغايات الدينية الاسلامية
القوية من ذلك التمهيد الصغير ، وكيف أنه يرى أن الحزب الوطنى
سلم فى مبادئه بتلك العقيدة الشريفة ، فلا أمل لمصر بدون الاسلام
دينا ، والقرآن دستورا ، ثم نراه بعد ذلك يقدم ديوانه الى زعيم
مصر ورئيس حزبها الوطنى محمد بك فريد ، والى الأستاذ الشيخ
عبد العزيز جاويش رئيس تحرير لسان حاله ، جريدة « العلم » ،
وهذا هو النص الثانى الذى اخترناه من « وطنيتى » وكان تحت
عنوان :

« أهداء الكتاب »

« أقدم بين يدي كتابي هذا كلمة أزفه بها هدية خالصة لوجه الوطن الكريم وأبنائه المخلصين • باعثا به الى ذلك الروح السابح في فضاء الابدية • المشرف على مصر وبنيتها من سماء خلوده • داعي الشعب الى النهضة في حياته • وباعث الحياة فيه يوم مماته • شهيد الجهاد • فقيد البلاد « مصطفى كامل باشا » •

« أمطر الله رمسه اليمون شابيب رحمته ورضوانه • وأحله في جواره الأمين مكانا عليا • وبعد • فأتنزل من عالم الأرواح الى عالم الأشباح • رافعا « وطنيتي » بيد الاخلاص الى امامي الوطنية بعد ذاك الامام • وناشرى لواء الحرية وعلم السلام • متممى شرعة النهضة الغابرة • وقائدي زمام الحركة الحاضرة • رئيسي الحزب الوطني ونحير لسان حاله حضرتي محمد بك فريد والاستاذ الشيخ عبد العزيز جاويز » •

« ثبت الله أقدامهما في مواقف النصر وكان لهما وليا مرشدا »

« ان هذا الكتاب الذي أهدي اليهما ان هو الا عنوان شعور نفسي تعهداه فسمما • وأمداه فنما • وما أنا منهما الا » •

(كالبحر يمطره السحاب وماله

فضل عليه لأنه من مائه)

« فاذا ما أثنيت عليهما كان ثنائى ثناء تلميذ معترف بمالهما

عليه من حق التربية وواجب الارشاد . واذا ما اثنيا على كان
ثناؤهما ثناء استاذ مرب حكيم يريد أن يبلغ بتلميذه شأوا من
الفضل عاليا فلا يزال به مشجعا مرغبا حتى يصل الى غايته فائزا
بمرجو آماله . ومبرور أعماله .

« كذلك كان شأنى وشأنهما فى هذا الكتاب . وكذلك هما يربيان
لمصر ابناء أوفياء . ويبذلان فى سبيلهما القويم ماشاءت كبار
الآمال . ولا ييخلان بعزیز الحياة تفانيا فى حب الوطن وعزته .
ورغبة فى حياة الأمة وسعادة البلاد . »

* * *

« فلئن حييت لأ نصرن مبادئ الحزب الوطنى نصرا .
ولأ طلعن فى دياجى الخطوب من حياتى فجرا . ولأ جودن بالنفس
يوم تدعو البلاد للأمر حرا . بل لأغيرن ان استطعت وجه التاريخ
الحديث فى مصر تغييرا تخزله جبابرة الظالمين سجدا . ويكون
خشية وفرقا . ويرفع الوطن المفتدى رأسه مهلا مكبرا منصورا ان
شاء الله . »

« فطب نفسا أيها النيل وسر عذبا صافيا . فما كلمتى هذه
كلمة فرد واحد من أبنائك واصفيائك . وانما أنا مرسلها من شعور
فائض بحبك والوجد عليك . وانه لشعور له فى قلوب نشئك مكان
مكين . وكم يانيل من فتى اسكته اليوم التفكير وسينطقه غدا
العمل . »

(اذا اليوم ولى فراقب غدا)

فان غدا لناظره قريب)

« وما أمر الساعة الا كلمح البصر أو هو أقرب . فاصبر
الصبر الجميل وحسبك الله ونعم الوكيل . »

« احد جنود الحزب الوطنى »

« على الفياتى »

(كلمة حضرة محمد بك فريد)

وهذا هو النص الثالث الذى نأخذه من ديوان « وطنيتى »
للغاياتى ، وهى كلمة زعيم الحزب الوطنى محمد بك فريد ، والتى
بسببها سيدخل السجن ستة أشهر مع النفاذ - كما سنرى فيما بعد -
وكانت تحت هذا العنوان :

« تأثير الشعر فى تربية الأمم »

- « الشعر من أفضل المؤثرات فى إيقاظ الأمم من سباتها وبعث
روح الحياة فيها . كما أنه من المشجعات على القتال وبعث حب
الأقدام والمخاطرة بالنفس فى الحروب . ولذلك نجد الأشعار
الحماسية من قديم الزمان شائعة لدى العرب وغيرهم من الأمم
المجيدة كالرومان واليونان وغيرها » .

« وليس من ينكر أن الانشودة الفرنسية التى أنشأها الضابط
الفرنسى « روجيه دى ليل » وسميت المرسيليز^(٢) كانت من أقوى
أسباب انتصار فرنسا على ملوك أوروبا الذين تألبوا لاختفاء روح
الحرية فى مبدأ ظهورها » .

« لذلك كتب الكاتيون منا كثيرا فى ضرورة وضع القصائد

(٢) يقول الغاياتى فى « وطنيتى » ص ٦ ، أن خلاصة تاريخ المرسليير
مذكورة فى مقدمته بعد .

والأغاني الوطنية ليحفظها الصغار ويترنموا بها في أوقات فراغهم .
ولينشروها في ساعات لعبهم بدل هذه الأغاني والانشيد التي
يردها أطفال الأزقة ، خصوصا في ليالى شهر رمضان المبارك ، كما
كتبوا في لزوم تغيير الأغاني التي تنشر في الأفراح وكلها دائرة
حول نقطة واحدة هي الغرام ووصف المحبوب بأوصاف ما أنزل الله
بها من سلطان » .



« لقد كان من نتيجة استبداد حكومة الفرد سواء في الغرب
أو الشرق أمارة الشعر الحماسي ، وحمل الشعراء بالعطايا والمنح
على وضع قصائد المدح البارد والاطراء الفارغ في الملوك والأمراء
والوزراء ، وابتعادهم عن كل ما يربى النفوس ويغرس فيها حب
الحرية والاستقلال ، كما كان من نتائج هذا الاستبداد خلو خطب
المساجد من كل فائدة تعود على المستمع حتى أصبحت كلها تدور
حول موضوع التزهيد في الدنيا والحض على الكسل وانتظار
الرزق بلا سعى ولا عمل » .

« تنبعت لذلك الأمم المغلوب على أمرها ، فجعلت من أول
مبادئها وضع القصائد الوطنية والانشيد الحماسية باللغة الفصحى
للطبقة المتعلمة ، وباللغة العامية لطبقات الزراع والصناع وسواهم
من العمال غير المتعلمين ، فكان ذلك من أكبر العوامل على بث روح
الوطنية بين جميع الطبقات » ويسرني أن هذه النهضة المباركة سرت
في بلادنا فترك أغلب الشعراء نظم قصائد المديح للأمراء والحكام ،
وصرفوا همهم واستعملوا مواهبهم في وضع الأشعار الوطنية
وارسالها في وصف الشؤون السياسية التي تشغل الرأي العام ،
وقد لاحت « وطنيتي » في طليعة هذه النهضة الميمونة الرشيدة » .
« ومما يزيد سروري أن شعراء الأرياف وضعوا عدة

أناشيد وأغان في مسألة دنشواي ومانشأ عنها ، وفي المرحوم مصطفى كامل باشا ومجهوداته الوطنية (٢) . وفي موضوع قناة السويس ورفض الجمعية العمومية لمشروعها . وأخذوا ينشدونها في سمرهم وأفراحهم على الاتهم الموسيقية البسيطة . وهي حركة مباركة ان شاء الله تدل على أن مجهودات الوطنيين قد أثمرت ووصل تأثيرها الى أعماق القلوب في جميع طبقات الأمة ، وتبشر باقتراب زمن الخلاص من الاحتلال ومن سلطة الفرد باذن الله .

« فعلى حضرات الشعراء أن يقلعوا عن عادة وضع قصائد المديح في أيام معلومة ومواسم معدودة . وأن يستعملوا هذه المواهب

(٢) وجدنا أمثلة لذلك فعلا في صحف تلك الفترة ، وهذا موال عن الزعيم مصطفى كامل باشا كان يردد في أرباب مديرية الغربية ، نشرته جريدة « اللواء المصور » والتي كان يصدرها حسين الخادم على المبادئ العشرة لرئيس الحزب الوطني ، في العدد ١٢ ، الصادر يوم ٢٨ مايو ١٩٠٩ ، ص ٣ : « ويش بعد حكم المحافظ والشاويش والباش - غلايين واسجه كرومر محربه للباش - راحم على دنشواي لم خلم نفر ولاخوه - اللي أنشنا انشنا واللى انجلد جلدوه - يوم شنا زهران كانت صعبا وإفاته - كان له اب شديد يوم الشنا لم فانه - ظهر لنا يا ناس لنصر الدين مصطفى باشا كامل - وآل يا عم حسين البرنس أنا أروح بلاد لنجليز وتكلم كلام كامل - آل له روح مانخفش غير السياسة وكلام الحق متقولشي - سافر السبع مستناش عزم كبار لنجليز وخلاشي - آل هاتو القضايا وهاتوا القوانين با حكام - علشان نفر مات خربتو البر وبلادنا - جيتم كرومر وزير جاحد لبلادنا - آلوا طلبك ايه يا مصطفى باشا بالعجل فيدنا - طلب مكافئة لأهل اللم صرفوا له - طلب طلوع الساجين من السجن كتبوا له - طلب طلوع كرومر من البر ختموا له - ارتد فرحان واحد وثلاثين يوم والبشوات يباركو له - رجع ساوه مات يا ميت ندامه عليك يا مصطفى باشا » .

الربانية في خدمة الأمة وتربيتها بدل أن يصرفوها في خدمة
الأغنياء • وتمليق الامراء • والتقرب من الوزراء • فالحكام زائلون
والأمة باقية • والسلام على من سمع ووعى • ووفق لخدمة بلاده
وسعى • فان سعيه سوف يرى • ثم يجزاه الجزاء الأوفى » •

(الامضاء) (٤)

« محمد فريد »

(٤) يقول الفايدي في « وطنيتي » ص ٨ ، ان هذا التوقيع قد أخذ
بالزنكوغراف عن خط يد فريد بك نفسه ، وكذلك توقيع الأستاذ الشيخ
عبد العزيز الدبلة به كلمه التالية .

(كلمة الأستاذ الشيخ عبد العزيز جاويش)

أما تقرّظ الشيخ جاويش رئيس تحرير لسان حال الحزب الوطنى « العلم » لكتاب الغاياتى « وطنيتى » ، والذى ستقرأ نصه حالا ، فقد أدى به الى دخول السجن أيضا كالزعيم محمد فريد ، ولكن لمدة ثلاثة أشهر فقط « حبسا بسيطا » كما سنفصل فيما بعد ، وهذه هى كلمته والتى كانت تحت هذا العنوان :

« الشعر والشاعر »

« قد يتوهم بعض المتشاعرين أن الشعر هو تلك الجمل الموزونة ذات الروى الملتزم ، فتراهم أجرا ما يكونون فى تقصيد القصائد والانتساب الى دعوى الشعر معتمدين على جهل كثيرين بأسرار الشعر ومزاياه وشرائط صحته وكماله عالين أن الأدب قليل أهله الذين يميزون بين الخبيث والطيب ويدركون دقائق الفروق التى بين الأبيات العامرة والأبيات الغامرة . لاسيما فى هذا الوقت الذى ضعفت فيه ملكة اللغة العربية . اذ طرا على العرب من العجمة المتفشية ما أصبح معه الذوق بعيدا عن السلامة . وتأليف العبارات اُحوج ما يكون الى الاستقامة » .

« اذا شئت أن تعرف جيد الشعر فدع عنك تفاعيل البحور والتزام الحروف ومحسنات الألفاظ واعتبر بما يتركه فى نفسك من الأثر . فان أحسن الشعر ما يملك قلبك حتى تفرغ منه . كما أن

أجمل الصور ما يملك بصرك حتى يغييب عنه • إذا شئت أن تعرف
الفرق بين الشعر المطبوع والشعر المصنوع فإن شعرت وقت سماعه
كأن معانيه أرواح تناجيك • والفاظه تكاد تخرج من فمك • فذلك هو
المطبوع • وإن ذهبت أغراضه بقلبك مذهب شتى ولم يجل في
السمع ديباجته وتنسيقه • فذلك المصنوع الذي لا يرد عكر معينه
إلا متشاعر جاهل أو شاعر مأجور • وكيف يجل الشعر ويلذ
استماعه إذا خرج من قلب لا يتأثر ونفس لا تنفعل ؟ وهل الشعر إلا
مرآة يرى فيها آثار الانفعالات النفسية التي تقوم بنفس واضعه ؟

« قال عبد الملك (ه) لأرطاة بن سبهة كيف أنت الآن في شعرك ؟
فقال : والله يا أمير المؤمنين ما أطرب • ولا أغضب • ولا أرغب •
ولا أرهب • وما يكون الشعر إلا من نتائج هذه الأربع »

« ليس الشعران يعن الشاعر فيما وراء الحقائق من الصور
الوهمية • أو أن يسلك سبيل الاغراق في المدح والذم • فانما
الشعر تصوير ما يدور بالذهن من الصور • فكما أن أمهر المصورين
ليس ذلك الذي يؤلف بين الأجزاء المتنافرة ، أو الذي يرسم على
الورق ما لا يطابق شيئاً من حقائق الأشياء الخارجية ، بل هو ذلك

(ه) بشرح لنا الغاباني في ديوانه صفحة ١٠ ، من هو عبد الملك بن مروان
خامس خلفاء بني أمية ، ولد سنة ٢٦ ومات سنة ٨٦ هجرية ، أما أرطاة بن
سبهة فهو شاعر فصيح شريف في قومه صادق كريم ، وهو معدود في طبقات
الشعراء الاسلاميين في دولة بني أمية : لم يسبقها ولم يتأخر عنها ، وله مع
عبد الملك مواقف مذكورة ، وهو القائل :

رايت المرأ تاكله الليالى كاكل الأرض ساقطة العديد
وما تبغى النية حين تسالى على نفس ابن آدم من مزيد
واعلم انهما سستكر حتم توفي نثرهما بأبى الوليد
وكان يكنى بأبى الوليد ، رحمه الله تعالى .

الذى يعمد الى أحد الكائنات فيصوره ، مجيدا (تظليله) حتى يذيل الى رائيهِ كأننا ينظر الى ذلك الكائن الثابت في الخارج . كذلك أمهر الشعراء من يأتى الى الحكم والقضايا الصادقة فيبرزها الى السامع بعبارات تصبى الالباب اليها وتدفع المستمع الى العمل بمقتضياتها » .

« وماذا على الشاعر بعد أن يوفى شعره قسطه من الصديق وثاقب الرأي سوى أن يجيد تأليف العبارات ، ويحكم مطابقة المعانى بعضها ببعض ، فانما الشعر كالتوقيع واللحن ، فكما أن اللحن لا يخف على السمع الا اذا تناسبت الأجزاء التى يأتلف منها . كذلك الشعر اذا لم تأتلف عباراته ولم تتناسب معانيه كان صمما للأذان ، وغمة لنفس الانسان » .

« ومن شاء أن يرى نموذجا من الشعر جمع بين رقة الألفاظ وجزالة المعنى وألف بين أحكام التأليف وصدق العبارة ، فليقرأ شيئا من « وطنيتى » ، ومن شاء فليسال عن آثارها تلك الهمم الناهضة . والنفوس المتوقدة . والعزائم الصادقة . فانها من غراسها وجميل ثمارها » .

(الامضاء)

« هيد العزيز جاويش »

(مقدمة الغاياتى للديوان)

هذا هو النص الخامس الذى نأخذه بحذفيره من « وطنيتى » لعلى الغاياتى ، وهى المقدمة التى كتبها فى احدى وعشرين صفحة من الديوان ، تاركين لنا حرية التعليق عليها بعد ذلك ، وسوف نثبتها هنا مع هوامشها أيضا ، لما فيها من معلومات تاريخية وبلاغية :

« لست بقائل فى نعت الشعر وتأثيره فى النفوس وتربية الأمم بأكثر مما قال القائلون • وكتب الكاتبون • وحسبى ما حليت به صدر (وطنيتى) من جمل ماثورة ، ودرر منثورة • سطرها يراع قائدى الحركة الوطنية فى مصر • وخير معبرين عن الشعور وتأثير الشعر فى العواطف ونهضة الشعوب • ولكنى أرى مصر وهى الغنية بشعرائها الوطنيين فى هذه الايام تكاد تكون أفقر أمة فى هذا الصدد وأعوز الشعوب جميعا الى الشعر والشعراء. » •

« أجل ان مصر لشديدة الحاجة الى شعراء يكون اذا بكت • ويبسمون اذا ابتسمت • وهم فيما بين ذلك ينفثون فى النفوس من روحهم ويبدئون فى الأمة من شعورهم • حتى يشربوا القلوب حب البلاد • ويستمطروا مدامع الوجد عليها • والكلف بها • هنالك تنهض الهمم • وتتوقد العزائم ، وتعمل النفوس الحرة الأبية على كسر أغلال الظلم وسحق أصفاد الاستبداد • هنالك تتربى فى النشء روح الحمية الوطنية • والغيرة القومية • فما هى الاعشية أوضحاها

حتى يبلغ الشعب بقوة شعوره وارادة شعرائه مستوى الشعوب الحية
ويدرك شأن الأمم الحرة . وفى ذلك فليتنافس المتنافسون » .

« ان الشعراء فى كل أمة هم عنوان حياتها ومقياس رقيها .
فمتى انصرفوا عن مواقف الجد ، واستحبوا الغى على الرشيد ،
وانساهم رنين الكؤوس . أنين النفوس . وشجى الألحان . شقى
الأوطان . وسماحة الجميل . سماجة (الدخيل) . وهوى الفتاة .
هدى الحياة . ومأمل العطاء مكنم البلاء . ومربع الأمراء . موقع
الأرزاء . والمدح والهجاء . والنصح والوفاء ، فقد حقت عليهم
كلمة الخزى والعار . وكانوا لبلادهم ويلا وحربا » .

« ومتى صرفوا مواهبهم فى خدمة الأمة وتخليد مجدها ،
أصبحوا عنوان عزها ومطلع سعادتها . كذلك كان شأن الشعراء فى
كل جيل » .

« فليت شعري أين شعراء مصر ؟ لقد كثر عددهم وقل مددهم .
انه ليوشك ألا يكون منهم عند ذكرى الوطن الأسيف من يقف موقف
المدافع المهاجم يقتحم الصعاب ويهزم الخطوب . يحارب الآلام
ويصافح الآمال . يهز العرش اذا ماشاء . ويدك المسطور اذا
ما أراد . يبني لقومه بسنان قلمه مجدا باقيا . وينشر عنهم فى الملأ
ذكرا عاطرا » .

« فأين شعراء مصر ؟ بل أين الشعراء فى مصر ؟ ألا انهم عند
تلك الذكرى لقليل ، ولذى ذلك الموقف العظيم لأقل » .

« ليت شعري هل يستطيع أفراد من الشعراء لا يجاوزون
أصابع اليد عدا ولا ينكرون البلاد الا قليلا أن ينهضوا بالأمة النهضة
الأمولة ويبلغوا بها الدرجة المرجوة ؟؟ »

« ليس من العار أن يقتل أكثر شعرائنا على الشهرة اقتتالا
ثم ننظر فقلما نرى لهم فى مواقف الوطنية مجالا ولا مقالا ؟ أليس
من المخجل أن نقيم المظاهرات وننشئ الجمعيات ونسير فى سبيل
الحرية والاستقلال سيرا حثيثا ثم لانعرف لنا نشيدا وطنيا يذكره
الزارع والصانع والتاجر والكاتب وسائر طبقات الأمة جماعات
ووجدانا ؟ بماذا نعتذر وبماذا نجيب وبيننا الشعراء القادرون
والكتاب المفكرون ؟ اننى لا أعتب بهذا القول على جماعة الأدعياء
الذين يريدون أن يصعدوا الى السماء بغير مرقاة والذين جعلوا
ديدنهم الطعن والتشهير بكل ناظم وناثر ولا يكادون يذكرون سواهم
بخير . فماهم بأمر ذى بال فأعتب عليهم ولو كان لهم بين الأمة
حسنة تذكر للكان لهم حظ من هذا العتاب . وإنما أنا عاتب على
خيرة الشعراء وصفوة الكتاب الذين يعلمون حاجة الشعب الى
التشجيع بمأثور القول من القصائد والمقاطيع الوطنية والأغاني
والأناشيد الحماسية . ثم لا يؤدون هذا الواجب الوطنى المقدس .
ويمحون هذه النقطة السوداء من صحيفة النهضة الحاضرة المرجوة »
« أجل اننى أعتب عليهم كثيرا وأرجو أن يكونوا فى طليعة
المجاهدين الاحرار من اخوانهم وأبناء شعبهم الوطنيين . وماذلك
عليهم بعزيز » .



« أما بعد . فهذه مجموعة صغيرة أتيت فيها على مجمل ما نظمته
فى الحوادث السياسية الخطيرة منذ أوائل سنة ١٩٠٨ الى أوائل
سنة ١٩١٠ ، متتبعا فى قولى سير الحركة الوطنية ، مشرفا على
مشاهد النهضة الحاضرة فى هذا المدة من سماء الحزب الوطنى
فى (اللواء) ثم فى (العلم) ، ولا ريب انها أدنى سماء يشرف
منها المؤرخ السياسى والكاتب الوطنى على أدوار الحركة الوطنية
وأطوارها فى مصر » .

« لهذا أرانى فيما نظمت ناطقا فى أكثر المواضع بلسان الراى العام • ممثلا شعور الامة أقرب تمثيل • بيد أنى قد يدفعنى شعورى الخاص فى بعض المواقف الى الجهر بما لا يحب الجهر به بعض الناس • وذلك لأننى لا أستطيع حكم عواطفى كثيرا فى مثل هذه الشؤون المثيرة للوجد الكمين • العلنة للسر المكنون • وأرى مما لاطاقة للنفس على احتماله فى هذه الحال اضممار الحقائق الظاهرة • ومغالطة الحس ومكابرة الواقع • والباس المسائل ثوب الرياء والنفاق • لذلك أسير فى بعض أقوالى بتأثير هذا الشعور • ولا أبالى وقد أرضيت الوجدان وأبدت الحق الصراح بما عساه بعد ذلك أن يكون • هذا خلقى فى كثير مما نظمت • وسيكون خلقى فى جميع ما سأنظم ان شاء الله » •

« أما منزلتى فى الشعر والحكم على باعتبارى شاعرا ، فهذا مالا عناية لى به ولا اهتمام لى بشأنه • وما الأمر فيه الا بيد الأجيال المقبلة وحدها ان شاءت كنت لديها من المدسنيين • وان لم تشأ فلا حرج عليها • على أننى لا أعنى فى قولى الا بابداء شعورى الخاص وشعور الراى العام وابرار ماتدعه الحوادث الهامة فى النفوس الوطنية من آثارها فى صورة ترضاهما عامة الشعب ولا تأباهما خاصته • ولست بمدع أنى أستطيع أن أسبح فى بحار الخيال وأخلق فى أجواء المجاز كما يفعل غالب الشعراء ، الا أننى أضرب عن ذلك صفحا وأعمد الى الحقائق السهلة ، والمعانى المألوفة فأصوغها فى صور مناسبة من القول • كلا فما أنا بقائل ذلك ولا مدعيه لنفسى وانما أنا مرسل من الشعر بين قومي مايطمئن اليه قلبى • وتشعر به نفسى • ثم يكون للحوادث راويا • وللتاريخ واعيا • وللعامه منبها • وللخاصة مذكرا • هذا ما أقوله عن نفسى • ولا يكلف الله نفسا الا وسعها » •

« ولقد أضلنى ما أضل الشعراء من قبل فطرقت فى بسوء

محاولتى النظم موضوعات لاخير فيها للبلاد ولا نكر للأمة والوطن ،
وقد جئت بشيء منها فى ذيل هذا الكتاب ليكون مثالا رادعا يرى
فيه القارئ صوراً تقريبية تمثل طبائع أكثر الشعراء . وتقدر
أمالهم فى الحياة . وتكشف النقاب عما تسوله لهم أنفسهم .
وتوحيه اليهم شياطينهم . أما عذرى فى ذلك ، ان حاولت الاعتذار ،
فذاك أننى كنت فى معزل من الحركة الوطنية لا أعرف من أمرها
شيئاً . وحسبى أنى ولدت فى مدينة (دمياط) ونشأت فيها بين قوم
كرام غير أنهم (محافظون) يعبدون الحكام كأنهم آلهة يحيون
ويميتون . ثم لا يكادون يذكرون الوطن والوطنية على الإطلاق .
ولقد بقيت فيهم حتى ناهزت الثانية والعشرين من العمر ثم غادرتهم
أسفا مسرورا ميمما القاهرة (يوم الخميس ٤ أبريل سنة ١٩٠٧)
على أنهم لا يزالون الإقليلا - من نشئهم المأمول - أبعد العباد عن
نكر البلاد .

« هذا عذرى . وهذه خلاصة قولى عن نفسى . وتلك (وطنيتى)
أقدمها الى امتى . . وهى باكورة أقوالى وفاتحة كتبى . والله كفيل
بتحقيق أملى فى مستقبل عملى . وهو ولى العاملين . ونصير
المخلصين » .



« بقى على أن أذكر فى ختام هذه المقدمة شيئاً عن (المرسلين)
وهو النشيد الفرنسى الشهير الذى أتى على ذكره رئيس الحزب
الوطنى فى كلمته . ولقد رأيت أن أتابع ذلك بذكر أنشودتين جميلتين
ومنظومتين وطنيتين ، أولاهما : تلقن لصغار الأطفال بفرنسا .
وثانيتها : تهيج الشجون وتجري الشؤون . وتحبب الى النفوس
الجهاد حتى الممات فى سبيل الوطن المقدس . وهى لرجل فرنسا
وشاعرها الكبير (فيكتور هوجو) ليكون ذلك نموذجا يراه شعراؤنا

فينسجون على منواله ، ويربون الأمة من أطفالها الى كهولها على
حب الوطن وتمجيد الوطنيين بجميل أشعارهم وبديع أناشيدهم .
وقد توخيت في ذلك نشر النص الفرنسي حرصا على سمو معناه
وبلاغة مبناه ، مستعينا على فهم مالم أفهم من مقرداته وتأليف
عباراته ببعض اخواني المتشبعين بمعرفة هذه اللغة الراقية .
الواردين مناهلها العذبة الصافية . جعلهم الله ذخرا للوطن وعونا
للوطنيين » .

(المرسلين - La Marseillaise)

« هبت الأمة الفرنسية في أواخر القرن الثامن عشر بعد الميلاد ونهضت نهضة الليث القوي عاملة على الخلاص من قبضة الحكم المملوكي الظالم الذي سامها الخسف والهوان . وأثقل كاملها بالضرائب والمغارم . ساعية دائبة وراء الحرية والاخاء والمساواة »

« وكان ملك فرنسا في ذلك الحين (لويس السادس عشر) مستسلما لارادة حاشيته الظالمة . وزوجته المستبدة المسرفة (ماري انطونيت) تلك المرأة النمساوية بنت ملك النمسا (فرنسوا الأول) التي ولدت في (فيينا) وتزوجها ذلك الملك الضعيف ، فأصبحت ملكة لفرنسا . وقد كانت حمقاء عدوة للإصلاح والانصاف . وكانت تحتقر الشعب الفرنسي الكريم وتعامله معاملة ياباها الحر وتعافها النفس الشريفة ، وهي التي دفعت زوجها الملك الى مصادرة الأحرار والوقوف في وجوههم ، فلما اشتدت الأزمة وحمل وطيس (٦) الثورة كتبت الى أبيها مستنجدة مستجيبة ، فلم تغنها تلك الجيوش الأجنبية والجنود الجرارة المنتصرة للملوكية ، بل كان الغلب للأمة والنصر العزيز لفرنسا الحرة . وقد سجنّت هذه المرأة الطاغية ثم لقيت حتفها بآلة الاعدام - المقصلة - في (١٦ أكتوبر سنة ١٧٩٣)

(٦) الرطيس : الثور ، وحمل وطيس هذا الامر الى اعتد واشتعلت

ناره .

ولحقت بزوجها الذى ناله مانالها ، ودالت دولة البغى والطفيان •
ولكذلك عاقبة الظالمين » •

« وليتها وهى أجنبية غريبة عن العائلة المالكة كانت تحترم
ارادة الشعب الذى يحترم ارادتها ويقي حكومتها بأمواله ورجاله
من حادثات الليالى وطوارق الخطوب ، ولولا لما استقرت للحكومة
قدم فى الوجود • ولما تجلت ملكة أو اعتز ملك بأبهة الملك وعظمة
الدولة • بل لولا الشعب لثلت العروش • وانتزعت التيجان من
الرؤوس • وحل بالحكومة الويل والهوان » •

« لم تتدبر هذه الملكة الظالمة فى أمرها وسارت فى الأمة سيرة
الملوك المطلقين • والحكام المستبدين • فقابلت احسان الرعية
بالكفران • مستعزة بسلطان الملك • مضلة بشياطين الملوك » •

« وكانت ترى انها مالكة الرقاب ومقدرة الأرزاق - كما يرى
بعض الحكام فى هذه العصور - فاستحقت غضب الشعب • وياويل
الحكومة من غضب الشعب • وكانت عاقبة أمرها الهلاك والدمار » •

« قامت الأمة قومة واحدة تدفع العار عن نفسها وتشيد للوطن
مجدا بانخا وعزا منيعا • فأرادت دول الظلم وأنصار التقهقر
مصادرة الأمة ومحاربتها • وضربت جيوش النمسا
على شاطئ نهر (الرين) أمام تلك المدينة العظيمة العريقة فى
فرنسياتها ومجدها التليد (ستراسبورج) (٧) وكان بهذه المدينة منذ
حدثت مسألة الحرب حركة وطنية استمرت نحو ستة أشهر فكانت

(٧) عاصمة الألزاس التى استولت عليها ألمانيا فى حرب السبعين ،
وانتزعتها من يد فرنسا وهى قلعة محصنة على نهر الراين ، وبها ساعة
فلكية كبيرة .

جماعات المتطوعين ، و فرق الشباب المشتعلين غيرة ووطنية ، تفد اليها من باب ، فى حين أن جماعات المحاربين كانوا يذهبون للقتال والنزال من باب آخر . وكما أن هذه المدينة كانت ساحة للحرب ، فقد كانت مع ذلك مسرحا مائجا بالشيبه وأنواع الابتهاج وجميل المناظر . وكانت تختلط ضجة آلات الحفلات والاعياد . وكان الأصدقاء يتلاقون ويتعانقون قائلا بعضهم لبعض : (الوداع . الوداع) وكانت الأخوات تبكى والأمهات تصلى وتبتهل . والآباء يقولون للأبناء (اذهبوا وموتوا لأجل فرنسا) .

« قال (اسكندر دumas) الذى ننقل أكثر ما هنا عن روايته (الكونتس دى شارنى) : كل هذا كان تحت دقات الأجراس ورعود المدافع . وكأن هاتين الآلتين كانتا تكلمان الله تعالى مستمطرة احدهما رحمته . راجية الأخرى عدله ، »

« وفى بعض المرات العظيمة استدعى عمدة هذه المدينة الشباب المتطوعين الشجعان لوليمة أقامها لهم ليؤاخذ بينهم وبين ضباط الحامية . وكانت ابنتا العمدة وجماعة من رفيقاتهما الفتيات جالسات فى صدر هذه المائدة ليزدنها زينة ويضاعفنها شعورا وشرقا . وكان بين الحاضرين شاب له شأن عظيم وهو ضابط فى الهندسة الحربية مقيم فى حامية (ستراسبورج) لا يتجاوز عمره عشرين عاما . وكان شاعرا مؤثرا وموسيقياً مبدعا . وكان صوته الرنان من أعظم الأصوات التى ترتفع بالحماسة والوطنية ، ذلك هو (روجيه دى ليل - Rouget de L'isle)

« ولقد كانت هذه الحفلة أعرق فى الفرنسية وأكثر فى الوطنية من كل حفلة سواها . وكانت تلك المائدة مضاعة بأسطح شمس بزغت فى شهر (يونيو سنة ١٧٩٢) ولم يكن أحد فى الحاضرين ينكر نفسه

بل الكل مشغول بذكر فرنسا والموت فى سبيلها • وماكان هذا الموت
الا موتا جميلا مبتسما •

« وقد أرادوا أن يتغنوا بأنشودة جديدة حماسية وطنية ، بدل
الأنشودة الفرنسية القديمة التى كانت للهياج والغضب والحرب
الأهلية » •

« أرادوا أن تكون أنشودتهم الجديدة وطنية أخوية ، مهددة
للأجنبى ، منذرة للعدو ، يترامى سامعها عند ذكرها بين المدافع
والقنابل » والقواضب « غير هياب ولا وجل ، فهب من بينهم ذلك
الضابط العظيم (روجيه دى ليل) قائلا : (انا لها • انا لها) ثم
اندفع خارجا وبينما أوشك القوم أن يقلقوا لغيابه من بينهم عساد
اليهم بعد نصف ساعة منتصرا على الشعر والموسيقى ، مرتميا
شعره على ظهره ، متناثرا عرق جبينه وهو يلهث(٨) من المعركة التى
اصطلى نارها بين الاختين الجليلتين : الشعر والموسيقى ، حتى
انتصر عليهما ، فقال لهم اصغوا الى جميعا • وكان على ثقة من
شاعريته وتأثير شعره ، فلما سمعوا صوته توجهت أنظارهم اليه
ووقفوا له اجلالا • وكان البعض أخذا قدسه فى يده والبعض
ممسكا بيده يدا أخرى مرتجفة • فابتدأ (روجيه) بالمقطوعة الأولى
وما كاد ينتهى من توقيعها حتى أخذت القوم هزة الوطنية ، ودوى
المكان بصيحاتهم • ولكن أصواتا أخرى دعتهم الى الاصغاء
فأصغوا ، فاستمر (روجيه) فى لحنه وشعره مرسلا من القلب الى
القلب رسول الوجد والأنين حتى وصل الى المقطوعة الأخيرة فأنشدها
بصوت عال ونغمة مهيجة بعد أن اضطر الى أن يطلب من سامعيه
الذين لم يتمالكوا أنفسهم من الانفعال والهياج أن يسمعوا له • وقد
كان فى هذا الصوت مهددا متوعدا • فصاح الكل صيحة التأمين

(٨) لهث الرجل : أعيا وتعب ، وبابه قطع •

والمبايعة على نصرة الوطن • ودفع الآباء أبناءهم الذين يستطيعون المشى الى الأمام ورفعوا الأمهات صغار أولادهن الذين لم يبلغوا درجة اخوتهم على أذرعهن ليكونوا جميعا فداء الوطن المقدس • فشعر (روجيه) حينئذ بأنه تنقصه مقطوعة تكون غناء للأطفال ولحنا جليلا لرجال المستقبل • وكان القوم يرددون بين المقطوعة والأخرى ، مقطوعة صغيرة خاصة بالترديد والترجيع ، فتركهم (روجيه) يرددون نغماته الرنانة ، وأسند رأسه الى يده ، ولم تصل هذه الضجة وأصوات التحبيذ بينه وبين ما أراد ، فصنع المقطوعة التي رامها وأنشدها بين عبرات الأمهات وزفراتهن ، وصيحات الآباء وأعجابهم ، فلم يسمع عند ذاك غير أصوات الأطفال الصغار التي كانت ترد عليه برقتها وصفائها بين الأنات والصيحات ، ولما أفاق القوم قال بعضهم : (ألا نغفو عن أولئك الذين ضلوا سواء السبيل منا ؟) فقال (روجيه) : هذا ما لا أنساه • وأنشد مقطوعة مقدسة تمثل روح فرنسا الطاهرة وإنسانيته وعظمتها وجلالها ، قال فيها : « أيها الفرنسيون المحاربون الأقوياء • حولوا طعناتكم • وتجاوزوا عن هؤلاء الضحايا المساكين الذين تسلحوا ضدكم بالحسرة والندم ، وكان التصفيق يقاطعه والأصوات من كل جانب مرددة كلمة العفو والصفح عن المستعبدین المدفوعين مكرهين ضد أمتهم » •

« ثم أنشد مقطوعة أخرى ضج لها المكان ، واشتعلت القلوب نارا ضد الظالمين والذين شاركوهم فى الجناية طائعين مختارين من أبناء فرنسا الخائنين ، أولئك الذين فقدوا الرحمة ومزقوا ثدي أمهم البارة • وبعد أن ردوا عليه قال : - الآن يجب أن تركعوا جميعا كيفما كنتم - فركعوا أجمعين ، وبقي وحده واقفا واحدى قدميه على كرسي أحدهم لكانه يضعها على الدرجة الأولى من هيكل الحرية والمجد ، وقد رفع ذراعيه نحو السماء ، وأنشد المقطوعة الأخيرة ، فدوى المكان بصوت واحد قائل : (هلموا فقد نجت فرنسا) وارتفعت

كلمات اللعن والغضب على الظلم والاستبداد ، وعلى أثر ذلك أسكر القوم باعث السرور ، وأخذهم جنون الفرح ، فارتمى كل واحد في أحضان جاره . وأخذت الفتيات الأزاهير بملء يديها ، ونظمتها طاقات جعلت منها أكاليل عند قدمي (روجيه) وكتب الله النصر والظفر لهؤلاء القوم المجاهدين الأحرار ، وكان هذا النشيد خير باعث على الجهاد ، ومشجع على مواقف القتال والانتصار . وكما أنه عمل لحرب جيش (الرين) وعرف باسم (نشيد حرب جيش الرين) فقد كان أيضا نشيد اخاء وائتلاف واتحاد ، ولما كان أهل مرسيليا Marseillais هم أول من حملة الى باريس ، ولقنوه لأهلها، فقد أخذ اسمهم وانتشر في جميع أنحاء فرنسا باسم (المرسليين) .

« أما القطعة الأولى من هذا النشيد الوطني المؤثر فهذا نصها بالفرنسية ، وهذا شعاع من ضوء معناها الساطع » : -

« هلموا يا أبناء الوطن فقد لاح يوم المجد »

« ان أعداءكم رفعوا ضدكم علم الظلم الدامي . فهل تسمعون أصوات هذه الجنود المتوحشة بين أحيائنا ؟ »

« لقد أصبحوا بين ذراعينا يذبحون أولادنا ورفاقنا »

« أما رد القوم على كل قطعة فهذا نصه أيضا بالفرنسية » . .

« آي . السلاح السلاح يا بني الوطن . كونوا صفوفكم ولنسر الى الامام . الى الامام . وليرو دمعهم الفاسد أخاديد(١) أرضنا » .

« وهذا نص المقطوعة الأخيرة التي أنشدها (روجيه) والقوم راكعون » : -

« آي . يا حب الوطن المقدس . أشدد أزرنا . وقو سواعدنا

(١) الأخاديد : جمع أخدود ، وهو الشق المستطيل في الأرض .

المنتقمة • أيتها الحرية • أيتها الحرية العزيزة حاربى مع المدافعين
عنك • وليسارع النصر تحت أعلامنا الى اجابة ندائك العالى وصوتك
القوى • ولينظر أعداؤنا المنحرون انتصارك ومجدنا العظيم »

« فليت شعرى • أى شعب يسير فيه مثل هذا النشيد • ويأخذ
بفؤاده هذا التأثير وحب الحرية • ثم لا يكون خير الشعوب وأرقاها ؟
وأية أمة ينالها مانال فرنسا فى هذا العهد من الظلم والارهاق ،
ثم لا تكون عقباها السعادة الدائمة • والحياة الخالدة ؟ » •

« الا انه مما لا ريب فيه أن الحكومة كلما انتهجت منهج الجور
وسلكت سبل العنف فتحت من حيث لا تدرى للأمة أبواب الحرية
الواسعة • وهدتها طرق السعادة المنشودة : والضغط لامحالة
محدث الانفجار » •

« فطوبى لأمة تقوضت فى ديارها دعائم العدل • ووقف حكامها
لها بكل سبيل وقفة الذئاب أمام الشياه • فنظرت ذات اليمين وذات
الشمال مستجيبة مستعيزة فما رأت غير ظلم وظلام • يأخذ أموالها
الحاكم المستبد باحدى يديه • ويسومها سوء العذاب باليد الأخرى •
فهو يجيعها ليشبع • ويفقرها ليغنى • ويذلها ليعتز ! ، ثم يسد
فى وجهها مناهل العلم ، لتنفسح أمامه مناهج الظلم ، حتى اذا
مارفعت رأسا أثقلته المظالم • او فتحت عينا أغمضتها رؤية الظالم •
او شكت وبكت ، ثم استرحمت واستنصفت ، كانت الطامة الكبرى
عليها • والويل الأعظم لها ولايزال هذا حالها مع حكامها حتى تفيض
الكأس • ولاتجد النفس طاقة لها على ما احتملت ، ويرتفع بين
الأمة صوت الآباء • مرددا قول أبى العلاء (١٠) : —

(١٠) هو أبو العلاء المعرى ، احد فلاسفة الاسلام الكبراء وشعرائه
الحكماء ، ولد فى مرة النعمان بالشام سنة ٣٦٣ ، ومات سنة ٤٤٩ هجرية ،
رحمه الله .

مل المقام فكم اعاشر امة
امرت بغير صلاحها امراؤها
ظلموا الرعية واستجازوا كيدها
فعدوا مصالحها وهم اجراؤها

« هنالك تشرق شمس الانتقام . وتأخذ الشعب نشوة الانتصار
وترى الناس سكارى ، وماهم بسكارى ، ولكن يوم الظالمين يوم
عصيب . هنالك يغير الله حالا بعد حال ، وتستوى الأمة على
عرشها . تدير دفة الحكم بيدها ، وتسير القضاء العدل بارادتها .
هنالك ينادى منادى الحكومة الأهلية الدستورية العادلة بصوت
داو فى أرجاء البلاد أن « لا ظلم اليوم . لا ظلم اليوم » .
« تلك عاقبة جور الحكومات . وصبر الأمم . وكذلك كان شأن
فرنسا . وانها لذكرى لمن كان له قلب . أو ألقى السمع وهو شهيد »
« هذه خلاصة ما أرويه وأبديه فى تاريخ (الرسليين) وموضوعه
الخطير . أما الأنشودتان الأخريان فهما :

الأنشودة الأولى (فرنسا – La France)

« ومغزاهما ما يأتى :

(فرنسا جميلة • مباركة الحظوظ • « فلنحى » لأجلها ولنعش
متحدين •

يابنى فرنسا اجتازوا الجبال • واعبروا البحار • وجولوا
فى أطراف العالم بعيدين عنها • ثم انشدوا لها • فرنسا جميلة •
مباركة الحظوظ ... الخ)

« هذه أنشودة صغيرة لطيفة يتناولها كما يتناول كثيرون من
أمثالها أبناء فرنسا فى طفولتهم • ولا يكادون يصلون الى سن الشبيبة
أو الكهولة أو الشيخوخة حتى يتناولوا من أناشيد شعرائهم وقصائد
أدبائهم على اختلاف درجاتهم ما يشد عزائمهم ويقوى سواعدهم
ويحيى نفوسهم على حب الوطن والتغنى بذكره • فهل لأطفالنا أو
لشباننا أو لكهولنا وشيوخنا من شعرائنا مالهؤلاء السعداء من
شعراء ؟ وهل لمصر مالفنسا من حياة الشعر الوطنى وفهضة
الشعراء الوطنيين ؟ » •

الأنشودة الثانية (الوطن - La Patrie)

« وهذه خلاصة وجيزة عما يرمى اليه مغزى هذه الأنشودة السامية المؤثرة من المعانى الوطنية الكبيرة التى لاتستطيع لغة غير لغتها • ولا أسلوب غير أسلوبها أن يبرز أسرارها • ويبين معانيها كما هى للقارئين » : -

د الا ان الذين يموتون اتقياء فى سبيل الوطن ليستوجبوا وفود الجماهير اليهم حافين من حول نعشهم مصلين راجين •
« ان أسماءهم بين أجمل الأسماء وأجلها لأجل وأجمل » •
« كل مجد لا محالة زائل اذا قيس الى مجدهم العظيم الدائم » •

« ان صوت الشعب بأكمله ليهزم فى قبورهم هزة حنو وانعطاف ، كما تهز الأم ولدها » •

* * *

« المجد لفرنسا وطننا الدائم • المجد للذين ماتوا لأجلها » •
« المجد لأولئك الشهداء الأبطال الأقوياء » •
« المجد للذين يشعلون بنار الغيرة والحمية قلوب المقتدين بهم »
« المجد لأولئك الذين يريدون أن يتبعوا مكانا عاليا فى الهيكل المقدس » •

« المجد للذين سيموتون مثلهم فى سبيل الوطن » .

* * *

« ليرتفع (البانتيون)(١١) السامى فى علاة فوق (باريس)
مدينة الحصون العديدة » .

« والبروج المشيدة . ملكة بلادنا التى كأنما لنا منها
(التير) (١٢) و (بابل)(١٣) العظيقتان » .

« ليرتفع لأولئك الأموات الذين لا يزال خيالهم موضع التحية
والترحيب » .

« لترتفع لهم أكاليل العمدان التى كلما اشرقت عليها شمس
الصباح » .

« جددت طلاءها العسجدى فزادها نورا وجمالا » .

« المجد لفرنسا وطننا الدائم . المجد للذين ماتوا لأجلها . . .
الخ » .

(١١) هو بناء عظيم انشئ فى باريس عاصمة فرنسا وسمى باسم
الشارع المثل عليه ، وشيد على قمة الجبل القديم المسمى (سانت جون فييف)
ليكون كنيسة ، فلما حدثت الثورة جعلوه مدفنا لكبار الرجال وكتبوا عليه
(الوطن يعترف بالجميل لرجال العظماء) ثم عاد كنيسة ، وأخيرا رجع لدفن
العظماء بمناسبة موت (فيكتور هوجو) صاحب هذه الأناشود سنة ١٨٨٥ .
(١٢) اسم مدينة قديمة عظيمة من مدن فينيقيا ، مشهورة بالتجارة
والصناعة .

(١٣) بابل عاصمة كلدانيا القديمة ، وهى مشهورة بالمباني والأعمدة
الفخمة ، وهى من أكبر المدن وأفناها فى الشرق ، معروفة بأسوارها الهائلة
وحداقتها المرتفعة على القصبان ، وهى من أعاجيب العالم ، وكانت قائمة
على نهر الفرات ، فلما استولى بعض الملوك عليها حول الفرات الى جهة
أخرى ، وذلك سنة ٥٣٨ قبل المسيح ، وقد بادت .

« ألا انه حينما يمسي أمثال أولئك الأموات في مضاجعهم عبثا
يحاول النسيان وهو ليل حالك يغيب فيه كل ما يهبط اليه أن يمر على
قبورهم التي تنحنى أجلا لا واعظاما لها والتي لأجلها يشرق كل
نهار وهو أسطع نورا وأعظم أمنا عليها » .

« ألا ان المجد فجر دائم متجدد يزيد نكرهم سنا . وقدرهم
سنا . ويحلى أسماءهم برونقه الذهبى الجميل » .

« المجد لفرنسا وطننا الدائم . المجد للذين ماتوا لأجلها ...
الخ » .

« كذلك كان شاعر فرنسا العظيم (فيكتور هوجو) (١٤) يمجد
شهداء الوطنية وخدام الأمة ، وكذلك يجب على الأمم أن تمجد
أبناءها الذين قدموا حياتهم فداء للوطن وحبا فى خلاصه من أيدي
الظالمين . يجب عليها أن تترنم بذكراهم وتخلد تاريخهم بين الصحائف
والقلوب . ثم ترفع لهم تماثيل العظمة والجلال . معلنة بذلك حبهم
واخلاصهم لبلادهم . معلية قدرهم وخطرهم فى العالمين » .

« ان الحرية ليست منحة ولا هبة من ملك أو أمير ، بل هى
حق طبيعى للشعوب ، متى دبت فيها روح الاباء والاستقلال أخذته
بالقوة القاهرة من أيدي مغتصبة . وقدمت فى سبيله النفس والنفيس
فهؤلاء الذين يحاربون أعداء الحرية بالوسائل النافعة وينتقمون

(١٤) ولد هذا الشاعر الذى انتصر للحرية واحيا ذكر شهدائها
سنة ١٨٠٢ فى احدى بلاد فرنسا (بزنسون) وازام ايطاليا واسبانيا وباريس
فى طفولته . وكان يقول الشعر وعمره عشر سنوات ، ولما كبر اقام فى باريس ،
والتحق بمجاسمها العلمية الكبرى ، وسمى المدافع عن الحرية . ولما جاء
دور انقلاب الحكومة ترك باريس فى ديسمبر سنة ١٨٥١ ولم يعد الا فى ٤ سبتمبر
سنة ١٨٧٠ وبقي بها حتى توفى سنة ١٨٨٥ وكانت جنازته عظيمة لم يكده يسبق
لها مثال ، وقد دفن فى (الباتيون) .

منهم ، ثم ينالون الموت من يد ظالمة ، وهم فى سبيل جهادهم سائرون • أولئك الذين رضى الله والشعب عنهم ، ووجبت لهم الكرامة الدائمة ، والذكرى الخالدة ، وكان على الأمة أن تتمثل خيالهم ، مرحبة به محيية له • وعلى شعرائها أن ينهجوا منهج هذا الشاعر الكبير فى تمجيدهم واجلالهم •

« فحيا الله فرنسا ، فقد أفاضت على الأمم من معين الحرية عذبا زلالا • وجاهدت فى سبيل الوطنية جهادا وعت القلوب ذكره • وأشربت النفوس حبه • فعسى أن نكون على آثارها مهتدين • وعلى منوال شعرائها ناسجين ، حتى نغدو بنصر الله فائزين • والله مع الصابرين » (١٥) •



وإذا كان لنا من تعليق على هذه المقدمة ، فنحن نرى أولا أنها كانت تحتوى على دستور حياة على الغاياتى نفسه ، خلقا ، وعلما ، ووطنية • • قبل أن تكون قبل أى شىء آخر مقدمة مؤلف لكتاب أو لديوان شعر أو لقصة قام بها •

فهو يرى بأن الشاعر يجب أن يكون مبديا للحق مهما كانت العواقب والنتائج ، وأن يكون ناطقا بلسان الراى العام ، ممثلا لشعور الأمة أقرب تمثيل ، كما أنه لايجد حرجا عندما يكون الواجب نحو قارئه ، أن يعترف له بأنه يستعين بالعلماء والمتخصصين فى أى فرع من فروع المعرفة الانسانية واللغات الأجنبية •

(١٥) نشر على الغاياتى بعد ذلك صورته تحت عنوان (رسم المؤلف موسما بتوقيعه) ص ٢٢ من « وطنيتى » أسوة بما فعل مع (رسم حضرة محمد بك فريد) و (رسم حضرة الأستاذ الشيخ عبد العزيز جاويش مقلدا وسام الشعب) ص ٨ •

وهو يلقي بضوء كشاف أمام قرائه ، ليشعروا بالوطنية الحققة ، فهو يحذر الحكام الذين يرون بأنهم يملكون الرقباب ويقدرّون الأرزاق ، من غضب الشعب الهادر ، ويرى بأن الحرية ليست منحة ولا هبة من ملك أو أمير ، بل هى حق طبيعى للشعوب ، متى دبت فيها روح الأباء والاستقلال ، أخذته بالقوة القاهرة من أيدي مغتصبيه ، وقدمت فى سبيله النفس والنفس .

وإذا كان الغاياتى يرى بأن أقاليم مصر كانت بعيدة عن التفاعل مع تيار الحركة الوطنية (سنة ١٩٠٧) ، فى وقت لم يكن فيه من دور مؤثر على المواطنين سوى الكلمة المكتوبة عن طريق الصحافة والكتب ، حيث لم تكن هناك إذاعة أو تليفزيون ، فلقد استطاعت هذه المؤثرات الاعلامية الأولى أن تظهر أثارها الايجابية ، حتى كانت قممتها مشاركة كل فئات الشعب فى كل مكان على أرض وادى النيل العظيم ، يوم وفاة مصطفى ثم يوم تفجرت الثورة المصرية (سنة ١٩١٩) بقيادة الزعيم سعد زغلول .

وان كانت هناك من أمانى وطنية تظهر فى مقدمة « وطنيتى » للغاياتى ، فهناك أولا أمنيته الخاصة بأن يكون شعراء مصر على مستوى الأحداث القومية ، فينفثون فى النفوس من روحهم ، ويبثون فى الأمة من شعورهم ، حتى يشربوا القلوب حب البلاد ، ويكون اذا بكث ، ويبتسمون اذا ابتسمت ، ثم هو يتمنى أن يكون لنا نشيد وطنى يذكره الزارع والصانع والتاجر والكاتب وسائر طبقات الأمة جماعات ووجدانا ، لذلك فقد قام الغاياتى بوضع « نشيد وطنى عام » (١٦) ، بداخل الديوان ، ويقول أنه من بحر سهل التلحين ، وقارب بينه وبين أفهام الشعب على اختلاف طبقاته ، وبذلك أراح

(١٦) ديوان « وطنيتى » ، ص ١١٦ .

وجدانه ، بأداء هذا الواجب الوطنى المقدس ، ويقول فى مطلع النشيد
والذى ستقرأه بكامله ، بعد صفحات قليلة :

نحن للمجد نسـير
ولنا الله نصـير
ليس يثينا نـذير
عن بلاد تسـجير
وعباد فى حداد

وبعد عشر سنوات من وضع الغاياتى لهذا « النشيد الوطنى »
- أى فى سنة ١٩٢٠ - وكان الغاياتى وقتها مهاجرا بسويسرا ،
تألفت لجنة لترقية الأغانى الوطنية ، وقد أختارت هذه اللجنة «نشيد
وطنى » للبلاد ، وكان من وضع أحمد شوقى (أمير الشعراء)
والذى يقول فيه (١٧) :

بنى مصر مكانكم تهيا
فهيا مهدوا للملك هيا
خذو شمس النهار حيا
الم لك تاج أولكم مليا

وأخيرا ، فإننا نرى تأثير الثورة الفرنسية ، ونشيدها الوطنى
(المرسلين) ، واضحا على فكر الغاياتى ، حتى أنه يطلب من

(١٧) عبد الرحمن الرافى ، « شعراء الوطنية » ، مرجع سابق ،

شعرائنا أن ينظموا شعرا وطنيا خالصا ، لأطفالنا وشبابنا وكهولنا
أسوة بفرنسا ، ولاغرو في ذلك ، فلقد سبقه ، ملهمه ، وزعيمه
مصطفى كامل ، حين توجه الى مجلس النواب الفرنسي ، سنة
١٨٩٥ ، يطالبه بأن تكون لخير عضو يساعدها على استرجاع
حريتها واستقلالها ، كما عاونت من قبل أمريكا وإيطاليا واليونان
وبلجيكا ، على نيل حريتها (١٨) .

(١٧) عبد الرحمن الرافعي « مصطفى كامل » ، مرجع سابق ، ص ٥٢ .

نماذج من الشعر

إذا كان هذا الديوان - كما يقول الغاياتى فى مقدمته - مجموعة صغيرة أتى فيها على مجمل ما نظمه فى الحوادث السياسية الخطيرة منذ أوائل سنة ١٩٠٨ الى أوائل سنة ١٩١٠ ، متتبعا فى قوله سير الحركة الوطنية ، فلقد تعرضنا لبعض هذه القصائد ، والتي نشرها فى جريدة « الجوائب المصرية » ، أو فى صحف الحزب الوطنى « اللواء » و « العلم » ، وسوف نسجل هنا بعض نماذج هذا الديوان والتي لم نتعرض لها من قبل ، وذلك بنصوصها الكاملة ، مع هوامشها أيضا التى كانت حافلة بتاريخ مصر الوطنى ، ثم نتعرض بعد ذلك لأمثلة من باقى القصائد تبعا لأهميتها .

« طيف الوطنية » (١٩)

فى سلام الليل حاربت المناما
فسلاما أيها الطيف سلاما
مرحبا بالزائر السارى الى
مضجع الحب يحيى المستهاما
ليست شعرى هل رأى فى مضجعى
شبحا يشكو الى الله السقاما ؟

(١٩) « وطنيتى » للغاياتى ، ص ٢٣ - ٢٤ .

وهل اللمع الذى أغرقنى
كان عند الطيف دمعا أم ضراما ؟

وهل النجم الذى أرصده
ابصر الزائر فى عيني فهاما ؟

كل شيء بات عندي مغرما
أينما أبصرت الفيت(٢٠) الغراما

أيها الليل ترحل أو أقم
فسواء كنت نورا أم ظلاما

لست أشكو الهجر من فائنة
تشتكى مثلى ولوعا(٢١) وهياما

نحن صنوان(٢٢) قضينا حقبة
فى ربوع النيل نستندى الغماما

تبصر الفيض(٢٣) بمصر جاريا
يبد أن القوم يشكون الأواما(٢٤)

ظما قاض(٢٥) ونيل فائض
ودموع جارت السحب انسجاما(٢٦)

(٢٠) وجدت .

(٢١) أى كلفنا وميلا شديدا .

(٢٢) اخوان .

(٢٣) النيل .

(٢٤) حر العطش .

(٢٥) مهلك

(٢٦) أى انسكابا وسيلانا .

وَعَسَدَاةُ مَلَكُوا الْأَمْرَ وَلَمْ
 يَحْفَظُوا لِلشَّعْبِ فِي حَقِّ نَمَامَا (٢٧)
 وَوَلَاةُ أَقْسَمُوا أَنْ يَسْجُدُوا (٢٨)
 كُلَّمَا رَامَ الْعَدَا مِنْهُمْ مَرَامَا
 رَبِّ مَاذَا يَصْنَعُ الْمَصْرِيُّ أَنْ
 جَاوَزَ الصَّبْرَ مَدَى (٢٩) الْمَصْدَرُ فَقَامَا ؟
 طَالَ يَوْمُ الظُّلْمِ فِي مَصْرٍ وَلَمْ
 تَسُدَّ بَعْدَ الْيَوْمِ لِلْعَدْلِ مَقَامَا
 هَلْ يَرَى الْمُحْتَلُّ أَنَا أُمَّةٌ
 مَذْ عَرَفْنَا السَّلَامَ لِأَنْدَرَى الْخَصَامَا ؟
 أَوْ يَرَى الظَّالِمُ قَيْنَا أَنَّنَا
 نَحْمِلُ الْخُسْفَ (٣٠) وَلَا نَبْغِي انْتِقَامَا ؟
 زَعَمُوا زُورًا فَمَا مِنْ أُمَّةٍ
 سَامَهَا الْعُسْفَ (٣١) ظُلُومٌ ثُمَّ دَامَا
 إِنَّمَا الشَّعْبُ الَّذِي يَرْجُو الْعَلَا
 لَيْسَ يَرْضَى مِنْ أَعَادِيهِ اهْتِضَامَا (٣٢)
 كَتَبَ النَّصْرُ لِشُعْبٍ قَاهِضٍ
 فِي سَبِيلِ الْمَجْدِ لَا يَخْشَى الْحَمَامَا

(٢٧) اللام ما لا يحل انتهاكه من الحرمات .

(٢٨) يخضعوا .

(٢٩) المدى الغاية .

(٣٠) أى اللل . .

(٣١) أى الظلم . .

(٣٢) أى ظلما .

((قضية ذكرى دنشواي)) (٣٣)

« الى ناظر الحقانية » (٣٤)

(قبل الحكم على الشيخ عبد العزيز)

حكمت فلم تتصف وقلت فلم تصب
ورمت مراما دونه الله والناس

(٢٢) ديوان « وطنيتي » س ٦٢ - ٦٤ ، وقد حدث مسألة دنشواي في ١٢ شهر يونيو سنة ١٩٠٦ ، ويوم ذكرها هو يوم تنفيذ حكم الشنق والجلد على عبد الله المظلومين ، وهو يوم ٢٨ من هذا الشهر .

(٢٤) كتب في « اللواء » حضرة الشيخ عبد العزيز جاويز يوم ذكرى دنشواي في ٢٨ يولية سنة ١٩٠٦ مقالة انهى فيها باللائمة على قضاة دنشواي ومحاميها مناجيا ارواح شهدائنا الابرار مثيرا بعلمه المؤثر ما كمن في القلوب من وجد وسجن قهق من صوب اليهم سهام قلمه ورفع قضية عليه مطالبيا بتعويض مالي (١٠٠٠٠) جنيه بدعوى انه لهين (شرفه) وهبت النيابة العمومية ناهجة نهج هذا البعض محاسبة الكاتب على ما نشر مدعيه انه اهان القاضيين العادلين في دنشواي (بطرس باشا غالي وفتحى باشا زغلول) واصبحت المسألة في يد القضاء المستقل ولكن ناظر الحقانية (رشدي باشا) سافر اذ ذاك الى الامستانة ودار بينه وبين أحد الصحافيين هناك حديث رجح فيه الحكم على الشيخ عبد العزيز ثم ارسل خطابا الى الجريدة التي نشرت حديثه وهي (الكورديه) مصححا بعض ما ورد فيه فلما أتى على سؤال المراسل . هل يحكم على الشيخ جاويز ؟ استبدل الترجيح (بالتأكيد) وكان لهذا الحديث أثر سوء في مصر وقد أمطر البرق والبريد رسائل الاستياء منه والاحتجاج عليه آلافا مؤلفة على جريدة « اللواء » وسائر الجرائد الوطنية . ونشر « اللواء » الصادر يوم الثلاثاء (١٧ رجب سنة ١٢٢٧ - ٣ أغسطس سنة ١٩٠٩) نص الحديث والخطاب المشؤمين .

وبحت بأسرار «الوزارة» معلنا
وأبديت مالم يبد «غالى وعباس» (٣٥)
فاغضبت فى مصر القضاء وأهله
وارضاك أن يرضى خوون ودساس
فلا تك بعد الآن للعدل مؤثلا
فغيرك بعد الآن للعدل حراس
وحارب بسيف الظلم من شئت بيتنا
فغاية ما يغنى من الظلم افلاس
لعمرك ما (قصر الدويارة) نافع
إذا انتبه المظلوم واحتدم الباس (٣٦)
وهيهات أن تخشى وعيدك بعدما
نهضنا مع الآمال وانهزم الياس (٣٧)

* * *

(٣٥) أى أن رئيس الحكومة السابق وأمير البلاد لم يبدى ما أبداه
ناظر الحقائق من التهمج على استقلال القضاء والحكم على متهم لم ينظر
قضيته بعد وهما أرفع شأنًا وأعظم خطرا وإذا ساغ لأحد ما ساغ لرشدى
ناشا كانا أحق بذلك وأولى .

« (٣٦) البأس العذاب أو الشدة فى الحرب .

(٣٧) انهزام اليأس أول واجب على الشعب الذى يجاهد فى سبيل
الحياة ، ويكون له أمل فى الاستقلال . ومتى نهض مع الآمال وتعلق بالمالى
فهيهات هيهات أن يخشى وعيد موعده أو تهديد مهدده واستبداد مستبد .

« بعد الحكم » (٣٨)

يا ليت شعري هل بدا	ففى مصر يوم أقمتم (٣٩)
وجنى العباد جناية	فاهتاج شر مضرم (٤٠)
حتى تحارينا الحكو	مة عندما نالسم
وتسومنا (٤١) سوء العقو	بة حينما نسترحم
والله يعلم أنفسنا	لقضائنا نستسلم
لسم نجس ذنبنا نستبيد	بح به ذماما يحرم
والظلم كل عشيقة	يغشى البلاد ويدهم (٤٢)
والقوم فى غفلا هم	والظالمون همو همو

(٣٨) بعد أن حكم قاضى محكمة عابدين الجزئية على الأستاذ الشيخ عبد العزيز بالفراغة رفعت القضية بصفة استثنائية الى المحكمة الابتدائية فحكمت عليه يوم الاربعاء (٩ شعبان سنة ١٣٢٧ - ٢٥ أغسطس سنة ١٩٠٩ ، الساعة ١٢ والدقيقة ٤٠) بالحبس البسيط ثلاثة أشهر وكانت الجلسة تحت رئاسة القاضى (باغوص بك أوغويان) الذى رقى بعد ذلك الى وظيفة قاضى بالمحكمة المختلطة ، ووافق يوم تعيينه بها يوم خروج الأستاذ من سجنه ، ص ٦٥ : ٦٦ من « وطنيتى » .

(٣٩) مظلّم .

(٤٠) أى حاج شر متقدّم .

(٤١) تجازبنا بمقايها وترغمنا على احتماله .

(٤٢) بمعنى يغشى .

لم يكفهم صبر الكرا وقضوا على (عبد العز

م فاقسموا أن يبرموا (٤٣) يز) بحكمهم وتحكموا

* * *

يا ساكن السجن الكري
حكموا بسجنك قبل ما
فعبست عند قضائهم
هم توجوك بتاج مجب
حسدوك أو جهلوا علا
ما السجن للشرفاء الا
فاصبر ولا تحزن اذا
وقاس (٤٦) بالعلماء والعظم
انت البريء ومن يخسا
والشعب حولك نا هض
يهديك فى سجن الكرا

م واثت نعم الاكرم
حكم القضا أن يحكموا (٤٤)
ودخلت سجنك تبسم
سد خالك وتهكموا (٤٥)
ك ومثلهم لا يعلم
رفعة وتنعم
حسم القضاء المبرم
ساء انك منهمو
لك (٤٧) مجرما هو مجرم
متسالم يتسالم
م تحيية ويسلم

(٤٣) أى بضحروا والمعنى انهم ارادوا أن يضجرونا ويبرمونا حتى نخرج من دائرة الصبر الجميل .

(٤٤) اشارة الى حديث ناظر الحقاينة السابق .

(٤٥) اشتد غضبهم وتكبروا .

(٤٦) تعز واقند .

(٤٧) ليس المجرم من حكم عليه بالسجن فى سبيل خدمة بلاده ، كما حكم على الأستاذ صاحب هذه القضية ، وكما حكم على سواء من الشرفاء الأبرياء لا سيما اذا روى أن الحكم صدر فى حكومة استبدادية ، وانما المجرم الحقيقى هو من يخون بلاده ويحنى على أمته بخبائنه سميا وراء أرب شخصى وغاية سائلة ، ومما أذكره هنا بمزيد السرور ، أن الأستاذ رعاه الله تلقى نبأ الحكم عليه وهو فى داره بين أهله وعشيرته برباطة جأش وابتسامة الأذراء وذهب الى النيابة مسرعا يصحبه رئيس الحزب الوطنى وأحد محاميه الفضلاء أحمد بك لطفى وكيل الحزب مقدما نفسه اليها قبل أن تصل يدها اليه مستعدا لتنفيذ الحكم عليه .

« يوم القضاء »

« علي ابراهيم افندي ناصف الورداني » (٤٨)

هل خال (٤٩) (ابراهيم) عند قضائه
املا من الآمال دون حياته ؟
لم يغنه حسن (الدفاع) (٥٠) ولم تفد
(فتوى) الشريعة وهي حصن نجاته
فقضوا على هذا الشباب (٥١) وريه
لسم يثنه (الاعدام) دون ثباته

(٤٨) ص ١٠١ - ١٠٢ من « وطنيتي » .

(٤٩) ظن .

(٥٠) كان الدفاع مؤلفا من حضرات احمد بك لطفى ومحمود بك
أبى النصر . و ابراهيم بك الهلباوى (الذى قضى رئيس الجلسة بجعلها سرية
حينما أراد أن يتكلم فى بعض المسائل السياسية) وناهيك بأمثال أولئك
المحامين الكبار .

(٥١) لم يتجاوز الورداني ٢٥ ربعا ، وقد كان أسمر اللون . نحيف
الجسم . متوسط القامة . عصبى المزاج . كثير الابتسام . شديد الحياء .
طويل التفكير . دمث الأخلاق . كريم الامراق . غيورا على الوطن . مجدا
فى سبيل رقيه . محبا لنشر العلم وتأسيس النقابات . والاكثر من الجمعيات
النافعة وغير ذلك من وسائل التقدم ودلائل الوطنية الصحيحة . عرفته فى
عامه الآخر منحليا بهذه النعوت الكريمة ، وما كان يلدور بخلد عارفى هذه
الأخلاق الودية ان صاحبها بخطر له خاطر القتل السياسى فبعمل على تنفيذه
حتى يتم له ما أراد غير هباب ولا وجل . ولكن الله يقلب القلوب . ويعلم
ما تكن الصدور .

حتى كسأن الموت بمن رغباته ليكون في الأحياء بعث مماثله (٥٢)

(٥٢) كان يوم الخميس (١٩ ربيع الثاني سنة ١٣٢٨ - ٢١ أبريل سنة ١٩١٠) موعد النظر في قضية الورداني أمام محكمة الجنايات المنعقدة جلستها تحت رئاسة المستر (دولبروغلو) وكان ثروت باشا النائب العمومي هو القائم بعمل النيابة وهي أول مرة قام فيها هذا المقام . وقد افتتحت الجلسة الساعة ٩ صباحا واستمرت في سماع الشهود اثباتا ونفيا حتى انقضى اليوم وأعيد في صباح اليوم التالي وبعد الانتهاء من سماع الشهود طعن الدفاع في شهادة الاثبات . وتمسكت النيابة بها فقررت المحكمة عرض المسألة على لجنة من الأطباء باعتبارهم خبراء ليبدو رأيهم في أقوال الفريقين الدائرة حول أسباب الوفاة الناتجة من (العملية) على رأي الدفاع وشهوده أو (الصدمة) الأولى على رأي النيابة وشهودها . وفي يوم الخميس (٣ جمادى الأولى سنة ١٣٢٨ - ١٢ مايو سنة ١٩١٠) الساعة ٤ مساء انعقدت هذه الجلسة ونلى تقرير الخبراء ورافعت النيابة وأخذ الدفاع في سبيل بيانه وتقديم حججه ثم أحيل الحكم إلى المفتي تمهيدا للحكم بالاعدام فأفتى المفتي بعدم توفر الشروط الشرعية المسوغة لاعدام المتهم . وبما أن رأيه استشاري ليس إلا . فقد سمعته المحكمة ولكنها حكمت بالاعدام في جلستها المنعقدة في صباح يوم الأربعاء (٩ جمادى الأولى سنة ١٣٢٨ - ١٨ مايو سنة ١٩١٠) فقابل المتهم سماع هذا الحكم برباطة جأش وابتسام (كما هي عادته في جميع أدوار القضية) وكان حين ذلك واقفا بأمر المحكمة . وبعد ذلك قدم الدفاع أوجه النقض وانعقدت جلسة النقض برئاسة المستر (بوند) الذي لم يقد طعن المتهم في رياسته لهذه الجلسة مع أنه من قضاة دنشواي التي كانت مسائلها من أسباب قتل رئيس النظار ، فحكمت برفض طلب النقض صباح السبت (٤ جمادى الثانية سنة ١٣٢٨ - ١١ يونيو سنة ١٩١٠) وأصبح (إبراهيم أفندي ناصف الورداني) الآن تحت رحمة الله . فانا لله وانا إليه راجعون .

((النشيد الوطني)) (٥٢)

نحن للمجد تسير ولدينا الله نصير
ليس يثنيها نذير عن بلاد تستجير
وعباد قسى حداد

كيف نرغبى بالممات وزمان المسوت فات

(٥٢) ص ١١٦ - ١١٧ من الديوان ، ويقول الغاياني في الحاشية :
« لكل أمة من الأمم الراقية ، نشيد وطنى عام ، يرويه الصغير عن
الكبير ، ويحفظه العظيم والحقير ، والغنى والفقر ، وتشارك في تربيته ،
والثغنى به عامة الشعب وخاصته ، على السواء ، وأظهر ما يكون من شأنه
في أوقات المظاهرات ، وفي الحفلات ، والمواسم الوطنية ، ونحوها ، بل انه
ليبلغ من أمره أن يكون تأثيره في الفرد ، كما يكون في الجماعة ، فترى الوطن
يذكره في خلوته ، كما يذكره بين عشيرته وأمته ، فيبعث فيه روح الحماسة
والوطنية ، ويشجعه على اقتحام الصاعب ، ومقارعة الخطوب ، في سبيل الوطن
العزیز ، كما يثبت الجنود في مواقع النصر ، ويبث في نفوسهم حب المخاطرة
والإقدام والاستماتة في الدفاع والنضال ، ولقد تقدم في صدر هذا الكتاب
كلام كثير في موضوع الأناشيد ، وما يتعلق بها ، واننى قياما بحق الوطن على ،
قد نظمت هذا النشيد الدستوري السلمى ، راجيا أن يكون لمصر ما لغيرها من
الأمم في هذا السبيل ، وأن يكون نشيدى هذا : النشيد الوطنى العام ،
فقد وضعته من بحر سهل التلحين ، وقاربت بينه وبين أفهام الشعب على
اختلاف طبقاته ، وأرحت وجدائى بأداء هذا الواجب الوطنى المقدس ، والله
ولى التوفيق » .

انما الدستورُت فعليتنا بالثبات
عند آمال البلاد

نحن للمجد نسير ٠٠ الخ

نحن شعب لانضمام قبل ان تلقى الحمام
فعلى النيل السلام من فتاة المستهام
يوم يقضى فى الجهاد

نحن للمجد نسير ٠٠ الخ

فى هوى النيل السعيد ميت القوم شهيد
ذكره حى جديدا يومه للشعب عيد
فيه ذكرى للرشاد

نحن للمجد نسير ٠٠ الخ

مرحبا بالفوز لاح وانجلى ليل الكفاح
وشدا طير الصباح ادرك الشعب الفلاح
وقضت مصر المراد

نحن للمجد نسير وانما الله نصير
لديس يثينا نذير عن بلاد مستجير
وعباد فى حداد

* * *

« نماذج متفرقة »

وإذا كانت كل قصائد ديوان « وطنيتى » للغاياتى ، ذات اثر وطنى ، وتاريخ قومى ، فنحن هنا لانستهدف نقل نصوصها بأكملها ، بقدر مانستهدف ، القاء النظرة العامة على ذلك الشعر ، فبالإضافة الى ما سبق ، اخترنا هذه النماذج الصغيرة ، التى تحس من خلالها أيضا بروح الوطنية والحرية والكرامة والاباء ... افليست كل ذلك مبادئ الحزب الوطنى آنذاك ؟

فهو لايجد حرجا فى مخاطبة السلطان عبد الحميد فى الاستانة ، وكان يسمى فى ذلك الوقت بـ « أمير المؤمنين » ، يطالبه فيها بالدستور ، ويشير الى نكبة الاحتلال لصر ، فيقول (٥٤) :

رمتها الحادثات بشرقوم

لهم فى كل مظلمة شقون

قضت فى عصرهم مصر ولولا

رجاء فيك ما قسرت عيون

(٥٤) « وطنيتى » للغاياتى ، بعنوان (الدستور العثمانى - الى أمير المؤمنين) ص ٤٢ .

فاعزز يا حمى الاسلام شعبا
بعززك لا يذل ولا يهـون

وعندما يدلى أحمد شوقي ، شاعر الأمير ، حديثا الى جريدة
«المؤيد» ، على لسان الخديو عباس بأنه لا يستطيع أن يصدر الدستور
الا برضى الانجليز واذنهم ، يقول له الغاياتى (٥٥) :

يا شاعر الأمير ويحك هل ترى
فى النثر ما فى النظم من خطرات

انى رايتك فى حديثك شاعرا
لكن خيالك زائغ المنظرات

يا شاعر النيل العظيم أما ترى
للنيل الا أسوأ الحالات

ما كنت أحسب أن مثلك وهو فى
شعراء مصر صاحب الآيات

يجنى على الشعب الكريم جناية
ويود أن يبقى مع الأموات

او أنت تروى عن سواك حديثه
كيما نرى الدستور ليس بات

(٥٥) تحت عنوان (الدستور وحديث شاعر الأمير) ص ٥٠ .

وعندما يتم عزل السلطان عبد الحميد (سلطان تركيا في ٢٣
أبريل سنة ١٩٠٩) على يد الثوار الاتراك ينظم الغاياتي قصيدة
تحت عنوان « فتنة الاستانة » يقول في مطلعها (٥٦)

لم يدرك السلطان في قصره
ما أدرك العسكر من أمره

ولم يهب من دهره سطة
حتى دهاه الخطب من دهره

ولما وقع حادث اغتيال بطرس غالي باشا (ناظر النظار
المقبطى) ، انتهزه خصوم الحركة الوطنية ، واسرفوا في القول بأن
باعث الورداني على القتل كان باعثا دينيا ، وكان هذا بعد الأشياء
عن الحقيقة ، انما كانت الحقيقة فعلا بث سموم التفرقة بين
المصريين ، وقد وقف أحد المحامين الذائعي الصيت (مرقص فهمي)
يدفع عن الحركة الوطنية هذا الاتهام الظالم ، فتأثر الغاياتي لهذا
الموقف النبيل للمحامى القبطى ، وكتب قصيدة عنوانها « الى خطيب
السلام » (٥٧) يبدأها بقوله :

خطبت قلم تجنح الى شرعة الهوى
ولم تتخذ نهج الخصام سبيلا

كما أنه عمل على تنقية الجو من هذه السموم ، داعيا الى
جمع الشمل ووحدة الصف .. فيقول في نفس القصيدة :

(٥٦) ص ٥٨ من الديوان .

(٥٧) ص ٩٦ من الديوان .

وما أمة القرآن في مصر أمة
تري أمة الانجيل أبغض جيلا

فانا وانتقم أخوة في بلادنا
أقمنا على دين السلام طويلا

وننتقل من الوحدة الوطنية عند الغيايتي - والتي سوف تكون
شغله الشاغل بعد ذلك - لنعيش معا تلك الزيارة التي قام بها تيودور
روزفلت - وكان رئيسا سابقا للولايات المتحدة - الى مصر في
مارس سنة ١٩١٠ ، والقائه لخطاب في الجامعة المصرية ، أشاد
فيه بالاحتلال الاجنبي البريطاني ، وأياديه البيضاء على مصر ،
فأزعجت هذه الخطبة - وما تبعها من خطب أيضا - خواطر المصريين
ومشاعرهم ، فأصلوه نارا حامية ، وأنبرى له الكتاب والشعراء ،
وأعد الغيايتي قصيدة بعنوان « روزفلت بعد خطبته في الجامعة
المصرية » يقول في بدايتها (٥٨) :

لعمرك لست بالرجل الهام

إذا عد الهام من الكرام

كرام الناس أصدقهم حديثا

وابعد عن أكاذيب اللئام

ونذكر الغيايتي روزفلت في هذه القصيدة ، بأن الانجليز كانوا
حكامهم ، وأن أبناء أمريكا الأحرار قد ثاروا على الانجليز ، الذين

(٥٨) ص ١٠٨ من الديوان .

ساموا الشعب الأمريكى الخسف والهوان ، وأشاد ببطولة زعماء
النضال الأمريكى ٠٠ واشنجتون وجفرسون ، وعندما سافر روزفلت
من مصر الى انجلترا ، خطب ثانية فى قاعة جيلد هول (بلندن .
فحمل على المصريين من جديد ، مشيدا بالاحتلال البريطانى ، فنظم
فيه الغاياتى قصيدة أخرى ، لاتقل قوة عن الأولى (٥٩)

وهناك نماذج لشعر الغاياتى ، يرى انها بين « هدى وضلال » ،
يضعها فى نهاية ديوانه ، منها هذين النموذجين ٠٠ أولهما تحت
عنوان « بين اللحظ والخال » (٦٠) يقول فيها :

لك اللحظ سكارى	أسقمت وهى سقيمة
ويورد الخد خال	خلتسه فيه تميمة
أن رمى النظر سهمها	نحوه صان أديمه
أشبهت حبة قلبى	فى معانيه رقيمة
أنت غرام	حل من قلبى صميمه
ليس للأيام عندى	فى سوى حبك قيمة

وهكذا نرى ارتباط هذا النوع من الشعر العاطفى عند الغاياتى

(٥٩) ص ١١٢ من الديوان ، تحت عنوان « الى خطيب جلد هول » - وهى
اسم دار بلدية لندرة - يقول فى مطلعها :

ماذا تحاول يا روزفلت من خطب ترمى به مصر عن حقد ومن غضب

(٦٠) ص ١٢٧ من الديوان .

بالوطنية أيضا ، فهو يشرح معنى البيت الأخير بقوله : « كذلك تكون الحياة رخيصة ، والآمال صغيرة ، لدى بعض الشعراء ، بينما الوطن يشكو ويألم ولا يجد منهم ذكرا ، ولا متوجعا ، وهو نفس مانجده في ذلك النموذج الثاني ، والذي كان تحت عنوان « في مرقص » (٦١) ، فتراه يقول :

ميلي على العاشقين ميلي
بخصرك الاهيف التحيل
وصوبى نحوهم سهاما
من لحظك النعاس الكحيل
واشعلى النار فى حشاهم
من خذك الأغيد الأسيل
واقسى باللمى لظاهم
فان فيه شفا الغليل
فيك القلوب تهيم حبا
وما احبك من بديل
وانتلى فيك مستهام
ولست أخشى من العذول

(٦١) ص ١٢٧ من الديوان .

ولا أهاب الردى إذا ما
صبا فؤادى الى جميل
فياحياتى فدتك نفسى
فهل الى الموت من سبيل

ذلك أن الغاياتى يرى - أيضا - أن معنى البيت الأخير ...
هو « نعم الى الموت .. فهو خير سبيل فى الوطنية » .

الحكم على الديوان

نحن هنا لسنا بصدد نقد بلاغى وأدبى للديوان ، بقدر ما هو وصف عام لديوان شعري كان له دور مؤثر فى الحركة الوطنية المصرية ، فالديوان من الحجم المتوسط ، ويقع فى ١٣٠ صفحة ، يضم بين جنباته مقدمات نثرية سواء لمؤلفه : على الغياتى ، أو لزعماء الحركة الوطنية حينذاك ، محمد فريد والشيخ عبد العزيز جاويش ، أو شعرا يرتبط بما كان يجرى على أرض مصر مابين سنوات ١٩٠٨ الى ١٩١٠ ، كما كانت هوامشه تعج بالحياة والحركة وقد انتهى الغياتى من تحرير هذا الديوان - أو كما يقول هو - (الجزء الأول من وطنيتى يوم الجمعة ١٧ جمادى الثانية سنة ١٣٢٨ - ٢٤ يونيو سنة ١٩١٠) (١٢) ولكن لم يستدل من الكتاب على مكان طبعه .

وقد روى الغياتى بعد ذلك قصة طبع هذا الديوان (١٣) ، حيث يقول : « ولما كان طبع هذا الديوان فى مطبعة مصرية ، يعرضه للمصادرة ، وهو بعد أصولا لم تجمع حروفها ، فقد قصد مطبعة يملكها فرنسى اسمه (كستيولا) . وقد كان الأجانب يومذاك غير خاضعين لتفتيش البوليس المصرى ، الا اذا أذنت القنصلية التى يتبعها هؤلاء الأجانب ، وكان استصدار الأذن من القنصلية يسمح

(١٢) « وطنيتى » للغياتى ، ص ١٢٨ .

(١٣) فتحى رضوان « عصر ورجال » ، ص ٢٠٤ - ٢٠٥ .

باخفاء جسم الجريمة واثرها ، وتم طبع الديوان دون أن يصادر ،
وكان عدد النسخ المطبوعة ألف نسخة ،

وهكذا يشعرك الغاياتى للوهلة الأولى ، بأنه كان لديه
احساس داخلى بأن الديوان سوف تتم مصادرتة ، ومعنى ذلك أيضا
اقتياده للمحاكمة ، ومع ذلك جازف بطبع الديوان .

ويعلق الدكتور أحمد هيكى عميد كلية دار العلوم (٦٤) ، على
الديوان وصاحبه ، بأن على الغاياتى ينتمى الى ذلك الجيل من
الشعراء الذى سار فى نفس اتجاه الشاعر محمود سامى البارودى ،
ويترسم خطاه ، نحو الاتجاه المحافظ البيانى الحى ، وترجع أهم
اسباب ظهور هذا الاتجاه الى الوعى الناضج الذى بدأ عند بعض
المثقفين ، الأمر الذى حمل على الالتفات الى مجد الماضى وتراث
الأمس ، للالتكأ عليه ، ومواجهة تحدى الحضارة الغربية به ،
والايمان بفكرة الجامعة الاسلامية ، لذلك تجد الغاياتى فى عداء
واستنكار ونضال ضد السلطة الغاشمة التى كانت جاثمة على صدر
البلاد فى تلك الفترة (الانجليز) وكان صريح العداء ، مستمر
الاستنكار ، دائم النضال . . . والتنديد بالاحتلال ومخالبه . . الخديو ،
دائم الحث للوطنيين - فى ذلك الديوان - على النهوض والثورة .

والذى يقرأ ديوان « وطنيتى » قد لا يجده كله شعرا من طراز
رفيع ، ولكنه يجد فيه باكورة رائعة لشاعر شباب لم يتجاوز عمره
٢٥ سنة ، وإلى جانب ذلك ، تجد الوطنية الحققة ، والعقل المتحرر
(غير المحافظ) ، وتراه يمدح الزعيم مصطفى كامل ، وهو على
قيد الحياة ، ويرثيه عندما يلحق بالرفيق الأعلى ، ويخاطبه قائلا :

(٦٤) فى كتابه « تطور الأدب الحديث فى مصر » ط ٤ (القاهرة ، دار
المعارف ، ١٩٨٣) ص ١٠٦ ، ١١١ ، ١١٨ .

لا زال فى مصر لواؤك خافقا من حوله شعب أعز نجيب

ويقصد بذلك طبعا جريدة « اللواء » التى أصدرها الزعيم فى ٢ يناير سنة ١٩٠٠ ، ثم يمدح محمد فريد ويثنى عليه بعد انتخابه رئيسا للحزب الوطنى ، خلفا لمصطفى كامل ، ويقف بجوار الشيخ عبد العزيز جاويش عندما يتهم فى إحدى القضايا ويتم الحكم عليه ويسجن ، وكيف أن المصريين اكتبوا لعمل وسام يتقلده الشيخ بعد خروجه من السجن ويسمى (وسام الشعب) ، ويصف الغاياتى هذا الوسام فى هامش إحدى صفحات « وطنيتى » فيقول (٦٥) :

« جاء هذا الوسام آية من آيات الوطنية الدالة على فضل الأستاذ بأجل معنى والطف شارة ، وهو مؤلف من ثلاث قطع ذهبية نقش على الأولى رسم الأهرام ، وكتبت تحت الرسم هذه العبارة : « تذكركم الشعب الى الشيخ عبد العزيز جاويش اعترافا بوطنيته الصادقة » ، والثانية وهى أكبرها حجما ، رسم عليها نبات كان يتخذ القدماء رمزا للفوز والنصر ، ونقشت فيها هذه الآية الكريمة : « ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلو أخباركم » والثالثة هلال فى وسطه ثلاثة نجوم وقد شبكت هذه القطع الثلاث بوشاح من الحرير الأحمر والأبيض ، مرصعة كل واحدة منها بالأحجار الكريمة ترصيعا جميلا » .

ويرى الأستاذ فتحى رضوان (٦٦)، بأنك لو تابعت قصائد الديوان قصيدة قصيدة ، وقرأت هوامشه ، هامشا بعد هامش ، اكتملت لديك صورة كاملة للعهد الذى ظهر فيه هذا الديوان ، صورة شعب

(٦٥) ص ٧١ من الديوان .

(٦٦) « عصر ورجال » ، ص ٢١٧ .

يناضل من أجل اجلاء الانجليز عن أرضه ، بقلمه ولسانه ، ويتحفز لقتال أشد ضراوة في سبيل نفس الغاية ، ومن أجل الدستور ومن أجل مزيد من الحريات الداخلية ، واصلاح الحكم ، والضرب على يد المفسدين والحكام الذى يبعثرون أموال الدولة على أنفسهم ويغترفون منها بلا حساب ، ومن أجل نشر التعليم والعناية بالصحة ، ورفع مستوى التلاميذ والعمال ، واشراكهم فى شئون بلادهم اشراكا فعليا .

كما يرى أيضا-(٦٧) تعليقا على قصيدة « رب نكرى هيجت شجنا » والتي تعرضنا لها عندما نشرها الغاياتى فى جريدة «اللواء» - وكيف أنه راح يبشر بهذه الطريقة الجديدة فى نظم الشعر - بأن تكون القصيدة قطعا ، كل قطعت ذات روى خاص - عند حافظ ابراهيم واسماعيل صبرى ، بأن الغاياتى - وان كان مشغولا بأحداث الوطن السياسية ، وأنه وقف قلمه ونفسه للمعركة الوطنية ، الا أنه لم يكن أدبيا محافظا ، ولو اتسع له الوقت فى مصر ، ولم يهاجر الى سويسرا ، لأكمل العمل الذى بدأه بهذه المحاولة المبكرة فى وقت لم يكن يجرؤ فيه أحد على التفكير فى الخروج على الشعر العمودى ، ولا فى التجديد فى طرق الشعر وقوالبه ، ولو صدق الشاعران الكبيران حافظ وصبرى فيما وعدا به الغاياتى من تناول هذا الأسلوب الذى اقترحه الغاياتى لهما ، ووافقا عليه وأقراه ، لتحرر الشعر العربى تحررا كان يفتح له آفاقا جديدة فى الشكل والموضوع ، ولما تأخرت المسرحية الشعرية فى أدبنا عن الظهور هذه الحقبة الطويلة .

وقد حاول الغاياتى مرة أخرى أن يجدد فى شعره ، فحاكى

(٦٧) المصدر السابق ، ص ٣٢٦ .

شوقي في قصيدته التي مطلعها « مال واحتجب » وادعى الغضب ،
فنظم في ذكرى مصطفى كامل قصيدة جرى مطلعها (٦٨) :

أيها الفتى جرد القلم
وانشر الأسى واشرح الألم
غاب مصطفى حاضر الهمم
رافع اللوا خافق العلم
صائن الحمى ناصب الهرم
عباد يومه فاذكر الشيم

ولكن المحاولتين ذهبتا بلا اثر يذكر ، فقد استغرقت السياسة
والجهاد ، ومتاعب الهجرة ، ومشاق الصحافة في الخارج ، جهد
الشاعر الشاب ، كما سنرى .

ويرى الأستاذ « محمد طاهر الجبلاوى » (٦٩) ، أن شعر
« الغاياتى » يمكن أن نسلكه في عداد الشعر التأثيرى (امبرشنزم)
وينجس من فورة معين فياض في سهولة ويسر كأنه الشعر المرتجل
أو شعر البديه لا تكلف فيه لأناقة أو محاكاة ، وقد خرج من الجنان
ليستقر في الأذهان ، ويجرى على كل لسان ، وما أشبهه بشعر
الأناشيد وإن لم يكن فيه ٠٠ أما عن الديوان نفسه (وطنيتى) فهذه
أول مرة يصدر فيها ديوان مخصص لموضوع واحد هو الوطنية ٠٠
ذلك أن دواوين الشعراء في ذلك الوقت كانت تصدر مقسمة الى
أبواب ، غالبا ماتكون على النحو الآتى : باب المدح ، باب الرثاء ،
باب الغزل والنسيب ، باب الوصف ، ثم وطنيات في بعض الأحيان
وهكذا ٠٠ كان « وطنيتى » وثبة من وثبات الشاعر في عالم
الشعر والأدب .

(٦٨) ص ٩٢ من الديوان ، وقد قال شوقي (شاعر الأمير) ، قصيدته
في وصف « باللو » اقيم بسرارى عابدين .
(٦٩) مرجع سابق ، ص ٢٨٦ - ٢٨٧ .

« قضية وطنيتى »

ذكرنا بأن الغاياتى كان يحس بأن الديوان سوف يثير عليه المتاعب الجسام ، سواء ما قاله بنفسه فى مقدمته للديوان ، أو بعد ذلك ، عندما قام بطبعه عند مطبعة غير مصرية ، حتى لا يصادر أثناء الطبع ، ولكن كيف كانت البداية ، ليصبح الديوان « قضية » أمام محكمة ؟

يستحسن لنا أن نترك صاحبها يقصها علينا ٠٠ فيقول (٧٠) :
« قضية وطنيتى من أشهر القضايا السياسية فى العصر الحديث .
وقد كان لها صدى بعيد المدى فى مصر والشرق ، كما وصلت
انبأؤها تثرى الى الغرب ، وهى الآن من قضايا التاريخ المصرى
مسجلة فى بطون الصحف والكتب ٠٠٠ ولا شك أن أول من وجه
أنظار الحكومة علنا الى كتاب « وطنيتى » ، وحرصها بطريقة غير
مباشرة على صاحبه ، هو المرحوم الشيخ على يوسف (أو السيد
على يوسف باشا) ، صاحب جريدة « المؤيد » الشهيرة فى ذلك
العهد ، فقد كتب بقلمه مقالة فى الموضوع ، هى فى الواقع صحيفة
الاتهام التى افتتحت بها هذه القضية ثم كان بعدها ما كان ، أى
لم تكن مقالة أدبية تعرض للفن الشعرى أو تقريظا للقصيد الرائع (٧١)

(٧٠) جريدة « منبر الشرق » العدد ٤ ، ١٩ يونيو سنة ١٩٢٨ ،

ص ٨ .

(٧١) مختار الوكيل ، على الغاياتى ، فصل من كتاب « خمسة من

شعراء الوطنية » ، مصدر سابق ، ص ٢٠٢ .

أما كيف وصلت نسخة الديوان الى الشيخ على يوسف ؟
فلقد حدث أن رأى الأستاذ سليمان فوزى المحرر بجريدة « المؤيد » -
والذى أصدر مجلة الكشكول بعد ذلك سنة ١٩١٤ - الديوان فى يد
الغاياتى ، فسأله لماذا لم يهد نسخة منه الى الشيخ على يوسف
صاحب جريدة « المؤيد » ليقرظه ويعلق عليه ، ثم صاحبه الى مكتب
الشيخ على يوسف ، حيث أهدى الغاياتى اليه نسخة ، ولكن ماكاد
الشيخ يطلع على الديوان حتى جرد عليه حملة ضارية ، وكأنه كان
يكتب قرار الاتهام فعلا ضد الديوان وصاحبه ، مع العلم بأن «المؤيد»
فى ذلك الوقت - سنة ١٩١٠ - تنافس « اللواء » جريدة الحزب
الوطنى ، وتتهم الحزب وجريدته بالتطرف المجنون ، وقد تلقت
الحكومة هذه الحملة بصدر رحب ٠٠ واليك مقالة الشيخ على
يوسف ، قبل أن نفصل لعمل الحكومة ازاء الديوان وصاحبه(٧٢) :

« زارنا منذ يومين حضرة الشيخ على الغاياتى المحرر بجريدة
« العلم » وقدم لنا نسخة من كتاب شعرى وضعه حديثا بعنوان
« وطنيتى » وقال أقدمه اليك ، وان يكن بلهجة حزب لاترضيك لهجته
فقابلته بحسن القبول ، وعزمت على أن أقرظه كما يستحق أديب
مثله ، يحسن الشعر ، ويعمل كما يعتقد لاهياء الشعور الوطنى » .

« أردت اليوم أن أقرظه بعد ما فرغت من مهام مواضيع الجريدة
حتى يكون للقلم حظه من الأدب بعد حظه من السياسة ، ففتحت
الكتاب وأول ما وقع نظرى عليه منه الصفحة - ٤٦ - قول هذا
الشاعر المجيد : -

ياليت شعرى هل رايت كما أرى

ان « المؤيد » معهد الهفوات

(٧٢) جريدة « المؤيد » ، الاثنين ٤ يوليو سنة ١٩١٠ (٢٧ جمادى

الثانية سنة ١٣٢٨) .

فُتشرت فيه ما نُشرت وانما هى زلة من أكبر الزلات

فاسبتوقفنى هذا السبب الموجه الى « المؤيد » هنية ، وقلت لعل
حُضرة الشيخ أراد أن يوجه لى هذا الكلام مشافهة بتقديم الكتاب ،
كما فعل شاعر آخر له وطنيات لا تقل فى الحماسة والبلاغة عن
وطنية هذا الشيخ ، ولكنى رجعت وقلت لعل ذلك الزائر لم يقصد
هذا وانما قصد أن أدل قراء « المؤيد » على شىء من آيات وطنيته
البيئات » .

« وماذا يضر « المؤيد » لو كان فى يوم من أيامه على لهجة
مثل لهجة « العلم » على حساب غيره ، فبعد الاستئذان من قانون
المطبوعات ، وبعد الاستعانة من القوانين الجديدة ، وبعد الاعلان
بأنه لا اتفاق بين « المؤيد » وبين الشيخ على الغاياتى ، نستعير قلمه
وشعره وفكره ساعة من الزمان ، قال حفظه الله تحت عنوان (وطنى
يناجى ربه) صفحة ٣٤ من كتابه « » ثم أورد الشيخ على
يوسف أبياتا متفرقة من تسع قصائد للغاياتى نشرها فى « وطنيتى » ،
ستكون ضمن حيثيات الحكم فى تلك القضية الخطيرة !!

ولم يمض يومان على مقالة « المؤيد » ، حتى نشرت الصحف
خبرا مؤاده « أبلغتنا المحافظة فى هذا الصباح أن ادارة الضبط
قبضت على الشيخ على الغاياتى ، لأنه نشر ديوانا فيه قصائد تقع
تحت طائلة قانون المطبوعات ، وقد أحيل الى النيابة ، فشرع حضرة
على بك توفيق من نيابة مصر فى التحقيق معه (٧٢) »

(٧٢) جريدة « اللواء » ، العدد ٣٣٢٠ ، فى ٦ يوليو سنة ١٩١٠

نشر هذا الخبر فى صحف يوم الاربعاء ٦ يوليو ، ولكن الحقيقة أن الشيخ على الغيايى لم يكن مقبوضا عليه - كما قالت محافظة القاهرة فى بلاغها - ولكنه كان خارج القاهرة فعلا ، ذلك أنه علم بأن الحكومة بدأت تبحث عن الديوان فى كل مكان تعلم أنه موجود فيه ، وأن أمرا باعتقاله قد صدر ، وقد نصحه بعض الأصدقاء بأن يفر الى خارج البلاد ، وليكن الى تركيا . .

وقد اختلفت أقوال المؤرخين والكتاب فى سفر الغيايى خارج الوطن ، فمنهم من يسمى ذلك فرارا (٧٤) ، ومنهم من يطلق على ذلك هروبا (٧٥) ، أو ارتحالا (٧٦) ، كما أن هناك رواية تربط الهروب « بأنه كان من السجن » (٧٧) ، وهذا لم يحدث على الإطلاق ، وإن كنا نأخذ برأى الغيايى نفسه فى أن ذلك كان فرارا (٧٨) ، كما روى فى ذكرياته التى نشرها فى جريدة « منبر الشرق » بعد عودته الى الوطن نهائيا سنة ١٩٢٨ .

فكيف استطاع الغيايى أن يفر خارج مصر ؟ وهو يعلم أن البوليس يتعقبه ، ونترك ذلك لشهادة الشاهد الوحيد الذى رافق الغيايى « مرافقة وطنية » وهو صاحب العزة حسين بك فتوح ليحكى لنا كيف تم ذلك (٧٩) فقال :

-
- (٧٤) أحمد شفيق باشا « مذكراتى فى نصف قرن » القسم الثانى من الجزء الثانى (القاهرة ، مطبعة مصر ، ١٩٣٦) ص ٢٣١ .
(٧٥) آرثر ادوارد جولد شميث (الابن) ، الحزب الوطنى المصرى (القاهرة ، الهيئة العامة للكتاب ، ١٩٨٣) ص ٢٢٣ .
(٧٦) أحمد هيكى ، مرجع متقدم ، ص ١١٠ .
(٧٧) ابراهيم عبده ، تطور الصحافة المصرية (١٧٩٨ - ١٩٨١) ط ٤ (القاهرة ، سجل العرب ، ١٩٨٢) ص ٣٠٦ .
(٧٨) جريدة « منبر الشرق » ، الأعداد ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥ ، ٦ ، ٧ .
(٧٩) جريدة « منبر الشرق » ، العدد ٧ فى ١٠ يوليو سنة ١٩٢٨ ، ص ٨ .

« ذهبت الى شقة الشيخ على الغيايتى بالمنزل رقم ٨ بحارة
سليم بك المتفرعة من شارع الشيخ ربحان بعابدين ، فجمع أثاثه منها
وأخذ مايلزمه من ملابس وكتب ، ولكنه بدلا من أن يأخذ الخفيف
من المتاع الذى لاغنى عنه أخذ يكوم كل ما فيها من أشياء لاقيمة
لها ، متمهلا متأنيا وكأنه ذاهب الى رحلة للاستجمام والترويح ،
وكانت نفسه تنازعه فى أن يحمل معه كل ما فى الشقة حتى الحصىرة
والمرتبة ، وكلما استحثه وأحذره من الخطر الذى ينتظره ، ان لم
يسارع بالنزول ، لايلتفت الغيايتى لذلك ، حتى لاحت مأمور قسم
عابدين قادما من بعيد فى عربة (حنطور) ، فأسرع الغيايتى فى
حمل (صرة) ثقيلة حوت من الملابس والكتب ما فوق الحاجة ، وعندما
راقتى صاحبة المنزل ونحن نهول ، سألتنا عن الخبر ، فقلنا لها . .
اننا مسافران الى دمياط ، فأخذت تشييعنا بالدعوات الصالحات ، .

وقد قطع تذكرة السفر الى الاسكندرية أحد الأصدقاء ، وهو
أحمد أفندى رفعت وكان محررا فى جريدة « العلم » وسلمها الى
صديقه حسين فتوح الذى دخل بها الى القطار بينما دخل الغيايتى
بتذكرة مقابلة ، ثم تبادلا التذاكر داخل القطار (٨٠)، وسافر الغيايتى
فاذا به يجد فى ديوان القطار ضابطا تركيا كان فى رحلة صيد فى
السودان ، عاد منها بعدد من النسائيس ، وقد تصادق مع الغيايتى ،
ونزلا معا فى فندق واحدة بالاسكندرية ، قبل أن تغلق بهما الباخرة
الى استانبول بتركيا .

فما كان من البوليس المصرى الا ان أصدر نشرة للصحف ،
أعلن فيها أن الشيخ على الغيايتى صاحب كتاب وطنيتى قد برح
الثغر الاسكندرى فى أوائل هذا الشهر قاصدا مرسيليا (بفرنسا)

(٨٠) مختار الوكيل ، مصدر متقدم ، ص ٢٠٦ .

ويقال ان من المحتمل ان تخابر الحكومة المصرية حكومة الجمهورية
لإعادته الى مصر(٨١) .

» وقد استدعت النيابة مساء ١٢ يوليو سنة ١٩١٠ حضرة
الشيخ جاويش واستمرت تحقق معه من الساعة ٣ والنصف بعد
الظهر الى الساعة الثامنة الا ربع فى شأن المقدمة التى كتبها لـديوان
الغاياتى (وطنيتى) (٨٢) .

ثم كان قرار الاتهام فى القضية ٠٠(٨٣) فلقد قررت النيابة
العمومية احالة كل من الشيخ جاويش – المحرر بجريدة العلم –
والشيخ على الغاياتى – المصحح بجريدة العلم – والشيخ محمد
حسن القزوينى – الموظف بقلم تحرير العلم – والياس افندى دياب –
صاحب مكتبة التأليف – الى محكمة الجنايات يوم ٦ أغسطس ،
برئاسة محمد بك مجدى وحضرة على بك ذو الفقار والمسيو سودان
أعضاء ، كما تقرر اخراج حضرة اسماعيل افندى حافظ – صاحب
جريدة العلم – وتأجيل رفع الدعوى على حضرة محمد بك فريد –
رئيس الحزب الوطنى ، لحين عودته من أوربا ، وذلك لوضع ونشر
كتاب يسمى « وطنيتى » ويشتمل على قصائد ومنظومات ، يتضمن
بعضها التحريض مباشرة على جناية القتل (صحيفة ٥ و ٣٤ و ٣٨
و ٦٠ و ٦١ و ٦٢ و ٩٢ و ١٠١ و ١٠٢) وبعضها التحريض
على كراهة الحكومة والازراء بها (صحيفة ٣٤ و ٥٦ و ٥٧ و ٦٧
و ٦٨ و ٧٣ و ٧٤ و ٧٥ و ٧٧) وبعضها تحسين الجريمة التى
ارتكبها الشيخ جاويش ، وحكم عليه من أجلها فى العام الماضى
وغيرها (صحيفة ٦٠ و ٦١ و ٦٢ و ٦٨ و ٦٩ و ٧٠ و ٧١ و ٧٢

(٨١) جريدة « اللواء » ، العدد ٢٢٢٥ – ١٢ يوليو ١٩١٠ – ص ٤ .

(٨٢) جريدة « اللواء » ، العدد ٢٢٢٦ – ١٣ يوليو ١٩١٠ – ص ٤ .

(٨٣) جريدة « اللواء » ، العدد ٢٢٢٨ – ٢٧ يوليو ١٩١٠ – ص ٥ .

و ٩٢ و ١٠١) وبعضها العيب فى حق ذات ولى الأمر (صحيفة
٥٥ و ٥٦) وبعضها اهانة ناظر الحقانية بصفته موظفا عموميا
(صحيفة ٦٣ و ٦٤) وبعضها اهانة هيئة الوزارة والمحاكم صحيفة
٥٦ و ٦٨) .

وهكذا أصبحت صفحات « وطنيتى » فى ورقة اتهام ٠٠ حتى
كان موعد انعقاد محكمة الجنايات الكبرى وهذه صورة لجلستها ،
والتي جاءت فى « اللواء » (٨٤) : « انعقدت الجلسة فى الساعة
التاسعة صباحا تحت رئاسة محمد بك مجدى وكل من العضوين
على بك ذوق الفقار والمسيو سودان ، وكان على كرسى النيابة توفيق
بك نسيم وسكرتير الجلسة جلال أفندى ، وكان النظام سائدا ، والقاعة
غاصة بالحاضرين يتخللهم رجال البوليس السرى المنتشر خارج
القاعة وداخلها ، وكان حضرات الشيخ عبد العزيز جاويش والشيخ
محمد حسن القزوينى والياس افندى دياب واقفين فى موقف
الاتهام ، وحضر حضرات المحامين الأفاضل للدفاع عن موكلهم ،
فحضر الاساتذة أحمد بك لطفى ومحمد بك على للدفاع عن الشيخ
عبد العزيز جاويش ، ومحمد بك أبو شادى عن الشيخ القزوينى ،
وعبد السلام افندى ذهنى عن الياس افندى دياب .

ثم تكلم حضرة رئيس الجلسة بعض كلمات طلب فيها من الجمهور
المحافظة على النظام ونودى على المتهمين ، فستل كل منهم عن اسمه
وصناعته وعمره وسكنه ثم قام حضرة كاتب الجلسة وتلا محضر
الجلسة . وبعد ذلك قام حضرة وكيل النيابة وطلب معاقبة الشيخ
الغياثى والشيخ جاويش بصفته فاعلا أو شريكا فى الجناية ، وذلك
لنشره أشياء مخالفة للقوانين بالجرائد .

(٨٤) « جريدة اللواء » ، العدد ٢٢٤٦ ، فى ٦ أغسطس سنة ١٩١٠ ،

سأل حضرة رئيس الجلسة الشيخ عبد العزيز جويش عن التهم الموجهة ضده ، فقال انه قرظ الكتاب عن نية حسنة ، وسئل الشيخ القزويني عن التهم الموجهة ضده ، فقال انه لم يطلع على الكتاب ، وسئل دياب افندي عن التهم الموجهة ضده فقال انه باعه كسائر البائعين ، ثم قام حضرة وكيل النيابة وقال: قام هذا الشاعر المفتون (يقصد الغياطي) ووضع هذا الكتاب ، فلا حيي الله وطنيته ولا بارك الله فيها من وطنية فاسقة ، لقد مجد فعل دنجرا والورداني وكلاهما قاتل سفاك ، وهذا تحريض على ارتكاب الجنايات ، وقال نعم هنا في هذا الكتاب (وطنيتي) جملة قصائد أدبية مثل شفاء ولي العهد • ورثاء حسن عاصم باشا ، ولكن هذا لا يبرر مافى هذا الكتاب الذي يعظم الاثم ويدفن الحسنة ••• ثم قال : مالهؤلاء الكتاب يزخرفون الكلام البذيء للجمهور ، ألا يعرفون عواقب مايكتبون ، انهم اذا اصلحوا كتاباتهم اصلحوا أمتهم ، واذا افسدوا كتاباتهم افسدوا أمتهم ، فاذا كان هذا حال الكتاب ، فكيف يكون حال العامة ، وليس أهون على الكاتب من أن يجلس على مقعده ويكتب مايشاء •• ثم طلبت المحكمة من المحامين الدفاع ••• فقام كل من الاصولي البار محمد بك علي ، ومن بعده المحامي الفاضل أحمد بك لطفى •

وفي اليوم التالي(٨٥) وقف حضرة توفيق بك نسيم قائلاً : بأن النيابة العمومية تطلب معاقبة المتهم الأول (الغياطي) بالمواد ١٤٨ و ١٤٩ و ١٥١ و ١٥٤ و ١٥٦ و ١٥٩ و ١٦٠ من قانون العقوبات لوضعه وطبعه كتاب « وطنيتي » ، ثم ردد ماقاله بالأمس قائلاً : لقد وضع هذا الشاعر المفتون ذلك الكتاب ، ووسمه بوطنييتي ، فلاحيا الله وطنية تجعل آلة للحصن على اجترار السيئات ، وبث

(٨٥) جريدة « اللواء » ، العدد ٢٣٤٧ ، في ٧ أغسطس سنة ١٩١٠ ،

ص ٢ و ٢ و ٤ •

التي تفسد القلوب وتذيق الناس بعضهم بأس بعض ، بل لا يارك الله فى وطنية تلبس كما يلبس الثوب مقلوباً فتؤلم النفوس وتفتن الخواطر ٠٠٠ ثم قال : ما لهؤلاء الشعراء والكتاب يفسدون الأخلاق بما يقولون ويكتبون ، انتصاراً لأنفسهم بعنوان الوطنية ، والكتاب كما يعرفون هم من مجموع الأمة بمنزلة العقل المدبر والروح المفكر من الانسان ، فصلاح حالهم وكتاباتهم مصلح لحالها ، وفسادها مفسد له ٠٠

ثم نشرت « اللواء » كلمات الدفاع (٨٦) ، وكيف أن عبد السلام افندى ذهنى قال : اننا لانطلب الا احقاق الحق وازهاق الباطل ، قليعلم حضرات القضاة أن الصحافى يكتب ويتصور ان فوقه سيف قانون المطبوعات ، فأراقوا بهؤلاء الصحافيين التعساء !! ، أما أبو شادى بك فقال : انه كتب فى مذكرته الخاصة أبياتا شعرية أشد وطنية وحماسا وتهيجا من أبيات الغاياتى ، الذى لن يساوى أصغر الشعراء بجوار احمد نسيم وشوقى بك شاعر الحضرة الفخيمة الخديوية ، وحافظ افندى ابراهيم و خليل افندى مطران ، أما محمد بك على فقال : ان المتهم (يقصد الشيخ جاويش) يتقدم الى حضرتكم وكله يقين بأن القانون المصرى الذى يفك عن المتهمين بالقتل قيودهم وأغلالهم ، مادموا فى حرم القضاء وذمته احتراماً لمقام الحكم وتأبيدا لحماية الدفاع لايسمح طبعاً أن يعقل اليوم لسان المتهم عن أن يشكو بته وحزنه اليكم وأنتم الأمناء على رعاية القانون وملجأه الأعلى وكلمتكم هى الحد الفاصل بين الحق والباطل ٠٠٠

ومع ذلك ، فلقد وافق « الجناب الأفخم عباس حلمى باشا خديو مصر » على حكم محكمة جنايات مصر ، فى قضية النيابة

(٨٦) جريدة « اللواء » ، العدد السابق ، ص ٥ و ٦ ، ، وكذلك العدد ٢٣٤٨ ، فى ٨ أغسطس سنة ١٩١٠ ، ص ٢ .

العمومية (نمرة ٦٧ سايرة الازيكية لسنة ١٩١٠) بالحكم على الشيخ على الغاياتى غيايبا بالحبس لمدة سنة مع الشغل ، مع تبرئته من تهمة التحريض على القتل ، والحكم على الشيخ جاويش بالحبس ثلاثة أشهر حبسا بسيطا ، مع التنفيذ بتهمة تحسين ماجاء فى كتاب وطنيتى ، والحكم على الشيخ القزوينى ودياب أفندى الياس بالحبس شهرين مع ايقاف التنفيذ .

ومن قرائتنا « لحيثيات الحكم فى قضية الغاياتى » (٨٧) فهذه هى أبيات الشعر التى على أساسها تم اصدار الحكم السابق :-

— تحت عنوان : « طيف الوطنية » ص ٢٤ يقول :-

وولاة أقسموا أن يسجدوا

كلما رام العدا منهم مراما

— تحت عنوان : « الى سمو الأمير والوزارة والأمة » ص ٢٦

يقول : —

الا أمطر الله الوزارة نقمة

ولا بلغت مما تروم مراما

تحاول أن تقضى علينا باثمها

ولكن ستلقى دون ذاك اثاما

وزارة خداع اقامته بيننا

يد الحاكمين الأثمين فقاما

— بعد الحكم على الشيخ جاويش ص ٦٧ يقول :

(٨٧) العدد ٢٢٤٨ من جريدة « اللواء » فى ٨ أغسطس سنة ١٩١٠ .

يا ليت شعري هل بدا
فى مصر يوم أقمتم
حتى تصارينا الحكو
مة عنمنا نألم
وتسومنا سوء العقو
بة حينمنا نسترحم

— والى أعضاء الحكومة تحت عنوان « احتقار ام اغتصاب ؟ »
يقول ص ٧٤ : —

فتزلزت أقدامكم من هولها
وهرعتموا فرعا الى الابواب
ورضيتوا الهرب المعيب لأنه
خير من الافلاس عند حساب

— ثم يقول صفحة ٧٥ للوزارة : —

عار عايكم أن يقال وزارة
لم تدر ان سئلت بيان جواب
هربت فرارا من ميادين السؤا
ل وسجلت ما سجلت من عاب

— وفى صفحة ٧٧ يقول فى « أمة مصرى ينوح على مصر » :

ظلمات من المظالم أودت
بضياء الحياة بعد الحياة
يشتكى الشعب والقضاة خصوم
قل من يشتكى خصام القضاة

— ثم يقول الغياثى موجها حديثه الى « سمو الأمير » ص ٥٥ و ٥٦ :

وتياس من آمالنا فيك كلما
قضيت علينا ان نكون غضابا
وارضيت اعداء البلاد وأهلها
وأصليتنا بعد الوفاق عذابا
رويدك يا عباس لاتبلغ المدى
ولا تسلمع للظالمين خطايا

— ثم لتقريظه جريمته دنجرا الهندي (الذي قتل السيركيرزون ويللى) والوردانى (لقتله بطرس باشا غالى ناظر النظار) ، فيقول « الى دنجرا قبل الاعداء » ص ٦٠ و ٦١ : —

هنيئا فقيد الهند نلت مدى المجد
وخلدك التاريخ فى مصر والهند
وقدمت نفسك للفداء كبيرة
لتبعث وجدا فى النفوس على وجد
يموت ولكن لايموت جهاده
وعما قريب تصبح الهند للهندي

— والى « دنجرا بعد الاعداء » صفحة ٦١ يقول :

كيف أرثيك دنجرا بمقال
يصدع القوم أنه اجرام
مت بالأمس والمماة حياة
خلدتها لذكرك الأيام

فسلام عليك والدمع جار
وسلام وفي القلوب ضرام

ـ والى ابراهيم افندى ناصف الوردانى يقول ص ١٠١ :

هل خال ابراهيم عند وفاته
املا من الآمال دون حياته

حتى كأن الموت من رغباته
ليكون في الأحياء بعد مماته

ـ والى ناظر الحقانية (وزير العدل) صفحة ٦٣ و ٦٤ يقول
الغياى :

حكمت فلم تنصف وقلت فلم تصب
ورمت مراما دونه الله والناس

وبحت بأسرار الوزارة معلنا
وأبديت مالم بيد غالى وعباس

فأغضبت فى مصر القضاء وأهله
وأرضاك أن يرضى خوؤن ودساس

فلاتك بعد الآن للعدل مؤثلا
فغيرك بعد الآن للعدل حراس

وحارب بسيف الظلم من شئت بيثنا
فغاية ما يغنى عن الظلم افلاس

ـ وأخيرا فهو يقرظ الشيخ جاويش صفحة ٦٨ قائلا له :

ياسساكن السجن الكريـ
ـم وأنت نعم الأكرم
ما السجن للشرقاء الـ
ـلا رفعة وتنعـم
أنت البريء ومن يخـا
لك مجرما هو مجرم

((محاكمة الزعيم محمد فريد))

ذكرنا أن معظم القصائد التي احتواها كتاب « وطنيتي » لعلى الغاياتي ، سبق للصحف نشرها في حينها ، ولم تجد النيابة فيها ما يستدعى المحاكمة ، إلا أن الوزارة - أخذا بسياسة الشسدة التي انتهجتها حيال الحركة الوطنية - أوعزت الى النيابة بالتحقيق فيما ورد بالكتاب ، فأمرت بمصادرته ، وأخذت تحقق مع مؤلفه ، ومع الشيخ جاويش ، وأصدرت حكمها المتقدم ، أما الزعيم محمد فريد ، والذي اشترك أيضا في تقديم الكتاب ، فقد كان أثناء التحقيق في أوروبا يدافع عن قضية مصر ، وقد أرجأت النيابة إجراءاتها معه حتى يعود (٨٨) ٠٠٠

وإذا كان من الثابت أن الزعيم قد كتب مقدمته دون أن يطلع على محتويات الكتاب ، بل وقبل أن يتم الاستاذ الغاياتي من وضعه ، فلقد سلمها اليه في فبراير سنة ١٩١٠ ، بينما الكتاب لم يظهر الا في يوليو سنة ١٩١٠ ، وكان الزعيم قد سافر الى أوروبا في ٥ مايو ، فلم يكن من سبيل الى أن يراقب ما يحتويه الكتاب ، أما المقدمة في ذاتها فليس فيها ما يؤخذ عليه ، ومهما قلبت الطرف في عباراتها ، لاتجد فيها أية مسئولية قانونية ، ومع ذلك عدته النيابة شريكا للمؤلف في التهمة ، ولقد كانت الحكومة تريد بالحكم المتقدم على

(٨٨) عبد الرحمن الرافعي ، محمد فريد رمز الاخلاص والتضحية ، ط ٣ (القاهرة ، النهضة المصرية ، ١٩٦٢) ص ٢٢٧ - ٢٢٨ .

الشيخ جاويش ألا يعود فريد بك الى مصر ، وقد أشاع خصومه أنه اعتزم أن لا يعود خوفا من الحكم عليه ، فنفى هذه الاشاعة وهو في أوروبا ، ونفاهسا عنه أصدقائه والأقربون في مصر ، ويرى الرافعي (٨٩) أنه بلغ من تأصل الوطنية الصحيحة في بيت الزعيم أنه تلقى من كبرى كريماته خطابا بتاريخ ١٤ أغسطس ، ترغب اليه في الحضور ، قالت : « ولنفرض أنهم يحكمون عليك بمثل ما حكموا به على الشيخ عبد العزيز جاويش ، فذلك أشرف من أن يقال بأنكم هربتم ، وما تحملتم الهوان في سبيل وطنكم » ، وختمت خطابها بقولها : « وأختتم جوابي بالتوسل اليكم باسم الوطنية والحرية ، التي تضحون كل عزيز في سبيل نصرتها أن تعودوا ، وتتحملوا ألام السجن » . فهذه البطولة التي تتجلى في ذلك الخطاب الكريم هي ثمرة الوطنية الحققة التي غرسها الزعيم في أقرب الناس اليه واعزهم لديه .

وقد بدأت النيابة العمومية في التحقيق مع الزعيم ، اثر عودته الى مصر في أواخر ديسمبر سنة ١٩١٠ ونظرت القضية أمام محكمة جنايات مصر يوم ٢٣ يناير سنة ١٩١١ ، فانعقدت المحكمة برئاسة المستر دلبروجلي ، وعضوية كل من أحمد ذى الفقار بك وأمين بك على ، وجلس في كرسى النيابة محمد توفيق نسيم بك ، وحضر الزعيم غير مصطحب أحدا من المحامين ، اكتفاء باقواله في التحقيق ، وأن التهمة في ذاتها لا أساس لها من الحق والقانون ، فلا تحتاج الى دفاع ، وقد سألته رئيس الجلسة عنها ، فأجاب قائلا : « في الوقت المنسوب الى فيه تقريظ الكتاب كنت غائبا عن مصر ، لأنه ظهر في آخر يونيه ، وأنا سافرت الى أوروبا في ٥ مايو ، أما المقالة فكتبتها قبل صدور الكتاب ، ولا علم لي بالمسائل التي فيه ، لأن كثيرا منها

(٨٩) المصدر السابق ، ص ٢٧٦ ، ٢٧٧ .

حدث ونظم شعره فى غيابه ، ولما كتبت المقالة كتبتها باعتقاد أنها مما لا يعاقب عليه القانون ، فقال رئيس الجلسة : انه لا يمكن لواحد أن يكتب عما لا يعتقده ، فكتابتك تدل الاستحسان لما فى الكتاب ، فأجاب الزعيم : « أنا لم أحسن الكتاب ، لأنى كتبت المقالة بدون أن أتعرض لما فى الكتاب ، وهى مما يصح أن ينشر فى جريدة أو مجلة أو كتاب ، وأنا قصدت بكتابتى الشعر من حيث هو » (٩٠) ، وقد صدر حكم المحكمة بحبس الزعيم ستة أشهر مع النفاذ .

وقد علق الرافعى على ذلك بقوله (٩١) : « ٠٠٠ وتبين للجميع أن القصد من رفع الدعوى العمومية لم يكن محاكمته على أمر معاقب عليه ، وإنما هو التنكيل به وبالحركة الوطنية ، والقاء الرعب والفرع فى صفوف أنصارها ، لينصرف الناس عنها ، تفاديا من مثل هذا الاضطهاد الذى لقيه الرئيس » ، « ٠٠٠ ان الزعيم لم يحاكم من أجل المقدمة التى كتبها ، بل من أجل موقفه العدائى من الاحتلال والحكومة ، وأن الغرض من محاكمته انما هو ارهابه ومعاقبته على اخلاصه فى جهاده » ، « لقد كانت المحاكمة مأساة قضائية ووطنية واخلاقية ، تلقى ظلا كثيفا على الحركة الوطنية » .

(٩٠) جريدة « اللواء » ، العدد ٢٤٨٧ فى ٢٣ يناير سنة ١٩١١ .

(٩١) « محمد فريد رمز الاخلاص والتضحية » صفحات ٢٧٨ و ٢٧٩

« أقوال الصحف فى قضية الغاياتى »

علقت الصحف جميعا على الأحكام التى صدرت فى قضية « وطنيتى » للغاياتى ، ولم ترض عنه واحدة منها لأنه « صادر ضد رجل من ذوى الأعلام » وقد استوت فى ذلك صحف المسلمين والاقباط والأجانب (٩٢) ، خاصة جريدة « المقطم » - المعروفة بميولها الاحتلالية - التى « شق » عليها « وهاج » عواطفها أن يصدر ذلك الحكم على خصيمها العتيد ، « وكأن ذلك الخصم القديم قد انقلب فى شعورنا دفعة واحدة الى صديق حميم » (٩٣) .

وقالت جريدة « الأجيشيان جازيت » : بأن الدلائل تدل على أن النيابة لاتعمل بمفردها فى تحقيق قضية الغاياتى ، بل ثمة يد انجليزى من وراء ستار لادارة التحقيق » (٩٤) .

وتحدثت (لوبرو جريه) قائلة بأن الجزء الأكبر من كتاب الشيخ الغاياتى عبارة عن ترجمة لقطع من الأدب الأوروبى - تقصد الأناشيد الوطنية الفرنسية ومنها المارسليليز - وأنها لم ترفيه الا تبسيطا يناسب العقلية المصرية ، ولكنه يهدف الى جذب القارىء بافهامه « أن محاربة الانجليز وحلفائهم ، والخديو وحكومته ، عمل

(٩٢) و (٩٣) « العلم » فى ١٩١١/١/٢٧ ، و « المقطم » فى ١٩١١/١/٢٣ ،

من ابراهيم عبده ، مرجع سابق ، ص ٢٠١ .

(٩٤) أنور الجندى ، تطور الصحافة العربية فى مصر ، (القاهرة ، مطبعة

الرسالة ، ١٩٦٧) ص ١٦٦ .

من الأعمال الوطنية» (١٥) ، ولكنها عادت مرة أخرى تتحدث عن هذا الكتاب فقالت انه مؤلف سياسى لا أدبى ، ولم يكن أمامها من دليل تذكره الا أن محمد فريد بك والشيخ جاويش قدماه الى القراء ، ونادت الصحيفة بأنه اذا كانت النيابة قد وجهت التهمة الى الشيخ الغيايتى ، فيجب أن توجهها ايضا الى الاثنين الآخرين (١٦) .

وقد كتبت جريدة « ايجبت شاناخ شتن » مقالا عنيفا كل العنف تحمل فيه على الحكومة حملة شعواء ، وتدافع عن فريد بك دفاعا لم نشهده فى أكثر الصحف العربية وطنية . وتساءلت عن الجريمة التى اقترفها زعيم الحزب الوطنى ، وقررت أن مقدمة الكتاب لم تخرج عن كونها دراسة أدبية عامة ، وأبدت دهشتها من أن هذه المقدمة كتبت قبل اصدار الكتاب بشهرين ، وأن أكثر القصائد التى ضمها الكتاب كانت قد نشرت فى جريدة (اللواء) دون أن تتخذ الحكومة أى اجراء حيالها ، ولذا لم يدر فى خاطر فريد بك أن مافى الكتاب يقع تحت طائلة القانون ، بدليل عدم اهتمام الحكومة بما نشر فى (اللواء) ، واستبعدت الصحيفة عن نفسها شبهة مهاجمة الحكم فى ذاته خوفا من أن ينالها مانال غيرها ، ولكنها ذكرت فى صراحة أنها لاتصفق لهذا الحكم ولا توافق عليه ، وانها واثقة كل الثقة من أن القضاة قد أصدروا حكمهم لا عن عاطفة صحيحة ولا عن تبصر معقول صادق ، ولكنهم نفذوا حرفية القانون ، « والقانون فى ذاته هو الشيء ، مادام يؤدى الى هذه النتائج الخرقاء » . واستطردت الجريدة فى كلامها قائلة ان الحكم على فريد بك كان نتيجة طبيعية « لما اختطته الحكومة لنفسها من نهج خلال السنتين

(١٥) محمود نجيب أبو الليل ، الامانى الوطنية والمشكلات المصرية فى الصحف الفرنسية ط ١ (القاهرة ، مطبعة التحرير ، ١٩٥٢) ص ٢٠٤ ، العدد الصادر فى ١٢ يوليو سنة ١٩١٠ .
(١٦) عدد ١٦ يوليو سنة ١٩١٠ ، عن المصد السابق ، ص ٢٠٤ .

الماضيتين حيال الصحف والنشر والاجتماعات ، من انذار وتعطيل للصحف ، وسجن ونفى للكتاب والخطباء « (٩٠) .

وقد طالب ريمون كولرا في « ليجبت » : سمو الخديو أن يستعمل حقه في العفو عن فريد بك ، ذاكرا أن الرأي العام جميعه ، والصحفيين منه خاصة يشاركونه هذا الرجاء (٩٨) ، ولكن « ايجبتشاناخر شستن » تذكر أنها لاكتفى بذلك بل ترجو أن ترجع الحكومة عن تصرفاتها حيال حرية الرأي ، وتنتهج لنفسها خطة جديدة نحو الصحف الوطنية والاجنبية ، تقوم على الأفكار الحديثة في الحرية والتساهل ، وأن هذه الفرصة هي أنسب الفرص لاتخاذ هذا الاجراء ، الذي يكون له اثره الحميد بين مختلف طوائف الشعب المصرى ، فتطبق بذلك المثل القائل « رب ضارة نافعة » ، فربما كان الحكم على فريد بك ، على ما فيه من ضرر ، له أكبر النفع في أن تعود الحكومة فتقرب ما بينها وبين الشعب الذى تحكمه (٩٩)

وعن « كيف تقرظ الكتب ؟ » نشرت « اللواء » مقالة بتوقيع «طائف» يقول فيها – تعليقا على قضية تقريظ «وطنيتى» للغاياتى (١٠٠)

(٩٧) في العدد الصادر يوم ٢٣ يناير سنة ١٩١١ ، من المرجع السابق ، ص ٢١٥ – ٢١٦ .

(٩٨) في العدد الصادر يوم ٢٣ يناير سنة ١٩١١ ، من المرجع السابق ، ص ٢١٧ .

(٩٩) في العدد الصادر يوم ٢٤ يناير سنة ١٩١١ ، من المرجع السابق ، ص ٢١٧ .

(١٠٠) جريدة « اللواء » ، العدد ٢٣٢١ في ١٩ يوليو سنة ١٩١٠ ، ص ١ .

بأن التقرير في هذا البلد أصبح ضربة لازب على كل كاتب يطلب منه ، فان تولى عنه فانه لا يتخلص من استماع عبارات تقرير المؤلف لكتابه ، الا باستماع عبارات الالحاف والتوسل في الرجاء والعتاب الثقيل ، ويطالب حضرات المؤلفين بارسال كتبهم الى المرقطين مع البريد - وليس مع أنفسهم - ليكون لهم الوقت الكافي للاطلاع ، ويطالب المؤلفين الذين يحبون أن تقرظ كتبهم بلا بحث ولا نظر ، بالاحتجاج على القوانين الجديدة ، وقانون المطبوعات ، بشدة تماثل شدة الحكومة الحاضرة ، لتعود المياه الى مجاريها .

ثم تعلق الجريدة - في نفس العدد - بقولها « ليس كل مايكتب في المدح والثناء والذم حقيقى ، فان أكثره مبالغ فيه ، وانه لا يستنهض الهمم ، والدليل على ذلك قول شوقى بك :-

(والشعب ان رام الحياة كبيرة
خاض الغمار بما الى آماله)

وعلقت « الاهرام » بأن مثل هذا النوع من المحاكمات - محاكمة محمد فريد بك - سيكون محضاً يحرك الجمر الذى غطاه الرماد - رماد السكون والهدوء (١٠١) .

(الفصل الثالث)

(هجرتي بعد وطنيتي)

- في الآستانة
- ثم الى جنيف
- منبر الشرق
- الى مصر مرتين

« في الآستانة »

بعد أن أصدر الشيخ على الغياتي « وطنيتي » في منتصف عام ١٩١٠ ، وحدث بعدها ماحدث من تطورات ، أدت الى قراره خارج الوطن ، فرارا استمر ٢٧ عاما ، عزم خلالها على أن يجمع مقالاته في الخارج ، وقصائده الشعرية ، في كتاب يسمى « هجرتي » ، وقد ظلت هذه الأمنية تلازم الغياتي منذ عودته نهائيا الى مصر سنة ١٩٣٨ (١) ، حتى قبل وفاته الى رحمة الله بأربعة أشهر ، حيث نشر تحت عنوان « هجرتي بعد وطنيتي » (٢) يقول : « كنا نرجو منذ أعوام خلت أن نستطيع القيام بجمع وطبع كتاب (هجرتي بعد وطنيتي) وهو مجموعة نادرة لما سطرناه شعرا ونثرا في خلال غربتنا الطويلة ، ولكننا لم نوفق لانجاز ذلك الى الآن ، ونحن اليوم نجدد هذا الرجاء ، وسنعمل قريبا على تحقيقه بعون الله » .

وفي هذين الفصلين (الثالث والرابع) ، نحاول أن نحقق أمنية ذلك المجاهد الوطني ، والتي لم يستطع أن يحققها ، ويخرجها الى النور ، في حياته .

(١) جريدة « منبر الشرق » ، العدد الثالث ، في ١٢ يونيو سنة ١٩٣٨ ،

ص ٨ .

(٢) جريدة « منبر الشرق » ، العدد ٨٧٤ ، في ٤ مايو سنة ١٩٥٦ ،

ص ١ .

ذكرنا أن الغيايتى خرج من القاهرة يوم الثلاثاء ٥ يوليو سنة ١٩١٠ ، قاصدا الاسكندرية فى طريقه الى تركيا ، وقد تعرف بالقطار على ضابط تركى ، قدم له نفسه باسم آخر هو (على محمود) ولكن الضابط التركى ظل يناديه طوال الرحلة بمحمود صالح أفندى !! ، وقد سافر الغيايتى بدون جواز سفر ، حيث أن ذلك لم يكن له أهمية فى ذلك الوقت ، وعندما وصلت « الباخرة الخديوية » الى استانبول ، قال الغيايتى للضابط ، أنه أخفى عنه حقيقة اسمه لأنه كان فارا من وجه السلطات البريطانية ٠٠٠ ، وأن اسمه هو : على الغيايتى ، فضحك الضابط طويلا ، وأخذ يتجاذب معه أطراف الحديث ، فلما استأذن منه للانصراف ، وقف يودع الغيايتى وهو يقول : « مع السلامة محمود صالح أفندى !! » ، وقد روى مراسل جريدة « المقطم » فى الاستانة - الاستاذ ابراهيم النجار - رواية أخرى ، يقول فيها (٣) : انه اجتمع بالشيخ على الغيايتى ، فحدثه فى أسباب فراره ، قأنبأه - بعد أن أعطاه نسخة من ديوانه - بأنه طبع منه ألفى نسخة وزع منها ألفا وستمئة قبل سفره (فى الفصل الأول قال ألف نسخة فقط) .

كما أخبره بأنه قد غير ملابسه الأزهرية وارتدى طربوشا ، وحمل شمسية زيادة فى التخفى عن أعين البوليس ، وقد التقى بكبير من رجال الضبط ، فخاف أن يعرفه ، وكان معه كتاب من صاحب جريدة « دار الخلافة » التى تطبع فى الاستانة ، لوكيله يقول له فيه ، بأنه يأذن « للغيايتى » فى تحرير الجريدة عند وصوله ، فمزق « الغيايتى » ذلك الكتاب ، حتى اذا قبضت الحكومة عليه لانتهمه بالفرار من وجه القضاء ، الا أن رجل الضبط هذا لم يستطع التعرف على : « الغيايتى »

(٣) نقلا من جريدة « اللواء » ، العدد ٢٢٣٧ ، فى ٢٦ يوليو سنة ١٩١٠ ، .

وقد نظم « الغياتى » قصيدة طويلة عند بدء فراقه للوطن
العزیز ، وهو على سطح الباخرة فى الاسكندرية يوم ٦ يوليو .
بعنوان « هجرتى بعد وطنيتى » يقول فيها :

وعند فراق الثغر أسيلت دمة
ورب فراق أنكرته المدامع

لئن كان غيرى قد عصته دموعه
فان عصي الدمع عندي طائع(٤)

وفى « الاستانة العلية » - كما يقول الغياتى - علم بأن
الحكومة بدأت فى تفتيش المنازل والمكتبات ، والمحلات ، عن أى
نسخة من ديوانه ، حتى أن ثمن النسخة منه ارتفع من خمسة قروش
الى مائة قرش ، ومع ذلك لم يصل الى يد « الغياتى » الا ستة جنيهاً
فقط ، حملها اليه أحد أصدقائه الذين وفدوا اليه من القاهرة ، وقد
علم أيضاً « الغياتى » هناك ، بأن محكمة الجنايات فى مصر ، قد
حددت لمحاكمته ومحاكمة الشيخ جاويش يوماً محدداً ، وكانت جنح النشر
والصحافة تنظر أمام محكمة الجنح ، الا ان الحكومة عدلت القانون ،
وجعلت الاختصاص فى نظر قضايا الصحف جميعاً - ولو كانت
جنحاً - لمحكمة الجنايات ، وكان أول تطبيق لهذا التعديل فى قضية
ديوان « وطنيتى » ! .

وعندئذ أرسل « الغياتى » كتاباً الى جريدة « الاهرام » (٥) ،
به جزء من مقدمة كتابه ، وان هذه المقدمة تحتوى على عدة أغراض
وشؤون وطنية ، لم يطلع عليها أحد من قبل « فأين كان فريد بك

(٤) مختار الوكيل ، مرجع سابق ، ص ٢٠٨ .

(٥) عن جريدة « اللواء » ، العدد ٢٢٢٨ ، فى ٧ يوليو سنة ١٩١٠ ،

ص ٤ .

والشيخ عبد العزيز ، أما والله انهما لأبعد عن سوء ما يظنون وأبرأ الناس من أسرارى وغاياتى » ، ثم يقول : « ماذا جنيا وقد جئتكما راجيا أن ينفحاني بكلمات من كلماتهم الحكيمة فى الشعر وتأثيره فى تربية الأمم قائلا لهما عن حسن نية : انى سأجمع مانظمته فى الحوادث الوطنية فى كتاب أسميه (وطنيتى) وقد شئت أن يكون لكتابى ميزة بقولكما وخطكما ورسمكما ، وأنتما أعلم بأننى لا أعنى بالنظم فى غير الشئون التاريخية النافعة ، وقد عرفت ما نشرته فى « اللواء » و « العلم » مذهبى فى الشعر فعسى أن تجيبا رجائى بعد ذلك ، وقد سألتكما اجابة هذا الرجاء المرة بعد المرة حتى أجاباه ، ولم يريد أن يجعل كلمتيهما تقریظا بحثا لكتاب لم يعرفا محتوياته الا قليلا بل سلكا مسلك الحكمة فيما كتباه » ، وأكد الغاياتى على أن فريد بك قد أعطاه كلمته « مسودة » وقد سافر الى أوروبا ، وهو الآن لم ير كتابه ، ولم يعلم من أمره الا انه متهم أمام الحكومة لأجله !

كما قال الغاياتى فى كتابه السابق « للاهرام » بأنه قد تعرف فى رحلته الى الآستانة ، مستشرقا ألمانيا ، وعد بترجمة كتابه الى الألمانية والفرنسوية ، وهو يريد السفر معه الى ألمانيا أو سويسرا ، ليتعلم ماشاء ، ويقضى رحلته فى خمس سنين يعود بعدها الى مصر ، ولكننا لم نتأكد من قيام هذا المستشرق بتلك الترجمة .

وقد شاع فى أنحاء مصر — والغاياتى كان ما يزال فى استانبول — بأن الغاياتى قد غادر الاستانة فى طريقه الى سويسره ، لعلمه بأن الحكومة المصرية بعثت تطلب من الاستانة تسليمه اليها ، وقد رجحت جريدة « اللواء » بأن الحكومة المصرية لن تطلب تسليم الغاياتى من الحكومة العثمانية ، لأنها اذا فتحت هذا الباب ، سألتها الحكومة العثمانية ان تسلمها جميع الرجعيين المقيمين فى

مصر ، وكثيرون منهم قد صدرت عليهم أحكام من المحاكم . ثم قالت الجريدة : « على انه اذا كان فى نية الحكومة أن تطلب تسليم الغاياتى ، فانما تطلبه اذا صدر عليه حكم لا قبل الحكم » (٦) .

وقد نشر الغاياتى قصيدة طويلة فى الاستانة . بعد أن علم بتفتيش البوليس لداره فى القاهرة ، وكيف أن البوليس تركها على أسوأ حال ، يقول فيها (٧) :

فماذا رعى العادون فى دارى التى
أحسن اليها كلما راح لامع

لقد أبصروا الأقلام والكتب بينها
فيا ليتها إذ أبصروها مدافع

وعند مرور الزعيم محمد فريد بالاستانة قادما من أوروبا فى طريقه الى مصر ، ذهب الغاياتى لمقابلته ، وعرض عليه - من منطلق الوطنية - أن يعود معه ، لو كان فى ذلك تحسين لمركزه أمام القضاء المصرى ، أو تخفيف لمسئوليته ، ولكن فريد رفض هذه الفكرة وبقي الغاياتى فى استانبول ، حيث ذهب بعد ذلك لزيارة فريد بك بفندق (تاكو تليان) الشهير باستانبول ، فدخل بعض الضباط الشبان فى الجيش التركى ، فقدم فريد بك أحدهم الى الغاياتى وهو يقول : « عزيز على المصرى » وكانت هذه هى المرة الاولى التى يتعرف فيها بذلك الضابط ، الذى عاد الى مصر بعد انتهاء الحرب العالمية الاولى ، وشغل منصب رئيس أركان حرب الجيش المصرى ، وكان القائد الروحى لثورة ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ .

(٦) جريدة « السواد » ، العدد ٣٣٣٩ ، فى ٢٨ يوليو سنة ١٩١٠ ،

(٧) جريدة « منبر الشرق » ، العدد الثانى ، ٥ يونيو سنة ١٩٣٨ ،

ويقول الغيايتى فى ذكرياته فى الاستانة(٨) ، بأنه قد نشر قصيدة طويلة فى مجلة من أشهر المجلات التركية التى كانت تصدر هناك آن ذاك واسمها « صراط مستقيم » وجعل عنوانها « هجرنا بعد وطنيتى » ، وقد أسمع هذه القصيدة قبل نشرها لكل من المرحوم محمد بك فريد ، وكان معه المرحوم عزت شكرى بك ، وذلك فى صباح أحد الايام بقهوة (طوقتلان) الشهيرة ، فحازت الرضى والاستحسان ، ولكنها لم تحز مثل ذلك بالطبع لدى ذوى الأمر هنا فى تلك الأزمان الغابرة ، يقول فى بدايتها : -

ايمنعنى خوض الكريهة مانع
وهذا يراعى قد برقه المعامع
بلوت الليالى وهو سود عوابس
وعدت فعادت وهى بيض نواصع
وفيهما يقول أيضا :

ولست أرى سجن الكرام مهانة
ولكنه للمجد والحمد جامع ٠٠!
فان سجنوا (عبد العزيز) فانه
له بين حبات القلوب مراتع
وراموا (فريدا) مثله وترقبوا
لقاه ، وفى هذا اللقاء مصارع
اذا كنت بالتأليف أصبحت جانيا
وسجنى عاما فيه للحر قانع ٠٠!

(٨) جريدة « منبر الشرق » ، العدد الثالث ، ١٢ يونيو سنة ١٩٣٨ ، ص ٨ .

فما كان تقرّظ الكتاب جنّاية
ولكن أعداء البلاد تخادع ٠٠ !

لقد حبسوها فرصة فترّبصوا
عسى أن تروع الشعب تلك الزعازع
وما الشعب إلا صارم جاد صقله
وكل سيجنى منه ما هو زارع

الى أن قال :

وما (هجرتي) من مصر هجرة هاجر
لها أوجبان روعته الروائع
ولكنها والشعب يشهد هجرة
لها أثر بين المصامد شائع
فتحت بها حصنا فمن شاء أمه
وبات به يرمى العدا وهو دارع

وقد تولى « على الغاياتى » عند وصوله الى دار السعادة
(استانبول) ، رئاسة تحرير جريدة عربية أسبوعية ، كانت تصدر
فى عاصمة السلطنة العثمانية تسمى « دار الخلافة » ، كان صاحب
امتيازها « عبد الوهاب عبد الصمد » وهو شاب من طرابلس الغرب
(بلّيبيا) كادت له صلات مقينة برجال الاتحاد والترقى فى تركيا ،
والحزب الوطنى فى مصر ، وقد كتب على رأس الجريدة فى أول
الأمر أن المدير المسئول ورئيس التحرير هو : « الشيخ ع. غ. » ،
ثم استعيض عن ذلك - بعد قليل - بالاسم الصريح : « على
الغاياتى » ، فحل محل الشيخ ع. غ. المذكور ، وقد صودرت بالطبع
هذه الصحيفة فى القطر المصرى بسبب مقالات مديرها الجديد
الملتفة حماسة وشبابا !

وقد كانت هذه الجريدة أقرب الى صوت الحزب الوطنى فى الخارج ، فقد هاجمت الوجود الاحتلالى بأقصى عنف وشبهت طغيان الانجليز بطغيان السلطان عبد الحميد ، كما لم تتوان عن نشر اشعار تهاجم الخديو وذلك فى عددها الصادر يوم ١٣ سبتمبر سنة ١٩١٠ ، وتطالبه بالثورة وسفك الدماء ، وأكثر من ذلك ان كل اعداد « دار الخلافة » تقريبا قد امتلأت بتمجيد ذكرى الوردانى « (٩) (ابراهيم ناصف الوردانى الذى قام باغتيال بطرس باشا غالى رئيس الوزراء المصرى فى فبراير سنة ١٩١٠) .

وقد نشر « الغاياتى » فى جريدة « دار الخلافة » فى عددها الصادر يوم ٩ من رمضان سنة ١٣٢٨ هـ الموافق ١٣ من سبتمبر سنة ١٩١٠ م ، قصيدة تحت عنوان : « مصر ودار السعادة » يقول فى مطلعها (١٠) :

دار السعادة هل أتاك مخبر
يشكو لديك شقاء مصر وينشر ؟
النيل من حمى المدامع فائض
والوجد فى أحشائه يتسعر
لهفى على النيل الحزين وشعبه
وفؤادى المضنى به يتفطر

وقد غادر الغاياتى استانبول يوم ٢٩ نوفمبر سنة ١٩١٠ ، متجها الى جنيف ، مارا بفيينا .

(٩) يونان لبيب رزق ، الحياة الحزبية فى مصر فى عهد الاحتلال البريطانى (١٨٨٢ - ١٩١٤) (القاهرة ، الانجلو المصرية ، ١٩٧٠) ص ٢٥٧ - ٢٥٨ .
(١٠) حريدة « منبر الشرق » ، العدد الثامن ، فى ١٦ يوليو ١٩٢٨ ،

(ثم الى جنيف)

وصل الغاياتى الى جنيف قادما من الاستانة مساء يوم السبت ٣ ديسمبر سنة ١٩١٠ ، وذلك بقطار الشرق الذى غادر الاستانة مساء الثلاثاء ٢٩ نوفمبر ، مارا بفيينا عاصمة النمسا فى مساء الخميس التالى ١٠ اما لماذا اختار هذه المدينة بالذات فيقول : لأنه سمع من محمد فريد أن بها عددا غير قليل من شباب العرب وفدوا اليها من اقطار عربية مختلفة ، وانهم فى حاجة الى من يدرس لهم اللغة العربية ، ولما تهيأ للسفر الى جنيف اهتم بتعلم اللغة الفرنسية ، وكان قد بدأ يتلقى بعض دروس فيها فى مصر ، فى تلك المدرسة التى انشأها الشيخ جاويش ، ليتعلم فيها الشبان الأزهريون هذه اللغة ، ويلموا بشيء من الثقافة الحديثة ، فلما هاجر (الغاياتى) الى استانبول ، استأنف دروسه فى الفرنسية على يد مدرس يهودى بها ، كما كان يعلم نفسه بقراءة اسماء المحال التجارية المكتوبة على اللافتات ، وفى هذه الفترة وصل الدكتور محمود عزمى (الصحفى المشهور ، وأول عميد لمعهد التحرير والترجمة والصحافة بجامعة القاهرة) الى استانبول ، فالتقى بالغاياتى وغيره من الشبان المصريين واللاجئين ، الى عاصمة الخلافة ، وقد أطلع عزمى - الذى كان مايزال طالبا ضمن البعثة العلمية المصرية الى باريس - خطابا ورد من خطيبته الفرنسية - والتى تزوج منها فيما بعد - الى الغاياتى واخوانه فى قهوة (مسرة) باستانبول ، وقد اعتبر الغاياتى الاستماع الى هذا الخطاب درساً فى الفرنسية !!

وقد استقبل الغاياتى على محطة جنيف عند وصوله (١١) ،
أحد الطلبة المصريين الوطنيين وهو الأستاذ خليل مذكور (الموظف
الآن بادرة الأزهر الشريف - سنة ١٩٥٤) ، ومع ذلك فلقد كان
احساس الغاياتى بالغربة عن أرض الوطن فى بداية الأمر ، شديدا
لدرجة جعلته ينظم شعرا « باللغة العامية » يقول فيه (١٢) :-

ياتيل أنا بشكى الهوى
من يوم ماشفتك فى هوان
حبك رمىانى بالنوى
ورمىاك بأشجانى كمان

ومن طريف ذكرياته الأولى فى جنيف (١٣) ، أنه بعد أن خلع
الزى العربى ، وارتدى القبعة والبدلة ، أراد أن يسجل لنفسه صورة
بالعمامة والجبّة والقفطان توديعا لزيه ، فذهب الى أحد المصورين
بهذا الزى ، وتصادف أن السويسريين كانوا يحتفلون بأحد أعيادهم
القومية ، ويسمى « عيد التسلق » ، وهو عيد يلبس فيه السويسريون
ملابس تنكرية ، فظن الاطفال ، أن الغاياتى يشارك فى هذا العيد
بهذا الزى الغريب ، فالتفوا حوله ، وأخذوا يشيرون اليه مبتهجين
ضاحكين ، وهو يحسب أنهم يضحكون من عفته وجبته ، وهم غي
واقع الأمر . معجبين باختياره زيا لم يفطن أحد الى ارتدائه !!

وكان أول ما اتجه اليه اهتمام الغاياتى ، هو البحث عن الشبان

(١١) حريدة « منبر الشرق » ، العدد ٨٠٨ ، فى ٣ ديسمبر سنة ١٩٥٤ ،

ص ١ .

(١٢) جريدة « منبر الشرق » ، العدد السادس ، ٣ يوليو سنة ١٩٣٨ ،

ص ٨ .

(١٣) فتحى رضوان ، عصر ورجال ، ص ٣٠٨ - ٣١٠ .

العرب الذين قال عنهم فريد . أنهم كثيرون في جنيف . وأنهم في حاجة الى مدرس في اللغة العربية ، فلم يجد لهم اثرا ، فاضطر الى عرض نفسه على ادارة معهد (لانس) لتعليم اللغات ، ليعلم به العربية لن يحب أن يتعلمها من السويسريين والاوربيين الآخرين ، وفي هذا الوقت كان الخديو عباس قد عزل من عرش مصر (تولى السلطان حسين كامل عرش مصر من بعده يوم ١٩ ديسمبر سنة ١٩١٤) ونشر في الصحف أن ولديه عبد المنعم وعبد القادر سيفدان الى جنيف ، وسيلحقان فيها بمعهد (لانس) ، وفي ذات يوم كان الغياتي في أحد ابهاء هذا المعهد ، فلقى شابين مصريين ، فوقف يتجاذب معهما الحديث فقال انه سمع ان ولدى الخديو سينخرطان في سلك هذا المعهد ، فأمن الشابان على هذا القول ، فتساءل : متى ياترى سيحضران ؟ فقال أحدهما : أنهما حضرا الى المعهد بالفعل ، فقال الغياتي : واين هما الآن لأراهما ؟ فقال الشاب :

« انهما معك .. يتحدثان اليك !! » .

وكان من بين الطلبة المصريين الذين عرفهم « الغياتي » في جنيف ، شاب وطني كريم اسمه « الأمير العطار » ، كان قد سبق أن عرفه في مصر قبل هجرته ، وكانت خطيبته ، ثم قرينته السويسرية الشقراء ، واسطة في معرفة الشيخ « على الغياتي » بصديقة لها ، لم يلبث أن اقترن بها بعد ذلك ، وكان « الأمير العطار » أحد شاهدي عقد الزواج ، والشاهد الثاني هو الأستاذ « خليل مذكور » .

وبعد زواج « الغياتي » بدأ يتطلع الى تعلم اللغة الفرنسية بدرجة اكبر ليتمكن من الدراسة في الجامعة ، وكان هو قد رغب في الالتحاق بكلية العلوم الاجتماعية ، وقدم طلبا بالفعل باعتبار أنه كان طالبا بمعهد دمياط ، وهو تابع للأزهر الشريف ، والأزهر عندهم يعتبر من أكبر الجامعات العربية ، وقد قبلوه فعلا بسجل

الطلاب الجامعيين في يناير سنة ١٩١١ ، وأخذ يحضر الدروس والمحاضرات المختلفة ، وكانت تعيينه في دراسته خطيبته ثم زوجته السويسرية ، فكانت تكتب له المذكرات ، وتعيّنه في فهم اللغة الفرنسية وإيضاح ما يستعصى عليه فهمه من عباراتها، ولكنه بعد أن بقي بالجامعة ثلاث سنوات ودرس فيها البرنامج المطلوب وسواه ، لم يتقدم لأي امتحان ولم يحصل على شهادة جامعية لأنه لم يستطع القيام بالتزامات المالية ، وكان قد سبق أن تزوج وأنجب ، ودمعته الحرب العالمية الأولى ، فقلت موارده لسفر أكثر تلاميذه إلى ديارهم ، ولغلاء المعيشة (١٤) .

وقد بدأ « الغاياتي » في مراسلة صحيفة الحزب الوطني حينذاك وهي « العلم » ، من مقر إقامته في جنيف ، مقابل ثلاثة جنيهات في الشهر ، كانت تعيينه - لو استمرت - على تكاليف الحياة هناك ، حتى يجد عملا ، ولكنه لم يتلق سوى مرتب شهرين اثنين فقط ، انقطع بعدهما وروده إليه ، وقد حزن حزنا شديدا بعد معرفته سبب ذلك ، فقد علم فيما بعد أن أحد الأشخاص - لم يذكر اسمه - اقترح للدفاع عن « محمد فريد » أن يقال أن « الغاياتي » كان مدسوسا عليه من الحكومة ، والظاهر أن هذا الاقتراح « الطائش » - وإن كان قد رفض - إلا أن الألسن تداولته ، وفي ظل هذه البلبلة التي أحدثتها ، رأى أن يقطع صلة جريدة الحزب بالغاياتي . . . وهكذا يساء إلى الأبرياء برعونة البلهاء » ، إلا أن الغاياتي استطاع أن يحصل على قوت يومه بتدريس اللغة العربية لبعض الشباب المصريين والعرب القليلين الذين كانوا يطلبون العلم في جنيف .

وقد علم الغاياتي وهو في سويسرا ، بأن الأحداث في مصر (خاصة بعد استقالة وزارة محمد سعيد باشا في ٣ أبريل سنة ١٩١٤ ، وتشكيل وزارة جديدة برئاسة حسين رشدي باشا في ٥

(١٤) مختار الوكيل ، مرجع سابق ، ص ٣١٢ - ٣١٣ .

أبريل) أن يشارك بقلمه وأفكاره فأرسل الى جريدة « الاهرام » ،
مقالا تحت عنوان « الوحدة الوطنية المصرية » (١٥) يقول فيها :
« أقدم اليكم تحيتى واحترامى ، وادعوكم الى ما يدعونى اليه ضميرى
ويبعثنى عليه وجدانى من العمل على جمع كلمة الأمة ، ومحو
ما يفرقها شيئا وأحزابا ، ويحول بينها وبين الوحدة الوطنية التى
قلما يجنى شئ بدونها فى تحرير البلاد ، وبلوغها المبلغ المأمول ،
وأسألكم بحق مصر عليكم أن تكتبوا فى هذا الموضوع الأساسى
لرقى الوطن وحياته كلمة ، بل كلمات ، تدعون فيها المصريين
كافة الى الاتحاد والوئام بدل الانقسام والخصام ، وتبينون لهم
ضرر تعدد الأحزاب ، وتفرق الكلمة ، وتشيرون عليهم بأن يستبدلوا
بهذه الأحزاب (١٦) ، حزبا واحدا هو « حزب الوحدة الوطنية »
الذى يجب على كل مصرى عاقل أن يعمل على ايجاده ، والانضمام
اليه ، حبا فى مصر ، وانقاذا لها من الهاوية التى رماها فيها راسى
الخلاف والتفريق ، والتى لا يمكن خلاصها منها مادامت على هذه
الحال . . . »

وقد علق رئيس تحرير « الاهرام » فى نفس العدد (الصادر
يوم ٨ ابريل سنة ١٩١٤) بكلمة بليغة مسهبة أقر فيها الغاياتى على
ما كتبه ، حتى لا يتدخل الانجليز فى كل صغيرة وكبيرة فى البلاد ،
ولأن « الوحدة الوطنية المصرية » هى وحدها سفينة النجاة ، بل
سلم الرقى والنجاح والاخلاص ، فمن أحب مصر عمل لها وحدها

(١٥) ابراهيم عبده ، جريدة الاهرام : تاريخ وفن ، (القاهرة ، سجل
الدرب ، ١٩٦٤) ص ٣٣٥ ، وقد أعاد الغاياتى نشر مقالته فى جريدته
« منبر الشرق » ، العدد ٣٣٧ فى ٥ يناير سنة ١٩٤٥ ، ص ١ .
(١٦) وهذه الأحزاب هى : الإصلاح على المبادئ الدستورية - الوطنى
الحر (الأحرار) - الحزب الدستورى - النبلاء - المصرى - الأمة -
الوطنى - ، راجع : يونس لبيب زق ، مرجع سابق ، ص ٢٣ : ٧١ .

دون سواها ، ومن كان حربا عليها ، كان حربا على مصر لا يريد بها خيرا ، ولا يرمى فيها ذمة ولا آلا ، .

وكانت البداية الحقيقية للعمل فى جنيف ، هى عمل الغاياتى بالترجمة والكتابة فى الصحف السويسرية ٠٠ أكثرها فى جنيف ، وبعضها فى لوزان وغيرها ، فعمل فى أكبر وأوسع صحفها وهى (تريبون دى جنيف) و (جورنال دى جنيف) و (لاسويس) ،

كما راسل جريدة (جازيت دى لوزان) بمدينة لوزان وكانت تدفع له ثلاثين فرنكا عن المقال الواحد ، وقد انتهى به الأمر الى أنه أصبح يتقاضى من (تريبون دى جنيف) مرتبا شهريا قدره ٣٠٠ فرنكا ، بعد أن كان يتقاضى مكافآت عن القطع التى يقدمها فقط ،

وقد ظل الغاياتى فى هيئة تحرير هذه الجريدة عشرة أعوام (من سنة ١٩١٤ الى سنة ١٩٢٤) وأصبح كسائر محرريها ، عضوا فى نقابة صحافة جنيف (١٧) .

* * *

(١٧) جريدة « منبر الشرق » ، العدد ٢٣٠ ، فى ٤ ديسمبر سنة ١٩٤٢ ،

(منبر الشرق)

(La Tribune d'Orient)

ولكن لما قامت الثورة المصرية فى سنة ١٩١٩ ، واخذ الغاياتى يدافع عنها ويدعو لها ، قل ماكانت تنشره الصحف السويسرية له ، وقد كان النشاط الصحفى محجورا عليه فى مصر والخارج خلال الحرب العالمية الأولى ، وقد استمرت الصحافة بين التضيق والتيسير ولم يكن هناك محل لصحف مصرية تصدر فى أوروبا ، خاصة بعد ان بدأت حياة مصر تستقر فى الداخل ، لولا الغاياتى (ذلك المصرى ذو التاريخ فى الحزب الوطنى(١٨) فلحسابه الخاص ، أصدر جريدة عربية فرنسية اسمها بالعربية : « منبر الشرق » وبالفرنسية : «La Tribune d'Orient» ، وكان المرحوم الاستاذ رياض الصلح (رئيس الوزراء اللبنانى بعد الحرب العالمية الثانية) قد اقترح عليه ان يسميها « منبر العرب » ، ولكن الغاياتى أثر أن تكون جريدته لسان حال حركات التحرير فى الشرق كله .

ويروى الغاياتى فى ذكرياته(١٩) عن تلك التجربة الفريدة فى تاريخ صحافتنا المصرية ، وكيف أنها كانت تصدر فى أربع صفحات ثلاث منها باللغة الفرنسية ، والرابعة باللغة العربية ، ولما لم تكن هناك

(١٨) ابراهيم مبدى ، تطور الصحافة المصرية ، مرجع سابق ، ص ٢٠٥ - ٢٠٦ .

(١٩) جريدة « منبر الشرق » ، العدد الاول ، فى ٦ مايو سنة ١٩٢٨ ، ص ١ .

فى جنيف مطبعة عربية ، فقد كان الغاياتى يكتب هذه الصفحة من أولها الى آخرها بخطه ، ثم تحفر على الزنكوغراف ، فاذا وقع فيها خطأ واحد ، لم يشطبه بل يعيد لكتابة الصفحة من أولها الى آخرها ثانية ، وتسمى هذه الطريقة بالألمانية (مانول) ، ولكن هذا المجهود أضناه ، أمام صفحة واحدة كثيرة المتاعب ، كبيرة النفقات ، فأشترى حروف مطبعة عربية من ألمانيا ، وتعلم صف الحروف ، وتولى بنفسه جمع حروف هذه الصفحة ، ولكنه لم يجد لهذه الصفحة العربية – والتي كانت تتقاضاه من الجهد ، مالا تتقاضاه الصفحات الثلاث الأخرى – صدى عند العرب ، فرأى الاكتفاء باصدارها باللغة الفرنسية ، وهى لغة البلاد التى تصدر فيها ، والأوساط التى تريد مخاطبتها ، وقد نمت وترعرعت وانتشرت فى الشرق والغرب ، وبات لها ذكر حسن واسم معروف ، وخاصة فى مركز جمعية الأمم التى عملت فيه ما استطاعت على خدمة مصر والشرق والاسلام ، ويرجع الفضل فى نجاحها كما يقول صاحبها ٠٠ اليه وإلى بعض البيوتات التجارية فى جنيف والتى أمدته باعلاناتها ، ثم يحمل على المصريين البخلاء ذوى المال والجاه « الذين لا يزالون مدينين لهذه الجريدة بالكثير أو القليل » ٠٠

وقد صدرت « منبر الشرق » بالفرنسية أو « تربيون دوريان » فى يوم الأحد ٥ فبراير سنة ١٩٢٢ (٩ جمادى الثانية سنة ١٣٤٠) ، واستمرت تصدر فى انتظام عجيب حتى يوم الأربعاء ٢٦ مايو سنة ١٩٢٧ (١٦ ربيع أول سنة ١٣٥٦) وسط صعوبات مالية وسياسية فوق كل تصور ، صمد لها الغاياتى فى استبسال وصبر جديرين بكل اعجاب ، وإن لم يظفر من مواطنيه بالتأييد والمعونة ، فى وقت كانت البلاد فى أشد الحاجة الى مثل هذه الجريدة التى سماها صاحبها نوق الخلاقات الحزبية ، لتبقى خالصة للوطن ، لاتعرف الا مصر ، ومصلحة مصر ، وأن يكون الشرق للشرقيين .

وعندما دخلت الجريدة (السنة العشرون) وكان الغاياتى قد عاد الى مصر ، نشر فى جريدته « منبر الشرق » (٢٠) ، صورة لمكتب الجريدة فى سويسرا الحرة ، وكان فى شارع من أهم شوارع جنيف الجميلة ، والعلم المصرى يخفق على إحدى نوافذه ، وكذلك صورة زنكوغرافية للعدد الأول الذى صدر بجنيف يوم ٥ فبراير سنة ١٩٢٢ ، وقد أعلن الغاياتى فى صدرها « بأنها جريدة نصف شهرية أنشئت للدفاع عن حقوق الشرق الناهض - تصدر بالعربية والفرنسية فى جنيف مركز جمعية الأمم » ، وان الاشتراك السنوى :

فى سويسرا ١٠ فرنكات وفى الخارج ٢٠ فرنكا .

لكما نشر داخل برواز فهرست القسم الفرنسى ويشتمل على :

الى القراء - الشرق والغرب أو الاسلام والنصرانية - اضطراب الشرق وحالة ايران - « المذابح ! » - المسألة السورية - شؤون مصر - رسالة على بك كامل - نداء حرم زغلول باشا .

وهذه هى نص مقالة على الغاياتى فى العدد الأول - الصفحة العربية - وكانت تحت عنوان « ما أردناه وما نرجوه » : « ان الاعوام الطويلة التى قضيناها فى هذه البلاد ، وخصوصا ابان الحرب الكبرى . قد علمتنا كثيرا من مرامى السياسة ، ومآدب الصحافة ومعانى الجهاد القلمى ، واسرار نشر الدعوة ، ادركنا كذلك مقدار مصاب الشرقيين بانفسهم أولا ، وبالعرب الطامع فيهم ثانيا ، فلم نجد خيرا من اصدار صحيفة شرقية فى هذا الوسط همها الدفاع عن حقوق الشرق الناهض ، وتقريب مسافة (الخلف) بينه وبين الغرب ذى القوة والسلطان ، والبطش والعدوان ، ولما كانت جنيف قد باتت

(٢٠) جريدة « منبر الشرق » ، العدد ١٢٨ ، فى ٧ فبراير سنة ١٩٤١ ،

مركز جمعية الأمم ، ومرصد سياسة العالم ، كان من الواجب فيها المبادرة . بنشر تلك الجريدة لتحمل الى هذه الجمعية المباركة ما قد لا تعلمه من الامم الشرقيين ومن امالهم ، وتساعدنا بذلك على القيام بمهمتها من اقامة معالم العدل ، ونشر لواء الاخاء والسلام بين الأمم والشعوب ، هذا ما اردناه وما نرجوه والله الموفق » .

أما مقالة الغياتى الثانية - فى الصفحة العربية من العدد الأول الصادر فى جنيف يوم ٥ فبراير سنة ١٩٢٢ ، فكانت تحت عنوان « سعد باشا » ، حيث كان سعد باشا زغلول زعيم ثورة ١٩١٩ ، فى منقاه مع خيرة صحبه ، وكيف استقبله شعب وادى النيل قبل عشرة أشهر ، ثم ينظم فى « سعد باشا زغلول » قصيدة طويلة يقول فيها :

نظموا فيك أيها العلم
دورا قيل أنها كلم

وهل عندي أجل جوهرة
حملت قاج مصر لو علموا

يك ياسعد هام شاعرهم
مثلما هام النيل والهرم

وجبرت فيك من قصائدهم
أبحر هن النور والحكم

الى أن قال :

طال عهدى بموقف الشعرا
« ويبنى ويبنهم نهم

ان نسوتى قما نستهمو
أو جفوتى قما جفو تهمو

ان امت او أعيش بقيت على
العهد أشقى به وقد نعموا

هيج النفس ذكر مصر فيا
ت عصى القريض ينتظم

ومن الحنين الى الوطن في العدد الأول الى محنة الاسلام
في العدد الثاني فيقول :

ادركوا الاسلام في دولته
هتك العادون من حرمة

أمطروا النيران في اوطانه
صعقوا الأرواح في امته

حاولوا تمزيقه في أرضه
ومضى كل الى طعنته

الى ان يقول :

ولعمري نحن أسباب الردى
فلذق ما مر من صدمته

قد اضعنا الدين والدنيا فلم
نتحد الغرب في نهضته (٢١)

وقد تزوج « على الغياتى » فى جنيف بسيدة سويسرية فاضلة
- كما سبق أن ذكرنا - ورزق منها بولد ، وخمس بنات ، وقد كان
يلقى المصريين فى داره ، فيحتفى بهم ، ويسرف فى الحفاوة

(٢١) عن مختار الزكيل ، مرجع سابق ، ص ٢١٨ - ٢١٩ .

ويخدمهم ، ويثفاني فى الخدمة ، ثم لا ينفك يتحدث معهم عن مصر ،
ونيل مصر ، وجو مصر ، فاذا سمع غناء مصرياً هطلت الدموع
من عينيه على خديه ، كأنه طفل ذكر أمه ، فاجتاحته نوبات الحنين ،
وقد تحدث أرحوم « أحمد حسين » زعيم «مصر الفتاة» (٢٢) ، عن
جنيف ومكانة الاستاذ الغاياتى فيها ، حيث كانت بحق عاصمة العالم
الدولية ، فهى مقر « عصبة الأمم » ، ومدينة المؤتمرات العالمية ،
لاينفض فيها مؤتمر حتى ينعقد مؤتمر ، ولا يغادرها عظيم من رؤساء
الحكومات أو وزراء الخارجية أو كبار الكتاب الدوليين ، حتى يفد
عليها عشرات من هذا الطراز ، وكان « أحمد حسين » قد أعد
رسالة ليقدمها الى سكرتارية عصبة الأمم ، فصحبته « الغاياتى »
الى مقر العصبة ، فكان « الغاياتى » موضع الترحيب والاحلال من
كل موظف كبير هناك ، وكان الناس يحيونه فى الطريق تحية الحب
والتقدير . . . وما أن سلم الغاياتى هذه الرسالة الى مندوبى وكالات
الأنباء ، حتى نشرت فى عشرات الصحف والمجلات .

* * *

(٢٢) فتحي رضوان ، عصر ورجال ، ص ٢٦٦ .

(الى مصر مرتين)

ولما انقضت ثلاث سنوات على الحكم الصادر ضد الغياياتى وسقط بانقضائها ، بدا له أنه يستطيع أن يسافر الى مصر ، فعرض على بعض الصحف السويسرية أن يكتب لها تحقيقا صحفيا عن الحالة فى منطقة قناة السويس ، وكانت ميدانا هاما من ميادين القتال فى الحرب العالمية الأولى ، فرحبت تلك الصحف بذلك الاقتراح ، فاستأذن الغياياتى فى الدخول الى مصر ، فأذنت له السلطات بذلك ، فسافر اليها فى ١٥ يوليو سنة ١٩١٥ ، ولما وصلها زار من يعرف من كبار الشخصيات ، وكانوا آنذاك يقضون الصيف فى الاسكندرية ومن هؤلاء محمود باشا شكرى رئيس ديوان السلطان حسين كامل الذى ارتقى عرش مصر بعد عزل الخديوى عباس ، كما زار أحمد زكى باشا (شيخ العرب) وكان سكرتيرا عاما لمجلس الوزراء ، ولكن الغياياتى بعد أن استمتع بالحرية سبعة أيام ، ملأ خلالها صدره من هواء بلاده ، ورأى مواطنيه ، صدر أمر باعتقاله وارساله مقبوضا عليه من الاسكندرية الى القاهرة ليقابل رئيس الوزراء حسين رشدى باشا ، ووضعوه فى حراسة مخبر من رجال البوليس السرى لم يكن يعرف القاهرة ، فتولى الغياياتى ارشاده الى ديوان المحافظة، ولما قابل رئيس الحكومة فهم منه أن المعلومات التى وصلت اليه تؤكد أن الغياياتى جاء الى مصر ليدير دسائس لحساب الخديو المعزول (عباس) ، فأخرج من مصر ، وهو لا يدرى لماذا سمحت له السلطات البريطانية بدخول مصر من البداية ، اذا كانت تشك فى نواياه ، ولماذا أبقته طليقا سبعة أيام ، ثم اعتقلته ، ثم رحلته

الى الخارج ، والطريف أنه حينما أعيد الغاياتى الى الاسكندرية
توطئة لترحيله منها ، أودع أيضا فى حراسة بوليس سرى لم يكن
قد عرف الاسكندرية من قبل ، فتولى الغاياتى مهمة ارشاده فيها ،
كما تولى ارشاد زميله السابق ، عند ارساله الى القاهرة ، وقد
حمل الغاياتى على حسين رشدى باشا رئيس الحكومة ، حملة شديدة
بعد عودته الى جنيف ، فأرسل اليه رشدى باشا قائلا : ان صدرى
معرض للرصاص ، فلا تهمنى حملات الاقلام !

هذه كانت هى المرة الاولى التى يأتى فيها على الغاياتى الى
مصر ، اثناء هجرته فى جنيف ، أما المرة الثانية فكانت فى صيف
سنة ١٩٣٣ ، وقد نشر ذلك تحت عنوان «عاد للنيل فتاه» (٢٣) ، وكانت
تصحبه فى تلك الزيارة كبرى بناته (جميلة) وفيها يقول بأنه لم ير
وطنه المحبوب منذ تسعة أعوام ، وقد أمضى فى الزيارة الثانية شهرا
واحدا أقامه على ضفاف النيل ، لم ينقع له غلة ، أو يرو أواما ، فلما
غادر الربوع بكاهما ، وطار فؤاده شوقا اليها ، ولقد تمثلت امامه
الديار على بعد المزار ، بجمالها الرائع ، فزاد اليها حنيننا ، وبها
هياما ، ووافاه شيطان الشعر بعد أن هجره طويلا ، فقال وهو يرى
بعين الخيال بهاء الوادى وجلاله الخالد :-

مصر هذا فتاك وافاك شيخا
كساد لولا الهوى يدب ديبيا
يعث الوجد فيه ساعة مرا
ك شبابا ونشوة ولهيا
فكان الحياة قد وثبت عشـ
رين عاما الى الوراء وثويا

(٢٣) جريدة « منبر الشرق » ، العدد السادس ، فى ٢ يوليو سنة ١٩٣٨ ،

وكان السنين بعد نواه
كن وهما وان تركن المشييا

وكان الفراق كان وصالا
وكان المزار كان قريبا

وكان التغريب أصبح تشريعا
كما أصبح الشمال جنوبيا

وجنيف ليست جنيف التي آوت
به دهرنا ورحبت ترحيبا

هي مصر ، وهل يرى غير مصر
من بها ظل مستهما ساليا

عز او هان كل شيء لديه
قد تلاشى ، عدا الحمى المحبوا

تلك احلام عاشق وطني
حكم الدهر ان يعيش غريبا

الى ان قال :

حب مصر اقصاه عن مصر حتى
ظن من طول الناي الا يؤويا

قام يشدو بحبها وبها من
قبل امسى مشيا تشييا

كما نظم شعرا عن سوء الأحوال السياسية الحزبية في مصر
يقول فيها :

وما الأحزاب مسعدة ولا زعماءؤها الكثر

إذا ما طاب للبائسى بمصر الكر والفر
وأصبح يبين ظهرينا له من دوتنا الصدر
الى ان قال :

فلا الدستور فى أمن ولا الوزراء والقصر
ولا استقلال فى بلد به العابون قد قروا
معاقله لهم حصن ونحن لجنتهم أزر
ولولا أننا شيع يحارب شطرتنا الشطر
لما أضحى لهم ظل ولا أمسى لهم ذكر !

وهى بحق من عيون الشعر الوطنى كما يقول الاستاذ الدكتور
مختار الوكيل (٢٤) - والذى ينبىء عن الحكمة والموعظة الحسنة ،
وتلك صفات اكتسبها الشاعر فى غربته .

* * *

(٢٤) مختار الوكيل ، مرجع سابق ، ص ٢٢٠ .

(الفصل الرابع)

(منبر الشرق)

- العودة نهائيا
- فى جريدة « السياسة »
- جريدة « منبر الشرق »
- أهم القضايا التى أثارها
- « وطنيتى » مرة أخرى
- فى انتخابات المجلس النيابى
- « هجرتى » الثانية
- وفاته وآخر مقالاته
- رثاءه وملامحه الشخصية

(العودة نهائيا)

قبلت مصر عضواً في عصبة الأمم ، فخلل لعل الغاياتى ، أن دوره فى أوروبا قد انتهى ، وأن بلاده قد تكون فى حاجة إليه ، بعد تجربة طويلة شاقة فى الصحافة والسياسة ، وبعد صلات واسعة مع زعماء العرب والشرق ، وزعماء الغرب ، وبعد أن شهد الأحداث العسكرية والسياسية للحرب العالمية الأولى ، ثم ماتلها من مؤتمرات ومعاهدات ، كما رأى نشوء عصبة الأمم فى جنيف ، وحضر مداولاتها ، وسمع أشهر خطبائها .

وقرر الغاياتى العودة نهائيا واسرته الى وطنه ، بعد غربة استمرت سبعة وعشرين عاما ، فخرج من جنيف مساء الثلاثاء ٢٢ يونيو سنة ١٩٣٧ فوصل الى الاسكندرية يوم الاثنين ٢٨ يونيو سنة ١٩٣٧ ، وكان الأمل معقودا على أن يعمل الغاياتى فور عودته ، بوظيفة حكومية فى وزارة الخارجية ، حسب الوعود والعهد التى سمعها من كبار المسئولين ، ولكن الله لم يكتب له النجاح فى هذا السبيل ، لأسباب يعلمها الاحتلال ، وأذئاب الاحتلال ، على حد تعبيره (١) .

أما أول مقال خطه قلم الغاياتى ، بعد أوبته الى أرض الوطن

(١) جريدة « منبر الشرق » ، العدد ٨٦١ ، فى ٣ فبراير سنة ١٩٥٦ ،

العزیز ، فكان تحت عنوان « الملك المحبوب » ، وقد نشره فى جريدة « الجهاد » لمحمد توفیق دياب ، وكانت جريدة وفدية ، وذلك فى عددها الصادر يوم الخميس ٢٩ يوليو سنة ١٩٣٧ ، وقد أعاد نشر المقالة ثانية فى « منبر الشرق » (٢) ، مجددا العهد ، ومرددا آيات الولاء الخالص لجلالة صاحب العرش المفدى ، بمناسبة فاتحة العام الثانى من عهد ملك الفاروق السعيد ، وفى نهاية المقالة ، يعيد نشر أبيات الشعر ، التى رفعها « للسمو السلطانى » بمناسبة مولد الفاروق يوم ١٦ مارس سنة ١٩٢٠ ، وفيها يقول :

فاروق وافيت والاهرام مائجة
بالحادثات وقلب النيل ملتهب

فهل تعيد لمصر عهد (فاتحها)
أو عهد (منشئها) والدهر مضطرب

جدد اذا ما بلغت الرشيد رشدهما
واسلك سبيل قفى للنيل ينتسب

كن حيثما كنت مصريا فلا شرف
للتاج ان لم يزنه ذلك اللقب

ونلاحظ على هذه الأبيات أنها ليست مدحا ولا نفاقا للملك فاروق ، فلقد نظمها الغاياتى عند مولده ، وفيها تحس بروح الانتماء للنيل والوطن ، والتى يحب الغاياتى للفاروق ، أن يكون لهما منتسبا مخلصا . . .

(٢) فى عددها العاشر ، الصادر يوم ٢ أغسطس سنة ١٩٣٨ ،

كما وجه الغياىالى للملك فاروق سنة ١٩٣٨ (٣) ، ابياتا شعرية،
يشير فيها الى هجرته خارج الوطن ، وعودته ثانية بدون مال
ولا زاد ، وكيف ان الدنيا تقف له بالمرصاد ، فى ايجاد وسيلة رزق
حلال يتعيش منها ، كما سنرى عندما ترفض الحكومة - وكانت
وفدية فى ذلك الوقت - باعطائه رخصة لاصدار جريدة ، ويقول
الغياىالى :

اعياىاك الغر يا فاروق اعيادى
وسلوتى فى زمان خادع عاد
لم يبق لى هم هذا العيش من امل
يبقى سواك لابنائى وحفاى
نايت عن وطنى دهرى وعدت له
كما نايت بلا مال ولا زاد
وجاء عيدك يغنىلى ويسعدنى
وان اقامت لى الدنيا بمرصاد
عم الكنانة بشر عند طلعتة
فاهنا به وبه فليهننا الوادى

(٣) جريدة « منبر الشرق » ، العدد الاول ، ٦ مايو سنة ١٩٣٨ ،

فى جريدة ((السياسة))

ذكر الغاياتى فى العدد الأول من جريدته « منبر الشرق » ، بأن الاقدار شاءت له أن يصبح محررا أو رئيسا لتحرير جريدة « السياسة » اليومية ، فى عهدىا الجديد ، الذى أريد لها فيه أن تكون قومية قبل كل شىء ، حتى أنهم حذفوا من رأسها ماكان يدل على انها لسان حال حزب معين (هو حزب الاحرار الدستوريين) ، فكتب افتتاحية العدد الاول ، وواصل نشر بعض المقالات – وقد بلغت سبعا – باسمه فى الصفحة الاولى ، وقد أراد فيها أن يكون مصريا مستقلا بكل معنى الكلمة ، ولعل ذلك لم يرق لبعض الناس ، ولهذا فقد انقطع عن مقالاته ، مكتفيا بكتابة السياسة الخارجية (نظرة عامة فى سياسة العالم) بامضاء ع.غ ، والذى أعاد نشرها مرة ثانية فى « منبر الشرق » .

وقد اهتمت الصحف الاوروبية فى مصر ، بتلك المقالات ، وترجمتها لقرائها ، معلنة بوضوح مجمل مايرمى اليه الغاياتى من الاغراض الوطنية النبيلة ، التى أخذ على نفسه أن يجاهد فى سبيلها ، منذ عاد الى الصحافة تحت سماء مصر العزيزة .

فى أولى المقالات يقول الغاياتى(٤) : « اذا كان لهذا القلم الذى اغترب سبعة وعشرين عاما ، نائيا عن وطنه المحبوب من أجل

(٤) جريدة « السياسة » ، فى ٢ ابريل سنة ١٩٢٨ .

« وطنيتى » ، والذى ما برح فى غربته كل هذه السنين يذكر مصر ،
ويحن اليها ويجاهد فى سبيلها ، أن يسطر اليوم كلمة يفتح بها
« السياسة » فى عهدى الجديد ، ويطلع بها على القراء بعد عودته
الى حظيرة الصحافة فى وادى النيل ، فانه يقول :

« باسم الكنانة واسم شعب ناهض
لا باسم مجد زائف وطلاء »
« كل يزول وينقضنى اما الحمى
فوديعة الآباء للابناء »

فى هذين البيتين كل ما يرمى اليه كاتب هذه السطور من المعانى
وما يقصده من المبادئ التى سيسير على هداها ، ويعمل على
انتشارها وانتصارها فيما يكتب جاعلا نصب عينيه دائما مخافة
الله تعالى ، وارضاء الضمير وحب الوطن والاخلاص للعرش .

ثم يؤكد الغاياتى على أن الاسلام هو دين الدولة ودين بنيتها
الا قليلا ، وان مصر مدينة له بتحريرها قديما ، وتقديمها حديثا ،
وبأن الأزهر الشريف هو الحصن الحصين للدين الحنيف ، وان الامة
كلما اقتربت من تعاليم هذا الدين ، واهتدت بهديه سعدت ونجت ،
وكلما نأت عنه ضلت وشقيت ، ثم يحذر من تقليد الغرب ، فى غير
ما نحن فيه بحاجة من علم وفن ، يهدم الاخلاق والوطنية على
ضفاف النيل السعيد ، سواء للمسلمين أو غيرهم ، لأن الاسلام
سابق أبدا دين واحسان وتسامح .

ثم يقول الغاياتى : « وان هذا اليراع بعد ذلك لن يصلو أو
يجول فى ميدان الشتائم التى امتازت بها وأسفاه بعض الاقلام فى
فى هذا الزمان ، بل سيعود بالقارئ الى العهد السابق ، الذى

عرفه منذ ثلاثين عاما ، حيث كانت الأخلاق قويمه ، والوطنية نزيهة
والسياسة شريفة ، بالنسبة لما وصلت اليه الحال من التدهور في
هذه الأيام ، وسيكون رائده على الدوام خدمة المصلحة العامة ،
والفكرة القومية المستقلة ، ومحاربة الجهل والدس والانقسام .
داعيا ما استطاع الى جمع الصفوف ، واتحاد الكلمة تحت لواء
العرش الخافق بحب مصر أم الجميع الخالدة المحبوبة . .

كفى ما مر من جهل
أبواه الديين والفكر
ومن خلف إذا استعصى
دواه فأنسه القبر
لنصيح واحدا فردا
فلا زيد ولا عمرو
فحنن لمصر أبناء
ونعمت أمنا مصر
ووادى النيل وادينا
وفاروق لنا نخر

وفي مقالته الثانية ، بعنوان « ماهذه الوطنية ! » (٥) نراه أكثر
جراة وحبا لمصر ، وهو يقول : « ما عجبت لشيء منذ عدت الى بلاد
العجائب ، مصر العزيزة ، عجبى لقوم يزعمون أن الوطنية
وقف عليهم ، ويرمون سواهم بكل عيب ، ويتهمونهم بكل تهمة ، ثم
يكونون هم أبعد الناس عن الوطنية الصحيحة ، التى « تعمل كثيرا
وتتكلم قليلا » ، كما وصفها بحق المرحوم قاسم بك أمين » .

(٥) جريدة « السياسة » ، فى ٣ ابريل سنة ١٩٣٨ .

وتأخذ الغاياتى الدهشة ويتضاعف عنده العجب ، لهؤلاء القوم ، الذين لم يكتفوا فقط باحتكار الوطنية ، ولكنهم يحتكرون أيضا كل الفاظ السباب التى يسرفون فى نعت غيرهم بها ، خاصة « الخيانة » التى رموا بها أكثر أهل الرأى والفكر والسياسة فى مصر ، ويرى أن البلاد بريئة من هذه التهم الاثيمة ، فأبناء مصر يشتركون جميعا فى حبها ، ويرمون سعادتها ، ويناضلون من أجل حريتها واستقلالها وعزتها ، وهم وان تفرقوا شيئا واحزابا ، وتعددت وسائل الجهاد لديهم ، واختلفت طرق السير بهم ، انما يسعون فى الحقيقة الى غرض واحد هو خدمة مصر ، ونفع مصر ، واعلاء ذكر مصر ، فخير للقوم اذن أن يذروا مثل هذا السلاح السافل ، والا ارتد سهمهم الى نحرهم ...

ثم يتساءل .. لماذا لا تكون الوطنية الا حيث يكونون ؟ أليس فى الارض متسع لغيرهم ، وفى سماء الفكر موضع يطل منه نجم غير نجمهم ، على هذا الكون الفسيح ؟ ثم لماذا يريدون أن يتحكموا فى ارادة الأمة ، ويفرضوا نياتهم عنها فرضا لا مفر لها منه ، حتى اذا أبت ذلك يوما عليهم زمجروا وثاروا وسبوا الشمس والقمر ؟ وعلى هذا الاساس .. فان الغاياتى يرى بأن الوطنية قد تكون فى السياسة وغيرها .. وقد تكون فى غير ميدان السياسة خيرا منها وأعم فائدة ، لأن عددا النواب قليل محدود ، وانه من المتعذر بالطبع أن يصبح كل مصرى نائبا أو سياسيا ، وأن أعمال الاصلاح المتعددة فى شتى الشؤون تتطلب مجهودا فوق مجهود النائب والسياسى ، وأنها أبقى للامة بنتائجها النافعة من ألف نيابة ، وألف سياسة ، وألف برلمان ! ..

ثم يطالب بلم الشمل وجمع الكلمة ، واذا كان النحاس باشا ومن معه قد أخطأوا تقدير الأمور وجعلوا المصلحة الشخصية فوق

المصلحة القومية فلا يحسن بغيرهم ، أن يتبع طريقتهم ويسير على سياستهم ، التي قادتهم الى الفشل والخسار ، ثم يختتم مقالته بقوله : « الوطنية ليست اذن ما قالوا ومايقولون ، وانما هى العمل والجهاد فى كل ميادين العمل والجهاد ، وهى ليست ملكا لفريق من الأمة دون فريق ، بل هى عاطفة سامية تبعث الجميع على خدمة الوطن ، وتبث فيهم حبه ، وتنهض بهم الى نصرته ، والدفاع عنه ، ورفع شأنه ، وتقديس اسمه الخالد المجيد ، هذه هى الوطنية الصادقة ، أما الأخرى فهى ليست منها فى شيء » .

وعن مصر من الوجهة الداخلية ، وكيف أنها فى أحوج ما تكون الى الاصلاح ، وصولا الى الدولة ذات الشأن البارز ، والاستقلال الحقيقى، يكتب الغاياتى تحت عنوان «الى الأمام . الى الاصلاح» (١) يطالب الحكومة - بعد خروجها منتصرة من معركة الانتخابات الحامية - أن تقتحم معارك أخرى اجتماعية فى الداخل ، بعد أن اكتفت الوزارة السابقة بالكلام الفارغ ، والطلاء الخداع ، حتى أن رأى العام سأم من تلك الاساليب العقيمة فى السياسة والحكم ، ومن سياسة الالفاظ والوعود ، ومن السياسة الحزبية المقوتة ، والزعامة المزدولة .

ثم يقول : « ان هذا الشعب الكريم المطيع المرح ، هو مع الأسف شعب تعس لم ينله شيء من السعادة التى يتمتع بها غيره من الشعوب ، وقد تعاقبت الحكومات وتوالى العهود ، وهو هو على مانرى وما نعلم ، وما لا نرى وما نعلم .. »

ولسى عهد وأتى عهد
والشعب يقيم على كد

(٦) جريدة « السياسة » ، فى ٤ ابريل سنة ١٩٢٨ .

يشقى فى الحاضر والماضى ويكاد يذوب من الكمد

فالعامل ، والفلاح ، والجاهل ، والعاطل ، والشيب ،
والشبان ، الذين ضاقت بهم السبل ، وأقعدهم المرض ، واستولى
عليهم البؤس ، وكاد يفنيهم اليأس ، لينتظرون اليوم من رجال الحكم
عناية بهم وعطفاً عليهم، وحلاً سريعاً لمسائلهم ، حتى يضىء المستقبل
لهم ، وتبتسم لهم شمس الحياة قليلاً ٠٠ ، ثم قال : « فالى الأمام !
الى الإصلاح ! الى تشييد بناء الغد على أساس العدل الاجتماعى ،
والسياسة القومية ، والاتحاد المقدس » .

وبعنوان « مصر المتحدة » (٧) ، وعن طوفان التقاليد الغربية
التي دخلت الى القومية المصرية ، وأن الحزبية من ذلك الطوفان
الخطير ، يقول الغاياتى ، بأن تأثير ذلك سوف يكون فى جعل مصر
أمة ضعيفة ، ووطناً هزيعاً مهزوماً ، أصاب خطبه كل بنيه ، وبات
لايدرى على من منهم يعتمد عند الشدائد ، وعلى من منهم تقع
تبعة ما حل به من وهن وتفرقة وتخاذل .

لذلك فلا أمل الا بمصر المتحدة ، فهي التي تستطيع وحدها
أن تبعث الى الحياة مصرًا فتيه ، منتصرة سعيدة ، ينال فيها كل
فريق ، بل كل فرد حظه الوافى من القوة ، والظفر والغبطة ، أما
الخلاف ، وأما الشقاق ، فلا يؤديان الا الى الخذلان والتلاشى وسوء
المصير ، ومتى ساء المصير — لا قدر الله — فلا تغنى الأحزاب ،
ولا تجدى الشيع ، لأن البلاء اذا نزل بالبلاد عم الجميع ، وأهلك
الجميع ، وعندئذ يندم الجميع .

(٧) جريدة « السياسة » ، فى ٥ ابريل سنة ١٩٢٨ .

ثم يضع الغاياتى مزيدا من النقاط فوق الحروف ، فيقول :
« لست بقائل انه يجب على الأمة أن تفكر برأس واحد ، وعلى
الآراء ألا تتشعب ، كما لا أطلب بتوحيد المنازع والمذاهب ، لأن هذا
من المحال ، ولأن طبيعة الوجود تقضى بأن يكون الناس هكذا ،
وخير للإنسانية أن يكونوا كذلك ، ولست أيضا بقائل انه على الأمة
أن تبقى صامته جامدة أمام الذين يحاولون فيها من ابنائها ايقاظ
الفتنة واثارة الشغب . لأن سلامة الوطن ، وطمأنينته وهدوءه فوق
كل شيء ، فلا بد إذن أن تصان من عبث العابثين ، ولا بد أن يحال
بين هؤلاء وبين ما يبغيون لكى يستتب النظام ويستقر الأمر ، وبعد
ذلك ترجع المياه الى مجاريها ، ويضرب بين الماضى الأليم والمستقبل
المأمول بحجاب كثيف ، ويعمل العاملون اجمعون على رأب الصدع
وتوحيد الجهود لخير هذا البلد الأمين » .

وتحت عنوان « التعاون مع الاجانب » (٨) ، كانت مقالة الغاياتى
الخامسة فى جريدة « السياسة » ، وقد كتبها بعد أن تحقق له - مع
أسفه الشديد - أن البلاد لاتزال بحاجة كبيرة الى التعاون مع
الاجانب ، فى مختلف شؤون الاقتصاد ، وضروب الاعمال والعلوم
والفنون ، وان الذين يذهبون الى أوروبا من المصريين ليتعلموا أو
يتكونوا ، يعود كثير منهم وهم أسوأ حالا من قبل ، ان لم يكن فى
الدرس والتحصيل ، ففى الخلق والسلوك والفقر فى الوطنية ، وأن
العلم ان طغى على الاخلاق فهو لا خير فيه ، بل هو شر من الجهل .

ثم يحذر الغاياتى من أن يكون لهذا التعاون مع الاجانب مرمى
خفى لا يتفق مع استقلال الوطن ، وألا تصاب الصحة الاجتماعية من
جرائه بأذى ، ولا كرامة الأمة وعقائدها وتقاليدها المقدسة بسوء ،

(٨) جريدة « السياسة » ، فى ٦ ابريل سنة ١٩٢٨ .

ولا يتوانى عن المطالبة بطرد كل أجنبى يعمل لغاية استعمارية أو سياسية أجنبية ضارة ، أو حتى يحاول افساد الاخلاق أو الاخلال بالأمن والنظام ، ولكن مصر الحديثة تمديدها بالصدقة والتقدير ، لضيوفها العاملين معها لخيرهم وخيرها ، ويستشهد بكلمة باعث الوطنية الأول ، وناشر لوائها فى وادى النيل ، مصطفى كامل باشا : « أحرار فى بلادنا ، كرماء لضيوفنا » .

ثم يعود الغاياتى من جديد ، مطالبا باصلاح مصر داخليا ، فيكتب تحت عنوان « هيتوا الدار أولا » (٩) عن أن حال مصر « لاتسر العين ، ولا ترضى النفس ، ولا تعلى من قدر هذه البلاد بين الامم الراقية » ، فمنذ ثلاثين عاما ، والبؤس والشقاء وعدم النظافة والنظام ، كما هو ، سواء فى البيت والطريق ، أو القرية والمدينة ، فاذا ماتركت مؤقتا البحث فى بؤس الفلاح ، وتعاسة العامل ، وشقاء الفقير ، ونظرت الى القاهرة عاصمة المملكة السعيدة لم تجد الا تراب متراكم وقاذورات مكدسة حتى بجوار الوزارات ، وجيوش جرارة من الرجال والنساء والاطفال المتسولين والعاطلين والمرضى والمنبوذين ، والحفاة العراة الذين يفترشون الغبراء ، ويلتحفون السماء فى الحدائق العامة ، والشوارع الكبرى ، والميادين العامرة ، وامام الفنادق الشهيرة ، المليئة بالسياح ، مما يسىء الى اسم مصر المجيد ، ويطعننها فى سمعتها الطيبة !!

واذا كان الغاياتى يرد على دعايات الاجانب ، عندما كانوا ينشرون ذلك فى صحفهم بالخارج وكان هو مهاجرا خارج مصر ، فانه الآن بعد عودته لايجد بدا من النقد ، مطالبا بانشاء الملاجىء والمستشفيات والاصلاحيات ، وتحسين الشؤون الاجتماعية ، ونشر

(٩) جريدة « السياسة » ، فى ٨ ابريل سنة ١٩٢٨ .

التربية والتعليم ، وتجميل القاهرة عاصمة القطر المصرى ، بل عاصمة الاسلام وبهجة الشرق ، ثم يختتم مقالته بقوله : « الا يجب أن تهيأ الدار قبل دعوة الضيوف ؟ لتهيأ الدار اذن أولا ، ثم ليدع اليها من يدعى ثانيا ، واذا كانت السياسة الحزبية المقوتة ، قد شغلت الدولة عن الاهتمام بكثير من المسائل الحيوية العظيمة ، فلتذهب هذه السياسة الى حيث لن تعود ، ولتقم على آثارها البالية سياسة قومية انشائية قوية ، عاملة لمصر وحدها ، ومن أجل المصلحة الوطنية دون سواها ، ألا ليت شعرى أنحن بالغون هذا الأمل ، ومدركون سريعا هذه الغاية ؟

أيها النيل هل تعود سعيدا
ويجود الزمان بالحسنات ؟

وتعليقا على كلمات مصطفى كامل الخالدة « لو لم أكن مصريا ، لوددت أن أكون مصريا » ، يكتب الغاياتى تحت عنوان « الاعتزاز بالمصرية (١٠) » ، بأن فى ذلك لدرسا لمن شاء الدرس ، ولعبرة لمن شاء العبرة ، فالمصرى ان لم يعتز بمصريته الى أقصى حد هان على نفسه ، وعلى قومه ، وعلى الأجنبى ، وساعد على تسرب الضعف والانحلال الى الروح الوطنى السامى السارى فى النفوس ، الثاوى فى القلوب ، ومثل هذا المصرى مثل الداء ، الذى ان لم تقض عليه ، قضى عليك ، والعضو الفاسد ان لم يعالج دب فساده فى سائر الجسم فأتلفه وأهلكه .

ان المصرية ليست عارا ، بل هى شرف أى شرف لصاحبها فى الشرق والغرب ، أضف الى ذلك ان عظمة مصر القديمة ، قلما

(١٠) جريدة « السياسة » ، فى ١٢ ابريل سنة ١٩٢٨ .

طاولتها عظمة في العصور الخالية ، وان مكانتها الحديثة في العالم الاسلامي قلما دانتها مكانة ، فمن رمى المصري واحتقره بأنه عربي أو فلاح ، يجب أن يحاسب حسابا عسيرا ، ويعاقب معاقبة شديدة ، وهو ليس منا ، وان عظم شأنه ، وكثر ذميه ، وضخم لقبه !!

ثم يقول الغيايتي بأن جمال مصر ، وجلالها ، وعزها ، ومجدها هي نعم جلت وجل من حباها ، وهي ملك وفخر للمصري قبل سواه يشاطره التمتع بها من أحب هذا الوطن ، وأعلى اسمه ، وذب على حماه ، وان لم يكن من صميم أهله ، وكما أكد من قبل ، فأننا نرحب بالتعاون الحبي النافع مع الاجانب النافعين ، ماداموا لنا عزنا على خدمة مصر ، ورقيتها وسعادتها ، وما دام ماء النيل قد ألف بين القلوب ، ووحد بين العواطف ، ثم يختتم مقالته نثرا وشعرا فيقول : « فليعلم الشعب ذلك حق العلم ، وليزه بتاريخ بلاده ، وليتغن بخلودها ، ولينهض مملوءا آملا في مستقبلها ، واثقا بنفسه . حريصا على كرامته ، ثم ليكن شعاره على الدوام « مصري قبل كل شيء » .

أيها الشعب أفق ولي الظلا
م ولاح النور للمسـتبصر

فدع التوم وقف مستخبـرا
هل لمصر في الوري من خبر ؟

سائل التاريخ عنها انه
صادق الاخبار جم العبر

تلك دار سجات آثارها
يبين اجلال وذكـر عطر

هذه مصر وهذا تـكرها
ناطق الآيات باقـى الاثر

فانهض اليوم ولا ترقب غدا
وادفع الشر بسيف الحذر
انمسا الآلام آمال وقسى
قدرة الشعب مدار القدر

وكانت آخر مقالات على الغياتى فى جريدة « السياسة » ،
بعنوان « سياسة مصر الخارجية » ، وقد وقعها بحروفه الأولى فقط
(ع ٠ غ) (١١) ، وطالب فيها بأن تكون لمصر سياسة خارجية مستقلة ،
تتفق مع مصالحها ، وتساعد على اعلاء شأنها فى الشرق والغرب ،
فهذه السياسة هى وليدة الاستقلال ، الذى يجب أن يكون صحيحا ،
لكى ينمو فى الداخل والخارج ، وهذا دور وزارة الخارجية الطبيعى ،
لأنها هى الآلة الفنية العلمية ، وصحيح أنها وزارة ، ولكن بمضاعفة
الجهود ، تتأكد لنا شخصيتنا الدولية الاستقلالية .

وهو لا يكتفى القراء ، شعوره بالحنن والألم ، كلما رأى تقصير
أولى الأمر - من حكومة الى حكومة ، ومن عهد الى عهد - فى تلك
المهمة الوطنية الكبرى ، وحسبك أن ترى وزارة الخارجية ، وهى
قليلة الموظفين ، والميزانية ، عن بعض المصالح الحكومية ، فضلا عن
سائر الوزارات ثم يقول : « اننا لا نقول بالأسراف ولا ندعو اليه البتة
ولكننا نوجه الانظار الى وجوب تقرير سياسة خارجية مستقلة ثابتة
لمصر ، عظيمة مثلها لتستطيع أن تؤدى مهمتها الكبيرة الدقيقة الشاقة
لا فى جنيف وأوروبا وأمريكا فقط ، ولكن أيضا وبصفة خاصة فى العالم
العربى والشرق الإسلامى ، باعتبار ما لمصر العربية المسلمة من
المكانة المكيمة والزعامة المحترمة فى هذه الأقطار الشقيقة ، وبين
هذه الشعوب الناهضة » .

(١١) جريدة « السياسة » ، فى ٢ مايو سنة ١٩٣٨ .

جريدة « منبر الشرق »

فى عهد الوزارة النحاسية الوفدية ، تقدم على الغياىتى ، الى ادارة المطبوعات بوزارة الداخلية ، بالنموذج رقم (١) مطبوعات ، وفيه يطلب رخصة باصدار جريدة سياسية أدبية جامعة ، تسمى « منبر الشرق » على أن تصدر مرتين فى الاسبوع ، يكون هو صاحبها ورئيس تحريرها ، وكان ذلك فى ١٠ أكتوبر سنة ١٩٣٧ ، أى بعد عودته الى مصر بحوالى أربعة شهور (١٢) .

وقم تم الاستعلام من مفتش ادارة الضبط بوزارة الداخلية فى ١٤ أكتوبر سنة ١٩٣٧ عن طالب رخصة هذه الجريدة ، فكانت الاجابة بأنه : « على الغياىتى ، رئيس تحرير صحيفة « منبر الشرق » التى كانت تصدر بسويسرا ، وهو مصرى الجنسية ، ورعية محلية ، وعمره ٥٢ سنة لكامل الاهلية وحسن السمعة ، وقد كان أحد كتاب جرائد الحزب الوطنى فى العهد الماضى ، وقد ترك القطر المصرى عقب صدور الحكم عليه لتأليفه واصداره كتاب « وطنيتى » فى سنة ١٩١٠ ، وقد حضر نهائيا للاقامة فى مصر مع عائلته ، وعول على استئناف جريدته بمصر كوسيلة للتعيش (١٣) » .

(١٢) وزارة الداخلية ، ادارة المطبوعات ، دوسيه رقم ١١ - ٢٩٢/٢ الخاص بجريدة « منبر الشرق » ، مستند رقم ٣ .
(١٣) الدوسيه السابق ، مستند رقم ٤ .

وقد نشرت الصحف(١٤) ، بأن الغاياتى قد تلقى خطابا من مصلحة الصحافة ، يفيد به بأن الطلب الذى تقدم به الى وزارة الداخلية للتصريح له باصدار جريدة « منبر الشرق » قد رفض .

وفى عهد وزارة محمد محمود باشا ، فى ٨ فبراير سنة ١٩٢٨ ، تم التصريح باصدار الجريدة باللغة العربية ، وقام بدفع الضمان - لأنها سياسية - وقدره ١٥٠ جنيها : أحمد خليل محمد المهندس(١٥) .

وفى يوم الجمعة الموافق ٦ ربيع الأول سنة ١٣٥٧ - ٦ مايو سنة ١٩٣٨ ، صدر العدد الأول من « منبر الشرق(١٦) » ، شعارها « الشرق للشرقيين » ، وهى « جريدة مصرية مستقلة أنشئت فى جنيف عام ١٩٢٢ للدفاع عن حقوق الشرق الناهض » ، وقد كتب الغاياتى هذين البيتين على رأسها :

« باسم الكنانة واسم شعب ناهض
لا باسم احزاب ولا زعماء »

« كل يزول وينقضى أما الحمى
فوديعة الآباء للأبناء »

(١٤) جريدة « البلاغ » ، فى ٢١ أكتوبر سنة ١٩٢٧ .
(١٥) سجل رقم (١٠) لقيد الصحف المصرح باصدارها فى مصر ، ادارة الصحافة والطبوعات ، بالهيئة العامة للاستعلامات ، تحت مسلسل رقم ٥٠٩ .
(١٦) كان اسم الجريدة « منبر الشرق » بخط الفنان الكبير الاستاذ « سيد ابراهيم » رائد الخط العربى .

وهذه هي افتتاحية العدد الأول ، لمؤسس الجريدة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول : على الغاياتى :

« بسم الله الرحمن الرحيم »

« صدر العدد الأول من هذه الجريدة - واسمها بالعربية
« منبر الشرق » وبالفرنسية « لاتربيون دوريان » - فى جنيف يوم
الأحد ٥ فبراير عام ١٩٢٢ (جمادى الثانية سنة ١٣٤٠) وعاشت
هناك مايقرب من ستة عشر عاما ، وكان بها فى أول عهدها بجانب
القسم الفرنسى صفحة عربية كثيرة المقاب ، كبيرة النفقات ، ثم
رؤى الاكتفاء باللغة الفرنسية ، وهى لغة البلاد التى تصدر فيها ،
والأوساط التى تريد مخاطبتها ، وقد نمت وترعرعت وانتشرت
فى الشرق والغرب ، ويات لها نكر حسن ، واسم معروف ،
وخصوصا فى مركز جمعية الامم التى عملت فيه ما استطاعت على
خدمة مصر والشرق والاسلام ، ولكن الفضل الاول فى نجاحها
لا يرجع مع الأسف لا الى مصر ، ولا الى الشرق والاسلام ، بل الى
مجهود صاحبها الخاص ، والى بعض المحلات التجارية بجنيف
التي تفضلت فاختصتها بكثير من اعلاناتها الغالية » .

« أما المشتركون المصريون مثلا ، ونعنى منهم ذوى الأموال
والألقاب ، فهم أبخل الناس بدفع قيمة الاشتراك ، ولا يزال الكثيرون
منهم مدينين بالكثير أو القليل لهذه الجريدة ، وربما نشرنا أسماءهم
الكريمة فى فرصة أخرى لعلمهم ينكرون »

« وقد صدر آخر عدد من « منبر الشرق » فى جنيف يوم
الاربعاء ٢٦ مايو عام ١٩٣٧ (١٦ ربيع الاول سنة ١٣٥٦) ،
وصدرناه بكلمة وداع من أعماق الفؤاد لذلك البلد الكريم الجميل
الذى أوانا واسعدنا أكثر من نصف العمر (من سنة ١٩١٠ الى

سنة ١٩٣٧) ، ولم يكن بالطبع هذا الوداع وداعا أيضا للصحافة والصحف ، وان كانت هنالك وعود وآمال خدعنا بها حيننا من الدهر ، وكأننا كنا نشعر بقرب العودة الى دولة « صاحبة الجلالة » التى قضينا فى خدمتها ثلاثين عاما ، فأشرنا فى تلك الكلمة الى ان هذه الصحيفة ان احتجبت من شواطئ بحيرة ليما ، فقد تظهر يوما على ضفاف النيل ، كما أشرنا الى أننا لانخشى العودة الى النزال ، واستئناف الجهاد فى سبيل الوطن ، والى أننا دائما على اتم استعداد لخدمة مصر المحبوبة ، وتلبية ندائها المطاع » .

« وما نحن أولاء ، ننزل الى الميدان فرحين مستبشرين ، وما هوذا « منبر الشرق » يظهر فى القاهرة بعد جنيف ، وبالعربية بعد الفرنسية ، وقد أبان صاحبه فى مقالات « السياسة » المنشورة فى غير هذا المكان عن كثير مما يرمى اليه من المرامى العامة الوطنية ، وكتب على رأسه أنه جريدة مصرية مستقلة ، فهو اذن سيكون بعيدا كل البعد عن الحزبية والاحزاب ، وستكون مصر الخالدة وحدها هنا كما كانت هناك شغله الشاغل ، كما سيتابع العناية والاهتمام بشؤون العرب والشرق والاسلام ، وسيهتم كذلك بالسياسة الخارجية وجمعية الامم ، وبالمسائل الاقتصادية ، والاجتماعية ، والانسانية ، وبالعلم والفن والأدب ، وغير ذلك مما يفيد القراء ، ومتى سمحت الظروف أصدرنا منه طبعة شهرية خاصة بالفرنسية لتحمل رسالة مصر الى العالم الغربى ، ولتجدد بها ما بيننا وبين ذلك العالم من صلات نافعة وعهد حميد » .

« هذا ما نريد أن نقوله باجمال فى فاتحة هذا العدد ، فليعلم اذن كل حزب وكل زعيم انهم جميعا امامنا سواء ، وان الوطنية عندنا ليست هى الحزبية ، أو الزعامة ، أو النيابة ، أو الوزارة ، وأنه لافضل لهذا على ذاك الا بالعمل ، وان البلاد لاترضى عن

حكومة دون حكومة الا بالنتائج لا بأشخاص الحكام ، وما الاسماء
الرنانة ، والالقاب الضخمة ، والجاه العريض ، والسلطان الواسع
الا اعراض خادعة زائلة ، فليتقوا الله فى هذا الشعب المسكين ! ،
وليعملوا بجد واخلص على انقاذه مما يعانى من الفواجع والآلام ،
قبل أن يحاسبهم حسابا عسيرا ، ويومئذ لا يجدون لهم وليا ولا
نصيرا » .

« وما الشعب الا صارم جاد صقله
وكل سيجنى منه ما هو صانع »

« فلا بقيت فى جانب النيل أمة
اذا بقيت فى النيل تلك الفواجع »

كما قدم الجريدة الى القراء - فى عددها الاول - « الأستاذ
الجليل صاحب السعادة محمد على علوية باشا نقيب المحامين حالا
وزير المعارف العمومية سابقا » فقال : « أقدم الى حضرات قراء
« منبر الشرق » هذه الجريدة ، وكنت فى غنى عن تقديمها لانها
لست حديثة العهد ، فقد كانت تصدر باللغة الفرنسية ، فى مدينة
حنيف ، حيث يوجد مقر عصبة الامم ، وكان صديقى الأستاذ الغاياتى
بصدرها ، على أن ينم اسمها عن خطتها ، وهى الدفاع عن حقوق
الشرق عامة ، وحقوق مصر خاصة ، والتقريب بين أمم الشرق ،
حتى تحتفظ بكيانها ككتلة متجانسة وتعيش عيشة الكرامة والعزة
تحت شمس الله ، وانى اذا أقدم « منبر الشرق » بعد انتقاله الى
القاهرة فانى لا ارى أن أقدم الى قرائه مؤسسه الأستاذ على
الغاياتى لأنه فى غنى عن التعريف ، وأرجو الله أن يصدر عن هذا
المنبر صوت الحق الذى نعرفه دائما فى صاحبه » .

وكان الغاياتى يؤكد فى افتتاحيات جريدته ، كلما كانت تمر بها الاعوام وهى تصدر فى مصر ، بما أكده فى افتتاحية العدد الأول، فتحت عنوان « من عام الى عام فى الحرب والسلام» يقول (١٧) « ان سياستنا فى الحرب والسلام هى سياسة وطنية قومية ، حرة مستقلة ، كما يبدو من خلال ما كتبناه من أول عدد الى اليوم ، ولامراء فى أن ماضينا لايسمح لنا كثيرا بقبول آراء لاتروق لنا ، وان جاءت من السماء ، اذا لم يقم الدليل على صحتها وخطئنا ، كما اننا – وان قبلنا تبادل الفكر احيانا – لانهضم بسرعة مشورة مشير أيا كان ، اذا لاح منها مايشبه الأمر أو النهى ، حتى ولو كنا فى زمن الرقابة والأحكام العرفية ، فما بالك ونحن لانزال نعيش والحمد لله فى ظل حكومة دستورية ديمقراطية ، تحترم الأمة ، وتقدر الحرية ؟ » .

ثم يرجو الغاياتى – بعد ذلك (١٨) أن يهيب له الله فى المستقبل القريب الوسائل التى يستغنى بها عن نشر الاعلانات ، وما أشبهها ، مما يشغل حيزا من أنهار الجريدة ، هى والقراء بحاجة اليه ، ومما قد لا يتفق احيانا مع الكرامة أو المبدأ ، أو قد يحول دون المضى فى الراى الى النهاية ، وهو يضع دستورا لصحيفة الراى فى نفس الافتتاحية ، التى كانت بعنوان « عام جديد ، وعهد قديم » : « أجل ان صحيفة الراى يجب أن تتجرد بقدر المستطاع عن كل ماقد يعوقها – ان قليلا وان كثيرا – عن أداء رسالتها بحرية تامة ، وصراحة كاملة ، ويجب أن تستطيع البقاء ، والرواج والانتشار ، بكل ما فى

(١٧) جريدة « منبر الشرق » ، العدد ٤٩ ، ٩ مايو سنة ١٩٣٩ ،

ص ١ .

(١٨) جريدة « منبر الشرق » ، العدد ٢٩١ ، ٤ فبراير سنة ١٩٤٤ ،

ص ١ .

وسعها بغير حاجة الى أية مساعدة — بأى شكل من الاشكال — من حكومة أو جماعة أو فرد من الأفراد ، اللهم الا ممن يرون رأيها ، يريدون بعقيدها ، ويعملون مخلصين على اتساع نفوذها ، ويثبت مبادئها » .

وكبيان لابد منه مرة أخرى وتحت عنوان « صحيفة الرأي الحر » ، يكرر الغاياتى ماسطره فى ٦ مايو سنة ١٩٣٨ ، وماكره فى ٤ فبراير سنة ١٩٤٤ ، و ٥ مايو سنة ١٩٤٤ ، من أن منهاج « منبر الشرق » فى أداء رسالته القومية هى : « أن الوطنية عندنا ليست هى الحزبية ، أو الزعامة ، أو النيابة ، أو الوزارة ، وأنه لافضل لهذا على ذاك ، الا بالعمل المجدى النافع ، وان البلاد لاترضى عن حكومة دون حكومة ، الا بالنتائج لا بأشخاص .
الحكام » (١٩) .

وفى ذكرى مرور ٢٥ عاما على انشاء الجريدة فى جنيف ، ارسل « النحاس باشا صاحب المقام الرفيع » كلمة « منبر الشرق » يقول فيها (٢٠) : « أهنيء جريدة « منبر الشرق » بعيدها الفضى ، واثنتى على مجهودها الصحفى ، واتمنى لها النجاح والتوفيق ، وانى ليسرنى أن تظل هذه الصحيفة فى كفاحها عما يعتقد مؤسسها انه الحق ، ومايرى انه الواجب لاداء رسالته حرة طليقة من كل قيد ، مجردة عن الهوى والميل . . فليس أجدى على الصحيفة من أن تكون حرة فى حدود القانون ، مقداما فى سبيل الحق ، صريحة فى العمل لوجه الوطن ، مترفعة عن الاسفاف فى القول ، والذبذبة

(١٩) جريدة « منبر الشرق » ، العدد ٣٠٥ ، فى ١٢ مايو سنة ١٩٤٤ ،

ص ١ .

(٢٠) جريدة « منبر الشرق » ، العدد ٣٩٥ ، فى ١٥ فبراير سنة ١٩٤٦ ،

ص ١ .

فى السلوك ، وعن الانحدار فى النقد الى مستوى البذاءة والسباب ، ثم تسير بعد ذلك فى طريقها لاتحايى ولا تداجى ، تؤدى رسالتها للمصالح العام دون اعتبار سواء ٠٠٠ ولا شك فى أن الصحفيه التى تسير على هذه السنن سيلقى صاحبها فى طريقه الاشواك والعقبات ، ولكنه يتغلب عليها بقوة الشكيمة ، ومضاء العزيمة ، وطول المثابرة ، فاذا سارت الصحافة على هذا المنوال نهضت برسالتها ، واطمأنت الى نجاح غايتها ، وخدمة الوطن وابناءه ، واستحققت أن تكون كما يسمونها مرآة صادقة للرأى العام ٠٠٠

وتعتبر الجريدة أية من آيات الصحافة ، لصمودها ، هى وصاحبها على الغاياتى ، أمام التحديات والعقبات ، المستحكمة والمتصلة ، والتي لم تنفرج يوما ، بل كانت تزداد تفجرا مع مرور الأيام والشهور والسنوات ، وأرى أن سبب ذلك استقلاليتها ، وشخصية الغاياتى نفسه ، التى أراد أن ينأى بها عن الأحزاب والزعماء والجماعات ، بينما كان المفروض أمام جريدة حديثة العهد - فى ذلك الوقت - وأمام الضيق المالى الذى كانت تعيش فيه ، أن يدفعه ذلك دفعا الى أحضان ذوى النفوذ ، وأصحاب الأموال .

فنراها مثلا قد بدأت فى الصدور فى ثمانى صفحات ، تنخفض الى أربع فقط ، عندما يكون هناك أمر عسكري بتحديد عدد صفحات الجرائد والمجلات (٢١) ، وهى تصدر أسبوعيا ، ولكن يمكن أن تجدها متأخرة أسبوعين كاملين ، عندما يصدر أمر عسكري آخر باغلاق مطبعتها (٢٢) ، كما تعرضت لقرار من مراقبة

(٢١) جريدة « منبر الشرق » ، العدد ٢٠٠ ، فى ٢٤ ابريل سنة ١٩٤٢ ،

س ١ .

(٢٢) جريدة « منبر الشرق » ، العدد ١٥٦ ، فى ١٣ يونيو سنة ١٩٤١ ،

ص ١ .

النشر بوزارة الداخلية في أول نوفمبر سنة ١٩٤٢ بوقفها لمدة اسبوعين ، لاقدامها على ترك فراغ أبيض كتبت فيه « للايجار » ، في موضع مقال حذفته الرقابة ، ولم يستبدل بغيره (العدد ٢٢٥ في ٣٠ أكتوبر سنة ١٩٤٢) (٢٣) .

كما اضطرت لرفع الاشتراكات أكثر من مرة ، فبعد أن كان الاشتراك السنوي ٥٠ قرشا في مصر ، و ١٠٠ قرش في الخارج ، أصبح ١٠٠ قرش في مصر ، و ٥٠ قرشا في الخارج (٢٤) ، وبعد ان بدأت تصدر أعدادا ممتازة في يومى الجمعة الأول من كل شهر في ٨ صفحات (بدلا من أربعة) وبيع بعشرة مليمات (٢٥) ، جعلت العدد الممتاز بقرشين ، والعادى بعشرة مليمات (بدلا من خمسة) ، مراعاة للزيادة الكبيرة والمطرودة في أسعار الورق ، وفى بقية نفقات الطباعة ، وشدة الغلاء (٢٦) .

كانت ادارة الجريدة فى عمارة بحرى حرف C بميدان الخديو اسماعيل ، اما مطبعة « منبر الشرق » فكانت فى ١١ شارع منشأة المهرانى بالقاهرة ، ويحدثنا الأستاذ فتحى رضوان (٢٧) ، عن مقر الجريدة ، فيقول انها قد احتلت شقة رطبة معتمة نوعا ، وكانت

(٢٣) سجل رقم (١٠) لقيد الصحف المصرح باصدارها فى مصر ، مسلسل رقم ٥٠٩ .

(٢٤) جريدة « منبر الشرق » ، العدد ١٧٧ ، فى ١٤ نوفمبر سنة ١٩٤١ ، ص ١ .

(٢٥) جريدة « منبر الشرق » ، العدد ٢٨٨ ، فى ١٤ يناير سنة ١٩٤٤ ، ص ١ .

(٢٦) جريدة « منبر الشرق » ، العدد ٣٠٤ ، فى ٥ مايو سنة ١٩٤٤ ، ص ١ .

(٢٧) فى « عصر ورجال » ، مرجع سابق ، ص ٣١٣ - ٣١٤ .

أرضيتها من البلاط الذى يبعث فى الشتاء برودة قارصة تسرى فى جسم الانسان فيتثلج بها ، ولكن مع ذلك ، كانت هذه الشقة نظيفة منظمة ، فقلم الغاياتى على المحبرة فى وضع ثابت ، والمحبرة فوق المكتب الصغير فى مكان محدد ، والكرسى من المكتب على مسافة لا تتغير ، والمكتب مرتب لاتجد فيه ورقة ، ولا حتى رماد سيجارة ، ولا تراب تخلف من حذاء الا أن يكون من حذاء ضيف لم يتأدب بأدب ندوة الغاياتى ، فينظف نعليه على المسحة الموضوعة على العتبة ، وفى هذا المكتب الصغير ، أستقبل الغاياتى عددا من زعماء الشرق : عرب ومسلمين ، من الهند والغرب ، من أندونيسيا والصين ، وكان سكرتير الغاياتى الذى يعينه فى عمله ، ويفتح له بريده ، ويرد على مكالمات التليفون ، ويفتح الباب للضيوف ، ويقفل الباب وراءهم هو « الغاياتى » نفسه فلم يعنه فى كل مهام الصحيفة الا شاب سودانى اسمه (ميرغنى) ، أخلص « للغاياتى » ، ولكن كان أكثر عمله خارج المكتب فى تحصيل الاشتراكات وإرسال البريد .

ومثلما كانت « منبر الشرق » تصدر فى جنيف ، وبها بعض الاعلانات (الحلال) من المصانع والشركات والبيوت التجارية ، فلقد رفض « الغاياتى » أثر عودته الى الوطن ، وإصدار جريدته فى القاهرة ، أن يقبل اعلانات الخمر والملاهى والمراقص ودور القمار واللهو الآثم(٢٨) .

(٢٨) مختار الوكيل ، مرجع سابق ، ص ٢١٧ .

((الطبعة الفرنسية))

كانت أمنية الغيايتى - كما ذكر فى افتتاحية العدد الأول من « منبر الشرق » - أن يصدر طبعة شهرية من جريدته باللغة الفرنسية ، لتحمل رسالة مصر الى العالم الغربى ، ولتجدد بها ما بين مصر ، وذلك العالم من صلات نافعة وعهد حميد .

وظلت هذه الامنية بين ضلوع صدر الغيايتى ، ووجدانه ، وفؤاده ، منذ عام ١٩٢٨ حتى عام ١٩٤٦ ، عندما بدأ يفكر عمليا لتنفيذ ذلك ، وذلك من أجل « الدفاع عن الحق والحرية والعدل ، فى وقت أخذت فيه السنة الاستعمار تشوه الحقائق وتفتري الاكاذيب ، وتسعى عمدا الى سمعة البلاد فى الداخل والخارج (٢٩) »

واستمر الغيايتى يعلن عن بدء اصدار هذه الطبعة الفرنسية فى الأعداد اللاحقة ، ثم صرح بأن هناك صعوبات تواجهه (٣٠) ، منها ما هو خاص بالتمويل والحصول على الورق اللازم ، أو المطالبة بتأمين جديد ، لأن ذلك يعتبر ترخيصا باصدار جريدة جديدة ، رافضين الضمان الشخصى ، حتى ولو كان المضامن رئيس الوزراء نفسه !! ، ويرى بأن السبب فى ذلك يرجع الى وزارة الداخلية ،

(٢٩) بعنوان « طبعة فرنسية » ، العدد ٢٩٨ من « منبر الشرق » ، فى

٨ مارس سنة ١٩٤٦ ، ص ١ .

(٣٠) بعنوان « حديث الطبعة الفرنسية » ، العدد ٤٠٨ من

« منبر الشرق » ، فى ١٧ مايو سنة ١٩٤٦ ، ص ١ .

التي يهيمن عليها الانجليز ، بأيدي بعض كبار الموظفين المصريين ٠٠ وعن طريق قانون المطبوعات الرجعى ، والذي هو من عمل الاحتلال ٠٠٠ ثم تلك الاوامر العسكرية الاستبدادية التي لم يعد لها من مبرر بعد انقضاء الحرب والقتال ٠٠ !!

ولذلك فقد بدأ الغاياتى ينشر اولا ما يريده باللغة الفرنسية ، فى « منبر الشرق » الصادرة بالعربية ، فى صفحة بكاملها (هى صفحة ٤ الأخيرة) (٣١) ، وذلك حتى يتسنى له اصدار طبعة مستقلة بالجريدة ، كما انه طلب معاونة الكتاب والاداريين الذين يكتبون باللغتين العربية والفرنسية ، لمساعدته فى هذا العمل الصعب ، والا اضطر أسفا الى تركه (٣٢) ، ويبدو أن الصعوبات التحريرية أيضا (بالإضافة الى المشاكل الخارجية) جعلت الغاياتى يعيد حساباته فعلا مع نفسه ، ويترك هذا العمل ذو الهدف الوطنى الخالص ، وما هو يقول (٣٣) : « لقد كانت تجربة مؤقتة ، ولكنها كانت نافعة منتجة على كل حال ، وقد مهدنا بها لاصدار الطبعة الفرنسية الكاملة المستقلة التى نحاول نشرها ، وتحول الحكومة « الوطنية » دون ما نريد ، وسنحاول أن ننفذها فى الغد القريب ، اذا كان فى العمر بقية ٠٠٠ ليتحقق الأمل رغم كل أنف » .

وكان فعلا فى العمر بقية (١٩٤٦ - ١٩٥٦) ولكن الأمل لم يتحقق ١٠

-
- (٣١) جريدة « منبر الشرق » ، الاعداد ٤١١ ، ٤١٢ ، ٤١٣ ، ٤١٤ ، فى ٧ و ١٤ و ٢١ و ٢٨ يونيو سنة ١٩٤٦ على التوالى .
- (٣٢) جريدة « منبر الشرق » ، العدد ٤١٢ ، فى ١٤ يونيو سنة ١٩٤٦ ، ص ١ .
- (٣٣) جريدة « منبر الشرق » ، العدد ٤١٥ ، فى ٥ يوليو سنة ١٩٤٦ ، ص ١ .

((الوسام البلجيكي))

وقد تفضل حضرة صاحب الجلالة الملك ليوبولد الثالث ، ملك بلجيكا ، فأنعم على صاحب جريدة « منبر الشرق » بوسام تاج بلجيكا من درجة فارس ، بمناسبة اشتراكه الصحفي في مؤتمر مونثرو بسويسرا (في ربيع سنة ١٩٢٧) . وقد تسلم الغاياتي صباح يوم الاثنين ٦ فبراير سنة ١٩٢٩ ، هذا الوسام الكريم ، شاكرا ، من يد صاحب السعادة وزير بلجيكا المفوض في مصر ، وكتب الغاياتي تعليقا على ذلك قائلا (٢٤) « واذا كان في هذا الانعام معنى من معاني التقدير والتكريم ، فانما ذلك في الحقيقة تقدير وتكريم للصحافة المصرية التي استطاعت ان تؤدي واجبها الوطني الدقيق في هذا المؤتمر العظيم ، مع حرصها على صلات المودة التي تربط وادي النيل بالدول الغربية ، ومعلوم ان بلجيكا دولة محايدة مسالمة كل ماترمى اليه هو المحافظة على مصالحها الاقتصادية في مصر ، على أساس عادل من الصداقة ، وحسن التفاهم ، وتبادل المنفعة المشتركة ، فنحن من جهتنا ، لايسعنا الا ان نرحب بمثل هذا الروح النبيل النزيه ، الذي يجب ان يسود جميع علاقاتنا بسائر الحكومات والشعوب » .

(٢٤) جريدة « منبر الشرق » ، العدد ٣٦ ، في ٧ فبراير سنة ١٩٢٩ ،

(أهم القضايا التي أثارها)

(الوحدة العربية الإسلامية – قضية فلسطين)

بالإضافة الى تلك القضايا ، سواء على المستوى الخارجى والدولى لمصر ، أو على المستوى الداخلى لها ، والتي كانت مشبعة كلها بروح الاستقلالية القائمة عن الاحزاب والزعماء ، وانما فقط من أجل الوطن المصرى والتي نشرها فى جريدة « السياسة » ، فان هناك قضايا أخرى ، تبناها على الغاياتى ، فى جريدة « منبر الشرق » ، ولم يكن بالطبع بمفرده ، بل كانت هناك أسماء لامعة تشاركه بالرأى وبالكلمة الحرة الشريفة ، وأسماء أخرى لمعت بعد ذلك فى دنيا الصحافة والفكر والأدب والسياسة والدين والاقتصاد ..

من هؤلاء مثلا الأساتذة الدكتور مصطفى الحفناوى – محمد لطفى جمعة – فتحى رضوان – محمود تيمور – كامل كيلانى – على الجارم – عبد المنعم الصاوى – عبد الحميد جودة السحار – خليل مطران – محمد فهمى عبد اللطيف – أحمد القليبي – على الجندي – الشيخ محمود شلتوت – الشيخ أحمد الشرباصى – الدكتور عبد الحليم محمود – الدكتور محمد غلاب – الدكتور محمد البهى – الدكتور مختار الوكيل – الدكتور محمود عزمى – أحمد حسين – الشيخ عبد المنعم النمر – الدكتور محمد عبد الله ماضى – الدكتور أحمد زكى أبو شادى – الشيخ حسنين محمد مخلوف ، وغيرهم وغيرهم ..

فهو أولا ينطلق من أن مصر دولة عربية اسلامية ، لكى يهاجم

فكرة أنها دولة فرعونية ، ويرد على كلام هؤلاء قائلا : « ٠٠ ان التفكير الفرعوني ، لتفكير خاطيء ، وان روح العروبة والاسلام ، لهُو روح العزة والسلام ، الذى يجب أن يسود فى المشرق والمغرب ، ولا ريب انه بالوحدة العربية وحدها تتحقق تلك السيادة التى يرجوها العرب والمسلمون أجمعون » (٣٥) ، ثم يقول فى عدد قال : « ٠٠ ان فى مصر العربية المسلمة ، بل زعيمة العالم العربى والعالم الاسلامى ، دعاية فرعونية ، كلها تضليل وتزوير وبهتان ، يراد بها اضعاف الفكرة العربية الاسلامية ، وفصل الكنانة عن وحدة الضاد والقرآن » (٣٦)

ثم نراه يؤكد دائما - بعد ذلك - على قضية الوحدة العربية ، ومعها الوحدة الاسلامية ، فتحت عنوان « الولايات المتحدة العربية » (٣٧) ، يرى بأن هذه الفكرة يجب أن تتحقق فقد طال الأمد عليها ، وكثر الكلام بشأنها ، وانقضت حرب ، واقبلت حرب ، وهى جامدة فى مكانها ، لاتكاد تتقدم خطوة الى الامام ٠٠٠ ، ثم يؤكد مرة أخرى ، « بأن ثمانين مليوناً من العرب فى آسيا وأفريقيا يتوقون بدون شك الى جمع شملهم ، واهياء دولتهم (٣٨) » ، واذا كانت الوحدة العربية حلماً لذيذاً ، فان الغاياتى يرى بأن لذته يجب ألا تنسينا حلماً آخر الذا وأعذب ، ألا وهو « الجامعة الاسلامية »

-
- (٣٥) جريدة « منبر الشرق » ، العدد ١٧١ ، فى ٢٦ سبتمبر سنة ١٩٤١ ، ص ١ ، تحت عنوان « الوحدة العربية » .
- (٣٦) جريدة « منبر الشرق » ، العدد ١٧٢ ، فى ٣ أكتوبر سنة ١٩٤١ ، ص ١ ، تحت عنوان « التفكير الفرعوني والوحدة العربية » .
- (٣٧) جريدة « منبر الشرق » ، العدد ٢٣١ ، فى ١١ ديسمبر سنة ١٩٤٢ ، ص ١٠ .
- (٣٨) جريدة « منبر الشرق » ، العدد ٢٤٨ ، فى ١ أبريل سنة ١٩٤٣ ، ص ١ ، تحت عنوان « قضية العروبة والعرب » .

التي جاء بها الاسلام ، فجعل أبناءه جميعا ، اخوة ، لافضل لعربي على أعجمي الا بالتقوى ، كما قال جل شأنه في كتابه المجيد : « ان اكرمكم عند الله اتقاكم » ، ويحبد أن تتحقق هذه الفكرة مبدئيا في مكة المكرمة ، فتتألف هناك هيئة من جميع الامم الاسلامية ، مهمتها رعاية الاماكن المقدسة ، والاشراف على الحج ، والاتصال بالحجاج وبأوطانهم ، ونشر السلام والطمانينة والرخاء والاخاء بينهم ، منعا لكل مايفرق المسلمين ، وسعيا وراء كل مايؤلف قلوبهم ويجمع كلمتهم(٣٩) .

وعندما بدأت الاجتماعات التمهيدية لانشاء « جامعة الدول العربية » ، يكتب الغاياتي تحت العنوان السابق قائلا(٤٠) : « ٠٠ ومما لاريب فيه أن-تأسيس هذه الجامعة في الوقت الحاضر عمل تاريخي ضخم ، قد يؤدي - اذا احسن استغلاله - الى نتائج باهرة لخير العروبة والعرب ٠٠٠ واننا واثقون كل الثقة ، بأن الاساس الذي ستقوم عليه هذه الجامعة ، أساس صالح ، لبناء مستقبل سعيد للأمة العربية كلها ، وبأن العرب يستطيعون بهذه الاداة تحقيق مايصبون اليه من أهداف عظيمة » .

ثم يعود مرة أخرى الى الوحدة الاسلامية ، فيقول تحت عنوان « العروبة والعرب »(٤١) : « ٠٠ ومن العجيب ان الحال وصل بالمسلمين الى حد انهم كانوا يخشون أن يقولوا انهم مسلمون ،

(٣٩) جريدة « منبر الشرق » ، العدد ٢٨٩ ، في ٢١ يناير سنة ١٩٤٤ ،

ص ١ .

(٤٠) جريدة « منبر الشرق » ، العدد ٣٤٨ ، في ٢٣ مارس سنة ١٩٤٥ ،

ص ١ .

(٤١) جريدة « منبر الشرق » ، العدد ٨٢٠ ، في ٢٥ فبراير سنة ١٩٥٥ ،

ص ١ .

ومن هنا ظهر اسم خاص لكل فريق منهم ، كالترك ، والمصريين ،
والعرب ، وغيرهم ٠٠٠ ، واختفى اسم الاسلام ، بل اختفى أيضا
اسم الشرق فى بعض الحالات ، وأصبح المجددون المغرورون من
الشرقيين يتمسحون بالغرب والغربيين ، ويؤمنون انهم منهم ، ان
لم يكن فى الجنس ، وفى الثقافة والمدنية ٠٠٠ فليت شعري ، هل
ادركنا قيمة بلادنا ، وفهمنا قيمة الاسلام ، الذى ندين به ونعتز
باعتناقه ؟ اننا يوم ندرك ذلك حق الادراك ، ونفهمه حق الفهم ،
يكون لنا فى الحياة شأن آخر ، هو خير بألف مرة مما نحن عليه
الآن ، .

وتعليقا على مؤتمر الشعوب الآسيوية الافريقية ، المنعقد فى
باندونج باندونيسيا (فى ١٨ ابريل سنة ١٩٥٥) ، ومايرجوه
الغاياتى منه كواحد من المسلمين ، يقول تحت عنوان « مؤتمر
ومؤتمر » (٤٢) ٠٠ وان لنا لمؤتمرا عالميا آخر نوجه النظر اليه ،
ونؤمل من ورائه - لو عرف المسلمون - خيرا أعم وأكبر ، ذلك
هو مؤتمر الحج الذى دعا اليه القرآن ، وأعدده الرحمن لعباده كل
عام ، وقد اقترب موعده ، وأذن المؤذن بوجوب انعقاده ، فهل نلبي
النداء ، ونجيب داعى السماء ؟ وهل يفهم الزاهبون اليه أسرار
ويستفيدون من معانيه ومراميها ؟

ومنطلقا من وحدة القضايا المصرية مع القضايا العربية
والاسلامية ، يتعرض على الغاياتى فى كتاباته لأكثر من مرة ، مع
قضية الشعب الفلسطينى ، واسرائيل ، فتحت عنوان « العرب
امام الصهيونية » (٤٣) يطالب أولا قبل كل شىء ، بالتمييز بين اليهود

(٤٢) جريدة « منبر الشرق » ، العدد ٨٢٦ ، فى ٢٢ ابريل سنة ١٩٥٥ ،

ص ١ .

(٤٣) جريدة « منبر الشرق » ، العدد ٢٩٦ ، فى ١٠ مارس سنة ١٩٤٤ ،

ص ١

الفلسطينيين القدماء ، وبين غيرهم من اللاجئين والمهاجرين التابعين لجماعة الصهيونية ، كما يجب التمييز كذلك بين مسألة اليهود المضطهدين فى بعض البلاد الاوربية ، وبين مسألة الصهيونية فى فلسطين ، لأن العرب لا يضمرون شرا لآخوانهم من السكان الاصليين ولا يقرون أحدا على اضطهاد أحد بسبب الجنس أو الرأى أو الدين ، وهم يعطفون على اليهود المضطهدين ، ويأسفون لما حل بهم ، ولكن هذا شئ ، والصهيونية – التى تحاول ان تجعل من وطنهم العربى وطنا قوميا لا يلبث اذا استمرت ابواب الهجرة مفتوحة أن يصبح دولة يهودية فى قلب الدولة العربية – شئ آخر بالمره ، يقف العرب جميعا بازائه موقفا واحدا لا يتغير : هو موقف الاستنكار والمعارضة ، ثم المقاومة بالقوة ، ان دعت الحال .

ولذلك فانت تراه يعرب عن اعجابه وتقديره للسيد محمد أمين الحسينى مفتى فلسطين الأكبر ، الذى لا يدخر جهدا فى سبيل هذه القضية – وكان قد أصدر كتابا عن ذلك – ثم يقول تحت عنوان « حقائق قضية فلسطين » (٤٤) : « ولايسع العربى المؤمن الا أن يشمر عن ساعد الجد ، ويواصل الجهاد بكل مايسطيع من أجل فلسطين وحريتها ، وعودتها الى احضان العروبة والاسلام » ، ثم تراه ثانية يكتب تحت عنوان « يجب زوال اسرائيل » (٤٥) ، يؤيد الفتوى الخطيرة التى أصدرتها لجنة الفتوى بالأزهر الشريف ، والتى تحرم فيها الصلح مع اسرائيل ، والتحالف مع حماتها ، وأنها أوجبت على المسلمين جميعا التعاون لاسترداد فلسطين ، وتزويد المجاهدين بالسلاح لبلوغ هذه الغاية .

(٤٤) جريدة « منبر الشرق » ، العدد ٨١٥ ، فى ٢١ يناير سنة ١٩٥٥ ،

ص ١ .

(٤٥) جريدة « منبر الشرق » ، العدد ٨٥٨ ، فى ١٣ يناير سنة ١٩٥٦ ،

ص ١١ .

(على هامش الحج)

أعلن الغاياتى لقرائه بأنه سوف يلبي دعوة الله الى حج بيته الحرام ، وأنه سيسافر « الى الله ورسوله » (٤٦) ، لأداء تلك الفريضة المقدسة ، وقد سافر فعلا فى أكتوبر سنة ١٩٤٦ ، وبعد عودته الى مصر ، بدأ فى نشر مجموعة من المقالات والآراء التى تتسم بالجرأة ، والنقد البناء ، لما كان يحدث للحجاج ، فى السعودية ، فى عهد الملك عبد العزيز آل سعود ، وقد بدأ فى هذه المقالات ، والتى كانت تحت عنوان « على هامش الحج » (٤٧) ، فى ديسمبر سنة ١٩٤٦ .

وقد طالب الغاياتى ، فى تلك السلسلة الصحفية ، أن تكون الأماكن المقدسة فى الحجاز لجميع المسلمين ، لا يمتاز فيها منهم فريق دون فريق ، ويجب أن تدير شؤون تلك الأماكن هيئة دولية اسلامية الى أن يعود للإسلام سلطانه ومجده ، فى ظل خلافة قوية ، وخليفة رشيد ، ومما ذلك على الله بعزیز ، كما كتب تحقيقا صريحا صادقا عن حالة البلاد المقدسة ، وعما يلاقى الحجاج من متاعب وسوء معاملة للاهمال الشديد الذى تفرق فيه الأماكن التى يؤدى فيها الحجاج فرائضهم ، ولما يتعرضون له من استغلال فاحش ، واهانات بالغة ،

(٤٦) جريدة « منبر الشرق » ، العدد ٤٢٧ ، فى ٤ أكتوبر سنة ١٩٤٦ ،

ص ١

(٤٧) جريدة « منبر الشرق » ، العدد ٤٣٠ ، فى ١٣ ديسمبر سنة ١٩٤٦ ،

ص ١

وقد اعترف الغيايتى بأنه قد رفض مقابلة الملك السعودى ، وأسرع بالسفر الى المدينة المنورة ، بعد انتهاء مناسك الحج ، وقد قامت احدى دور النشر ، بطبع هذه المقالات ، تحت نفس العنوان (على هامش الحج) ، وقد كتب الغيايتى مقدمته لهذا الكتيب (الذى يقع فى ٢٨ صفحة) فى فجر الأحد ٣٠ ربيع الثانى سنة ١٣٦٦ ، ٢٣ مارس سنة ١٩٤٧ ، وفيها يقول (٤٨) :

« أحمد الله وأشكره ، وأتوب اليه واستغفره ، وأسأله الهداية والتوفيق الى أقوم طريق ، وأصلى وأسلم على نبيه ومصطفاه محمد بن عبد الله ، وعلى آله وصحبه الأكرمين ، ومن اهتدى بهديهم الى يوم الدين » .

أما بعد ، فهذه كلمات وجيزة ، بل اشارات عابرة لبعض ما هنالك ، سطرتها عقب العودة مباشرة من الأراضى المقدسة فى أحد عشر عددا من « منبر الشرق » لتكون حافزة الى شدة الاهتمام وسرعة الاصلاح ، ولاغرو فهى شؤون تثير الشجون ، وتدعو الى الاهتمام والاصلاح بلا تردد ولا ابطاء .

لقد أريد وأنا بمكة أن أتشرف بمقابلة ملكية خاصة ، فاعتذرت وعجلت بالرحيل الى المدينة المنورة ، وأريد بعد اياي الى مصر ، أن اكتفى بكتابة تقرير الى أولى الأمر ، فاعتذرت أيضا ، ونشرت ما نشرت على ملأ المسلمين ، لأنه يهم جميع المسلمين ، ولأن سياسة السكوت والاسكات المتبعة هناك ، اثمها عندى الكبر من

(٤٨) على الغيايتى ، على هامش الحج ، ط (٢) (القاهرة ، دار النشر للجميع ، مايو ١٩٦٣) ص ٣ ، وهى الطبعة المحفوظة فى دار الكتب العامة بالقاهرة .

نفعها ، والرضا بها جريمة لاتغتفر ، فى حق الاسلام وأهل الاسلام ،
وفق الله العاملين ، وحقق أمل الآملين ، .

وقد نظم الغيايتى قصائد دينية ، جميلة ومؤثرة ، عندما كان
يزور هذه الاماكن المقدسة ، فى مكة المشرفة ، أو المدينة المنورة ،
فيقول تحت عنوان « فى الروضة الشريفة » (٤٦) .

أنا عاشق لمحمد	ولأله والصحابه
وأحب ما فى العيش عنه	سدى ساعة فى قربه
سر الوجود هو الحبيب	بب وقلبه من قلبه
نور على نور تجلى	من سماء محبه
فاخشع أمام بهائه	فبهاؤه من ربه
لبيتيه لما دعا	واذا دعاك قلبه
فهو البشير لقومه	وهو الشفيح لحزبه
البر من آياته	وهدى الورى من دايه
هو رحمة للكون طرا	شرقه أو غربه
انسى وقفيت ببابه	والظهر ناء بذيابه
ناديته مستشفعا	فقضى ابانة صبه
ورجوت عز المسلمين	بهديه ويطيه
قدعنا معى ملك الملو	ك لهم ، اذا اعتصموا به
احيا به فاذا انقضى	عمرى انقضى فى حبه

وفى مرة أخرى ، زار فيها الغيايتى ، المدينة المنورة ، يقول

(٤٦) على الغيايتى ، على هامش الحج ، المصدر السبق ، ص ٢٧ .

تحت عنوان « الى حمى الرسول » (٥٠) : « اليك يارسول الله فلجاً ،
والى حماك نشد الرجال ، عسى الله أن يغفر ، وعساك أن تستغفر ،
وعسانا أن نروى الغلة ، ونشفى العلة بمناجاتك أيها النبي الحبيب »
ثم قال : -

يارسول الله انسى كلما
قرب اليوم الذى فيه أراك
خفق القلب وفاضت ادمعى
وعرانى ما عرانى من هواك
وبدا النور الذى شاهدته
حين كنا نتناجى فى حماك
قبس من نوره سبحانه
ملا الأرجاء اشراقاً هناك
ليت شعرى والحشا مستعر
وملاك الحب من غير ملاك
اعلى حمل الهوى اقوى اذا
لاحقت الروضة لى يوم لقاءك

واهتم الغاياتى فى جريدته بالتأريخ لعظماء مصر ، ورجالاتها ،
بدءاً من مصطفى كامل ، ومحمد فريد ، والشيخ عبد العزيز
جاويش ، والشيخ محمد عبده ... وغيرهم وغيرهم ، ممن كان

(٥٠) جريدة « منبر الشرق » ، العدد ٨٢٣ ، فى ١٨ مارس سنة ١٩٥٥ ،

لهم دور بارز في الحركة الوطنية ، الى أن وصل الى زعيم ثورة ١٩١٩ ، سعد زغلول ، وكانت المناسبة هي رفع الملك فاروق ، الستار عن تمثاله بالاسكندرية في ٢٧ أغسطس سنة ١٩٢٨ ، في الوقت الذي سيرفع فيه ، باسم جلالته أيضا ، الستار عن تمثاله في القاهرة ، وذلك في ذكرى مرور إحدى عشر عاما على وفاته ، فتحت عنوان « ذكرى » (٥١) نشر الغاياتي قصيدته في سعد زغلول - والتي نشرها في العدد الأول من « منبر الشرق » في جنيف ، في ٥ فبراير سنة ١٩٢٢ والتي مطلعها :

نظموا فيك أيها العلم دورا قيل أنهـا كلم

ثم يعلق على ذلك قائلا : « ولا ريب أن مثل هذه الأبيات انما فاض بها الشعور الوطني الذي بعثته الحوادث في القلوب ، والذي يعتبر سعد باشا في ذلك الحين رمزا من رموزه ، وأية من آياته ، أما اليوم فلا نرى مايدفع الناس حقا الى مثل هذه العواطف بل ان هذه العواطف نفسها ، تكاد تكون قد تلاشت ، وكل مابقى هو بمثابة ذكرى لهذه الذكرى القيمة » .

ويرى الغاياتي ان لسعد حسنات ، كما ان له سيئات ، والمستقبل وحده هو الذي سيبين لنا ايهما الارجح ، وليس معنى ذلك أنه لا يجدر بنا الثناء على سعد أو تعظيمه ، واكبار عمله ، خصوصا في فجر النهضة المصرية ، أو أن سعدا لا يستحق قبرا لكعبه ، أو تمثالين كتمثاليه ، ولكن لايجب أن يعمينا عن الحقيقة ، وهي أنه يوجد بمصر ، غير سعد ، بل وخير من سعد ، من الابطال

(٥١) جريدة « منبر الشرق » ، العدد ١٣ ، في ٢٣ أغسطس سنة ١٩٢٨ ،

الذين يجب على الامة والحكومة تكريمهم وتخليد ذكراهم ، وفي
طليلة الجميع رسول الوطنية الاول ، ونبيها الصادق الامين :
مصطفى كامل باشا ، صاحب التمثال السجين ، والقبر المهدم ...
فهل من منصف ، وهل من مدكر ؟

(وثورة ٢٣ يوليو)

ذكرنا انه لا توجد اعداد « منبر الشرق » الخاصة بسنتي ١٩٥٢ و
١٩٥٣ ، محفوظة في دار الكتب بالقاهرة ، لكى نتعرف على رأى
الغياثى فى بدء قيام ثورة ٢٣ يوليو ، ولكن عندما تمت محاولة
اغتيال الرئيس جمال عبد الناصر بثمانى رصاصات ، وهو يخطب
فى ربيع مليون مواطن بالاسكندرية ، بمناسبة توقيع اتفاقية الجلاء ،
يكتب الغياثى تحت عنوان « القتل السياسى » قائلًا (٥٢) : انه ليس
من الدين ، وليس من الوطنية ، وليس من العقل ، وليس من
الانسانية ، ان يقتل المسلم أخاه المسلم ، والمواطن أخاه المواطن ،
والانسان أخاه الانسان ، لالشيء الا لأنه يخالفه فى الرأى ،
ويعارضه فى السياسة . لا ليس القتل السياسى هو الطريق القويم
لاصلاح المجتمع ، وتطهير أداة الحكم ، بل انه قد يأتى بنتائج عكسية ،
تضاعف ويلات البلاد ، وتزيد فى احراجها ، اضيف الى ذلك أنه
مما لاتسوغه الشرائع ، ولا تبيحه القوانين .

وقد تعرض الغياثى فى أكثر من مرة « للدستور المصرى
الجديد » - والذى صدر فى يناير سنة ١٩٥٦ - وفى احدى هذه
المرات ، وكانت تحت عنوان « الدستور والرقابة والاسلام ونظام

(٥٢) جريدة « منبر الشرق » ، العدد ٨٠٣ ، ٢٩ أكتوبر سنة ١٩٥٤ ،

الحكم» (٥٣) يطالب بأن يكون الدستور الحقيقى لنا هو دستور السماء ، ففى القرآن الكريم من الاحكام والحكم الخالدة ، ما يغنى الناس عن أى دستور . . لأن الاسلام هو دين الشورى الصحيحة ، وعلى أساسه يجب أن يبنى صرح الدولة ، ونظام الحكم فى الاسلام نظام ديمقراطى حقيقى ، يعيش فى ظله المسلمون وغيرهم ، فى أمن كامل واطمئنان شامل ، كما يشهد بذلك التاريخ القديم والحديث .

وعندما يتم رفع العلم المصرى على قاعدة قناة السويس ، ويخرج آخر جندي انجليزى من مصر « بعد أربعة وسبعين عاما » من الاحتلال ، يقول الغاياتى . . . « نعم . انها لحظة سعد بها الجيل الحاضر ، وحرّم منها الآباء والاجداد ، فيجب تقديسها ، وتخليد ذكراها ، حيا الله المجاهدين الأحرار ، ورحم الشهداء الأبرار . . . ان كل من عرف مقدار المصائب والويلات التى نزلت بمصر فى عهد الاحتلال البريطانى البغيض – وكل احتلال اجنبى بغيض وبغيض – لايسعه الا الاغتياب برحيل المحتلين ، وهذه نتيجة طبيعية لكل شعب مجاهد يريد الحياة حرا مستقلا» (٥٤) . .

وتعقيبا على تأميم شركة قناة السويس (فى ٢٦ يوليو سنة ١٩٥٦ بالاسكندرية) يكتب الغاياتى مقاله الافتتاحى تحت عنوان « ليحذر الغرب » (٥٥) ، وفيه يحذر الغرب من التماهى فى الغرور

(٥٣) جريدة «منبر الشرق» ، العدد ٨٦٠ فى ٢٧ يناير سنة ١٩٥٦ ، ص ١ .

(٥٤) جريدة « منبر الشرق » ، العدد ٨٨٠ فى ٢٢ يونيو سنة ١٩٥٦ ، ص ١ .

(٥٥) جريدة « منبر الشرق » ، العدد ٨٨٥ فى ٣ أغسطس سنة ١٩٥٦ ، ص ١ .

والشطط ، فان الشعوب لم تعد ترهبها كثيرا مظاهر القوة المادية .
لأن لها غاية فوق المادة ، وخير للغرب أن يبقى على صلة سليمة
بالشرق ، من أن تنقطع هذه الصلة دفعة واحدة فتكون الطامة
الكبرى على الشرق والغرب معا (وكان ذلك قبل العدوان الثلاثي
بأسابيع) .

وقد كان آخر مقال افتتاحي في جريدة « منبر الشرق » لعلي
الغاياتي ، أيضا مرتبطا بثورة ٢٣ يوليو ، وسف نورده نصه ، عند
الحديث عن وفاة الغاياتي الى رحمة الله ، وقد نشرت دار النشر
للجميع أيضا ، ذكريات الغاياتي في ذلك بعنوان « فجر الثورة » .
ولكنه غير محفوظ في دار الكتب .

« وطنيتى » مرة أخرى . .

أعاد على الغاياتى ، طبع ديوانه « وطنيتى » ، بعد عودته الى مصر نهائيا ، طبعتين ، الأولى سنة ١٩٢٨ ، وكانت فى مطبعة عطايا بباب الخلق بمصر ، وثمانى عشرة قروش ، وكانت ترسل هدية مجانا ، الى كل مشترك جديد فى جريدة « منبر الشرق » (٥٦) ، أما الطبعة الثانية « لوطنيتى » بعد عودة صاحبها من جنيف ، فكانت سنة ١٩٤٧ ، فى مطبعة جريدته .

وقد قدم الغاياتى ، أولى هذه الطبعات بالمقدمة التالية (٥٧) : -

(بعد ثمانية وعشرين عاما)

« أصدرت هذا الكتاب فى منتصف عام ١٩١٠ ، وقد صودر اذ داك وحوكمت من أجله ، وحكم على غيايبا بالحبس سنة . ولكنى قررت سرا من مصر ، وطنى المفقدى ، قبيل المحاكمة ، ويممت الآستانة حيث أقيمت خمسة أشهر ، ثم سافرت الى جنيف ، وبقيت بها زهاء سبعة وعشرين عاما ، وأخيرا عدت الى بلدى المحبوب ، وسأبين هذه الحوادث بالتفصيل فى مقدمة الجزء الثانى من « وطنيتى » الذى سأنشره قريبا ان شاء الله » .

(٥٦) جريدة « منبر الشرق » ، العدد الاول فى ٦ مايو سنة ١٩٢٨ ،

ص ٧ .

(٥٧) على الغاياتى ، « وطنيتى » ، ط (٢) (القاهرة ، مطبعة عطايا ،

١٩٢٨) ص ٣ .

« رأيت بعد هذه المدة الطويلة ، وقد سقط الحكم على وتبدلت
الاحوال السياسية فى وادى النيل السعيد ، أن أعيد طبع هذا المؤلف،
الذى غير مجرى حياتى كل التغيير ، ويسرنى أن يتم لى ذلك يوم
الذكرى الثلاثين . لوفاة رسول الوطنية الصادق الأمين المرحوم
مصطفى كامل باشا ، الذى فاض كتابى بذكره الطيب ، واسمه
الخالد المجيد ، ومن حسن الاتفاق ان يكون هذا اليوم أيضا يوم
عيد الأضحى المبارك ، ويوم عيد ميلاد حضرة صاحب الجلالة الملك
الصالح المحبوب فاروق الأول حفظه الله » .

(المؤلف)

القاهرة فى يوم الجمعة ١٠ لى الحجة سنة ١٣٥٦

١١ فبراير سنة ١٩٣٨

* * *

اما مقدمة الطبعة الثالثة من « وطنيتى » كما كتبها الغاياتى
فكانت تحت عنوان :

بيان (٥٨)

« ظهرت الطبعة الأولى من « وطنيتي » في الأسبوع الأخير من شهر يونيو سنة ١٩١٠ ، وقد أقام هذا الديوان دنيا الاحتلال واقعدها ، ولم يكن يصدر حتى صدور ، وهاجر صاحبه سرا من مصر في ٦ يوليو ، فحوكم غيابيا ، وحكم عليه في ٦ أغسطس بالحبس سنة . كما حكم على المرحوم الشيخ عبد العزيز جاويش بالحبس ثلاثة أشهر ، لأنه كتب للديوان مقدمة قرظه فيها ، ولمثل هذا السبب ، حوكم كذلك المرحوم محمد بك فريد ، بعد عودته من أوروبا ، وحكم عليه في ٢٣ يناير سنة ١٩١١ بالحبس ستة أشهر » .

« وكان المؤلف قد يم شطر الاستانة ، حيث أقام خمسة شهور اقليلًا ، ثم سافر الى سويسرا ، وبقي في جنيف زهاء سبعة وعشرين عاما ، أسس في خلالها أسرته سنة ١٩١٢ ، وجريدته « منبر الشرق » أو « La Tribune d'Orient » سنة ١٩٢٢ ، وعادده الحنين والرجاء ، فعاد الى وطنه المحبوب في ٢٨ يونيو سنة ١٩٣٧ ، وأعاد طبع « وطنيتي » في ١١ فبراير سنة ١٩٣٨ تحت اسم الحكومة وبصرها ، بعد أن سقط الحكم ، وتبدلت الأحوال » .

« وجاءت الحرب الماضية ، واستمرت نحو أربع سنوات لم

(٥٨) على النماذج « وطنيتي » ، ط (٣) (القاهرة ، مطبعة منبر الشرق ، ١٩٤٧) ص ٣ ، ٤ .

يتخذ فيها أى إجراء ضد ذلك الكتاب ، الذى يعتبر بحق سجلا تاريخيا للحركة الوطنية فى فترة قصيرة من الزمن الخالى ، ولكن « الحليفة » الماكرة الفادرة شعرت فجأة بأن فى نشره ورحى القتال دائرة دعاية سيئة لها فما كان من القلم السياسى المصرى ، الا أن أوقد بعض ضباطه فى صباح السبت ١٧ يونيه سنة ١٩٤٣ الى المؤلف للبحث عن « وطنيتى » عنده فلما لم يجدوها لديه ، أخذوا عليه تعهدا كتابيا ألا يطبعها أو يوزعها مادامت الحرب قائمة » .

« وبذلك تكون « وطنيتى » قد طبعت مرتين ، وصدورت أيضا مرتين !! » .

« وهامى ذى طبعة الثالثة أراد الله لها أن تظهر ، والبلاد من أقصى الجنوب الى أقصى الشمال تطالب بالوحدة والجلء . ومن حسن الاتفاق ان يكون ظهورها كظهور الطبعة الثانية فى أيام ذكرى وفاة المغفور له مصطفى كامل باشا ، الذى فاض الديوان بأيات ذكره العطر المجيد » .

« أما الجزء الثانى من « وطنيتى » ، وهو « هجرتى » - فلا يزال الأمل كبيرا فى جمعه وطبعه قريبا باذن الله العلى القدير ، انه نعم المولى ونعم النصير » .

(المؤلف)

القاهرة فى يوم الاثنين ١٩ ربيع الاول سنة ١٣٦٦

١٠ فبراير سنة ١٩٤٧

وسنلاحظ على آخر مقدمة للديوان انها لا تتضمن ذكرا للملك السابق فاروق ، مع العلم بأنها صدرت يوم مولده - كالطبعة الثانية .

– ولكن شتان ما بين سنة ١٩٢٨ حيث كانت الآمال معقودة كلها على ذلك الملك الشاب لاصلاح حال مصر ، وتقدمها وازدهارها ، ولكن فى سنة ١٩٤٧ ، كانت الأحوال قد تغيرت بمصر الى الأسوأ ، ولذلك لم يشر الغيايتى الى ذكرى مولده ، فى نفس الوقت الذى ذكر فيه بالتمجيد والخلود ، باعث الوطنية المزعيم مصطفى كامل ، واذا كانت الطبعة الثانية لديوان الغيايتى – سنة ١٩٣٨ – قد صودرت سنة ١٩٤٣ ، كما صودرت الطبعة الأولى – سنة ١٩١٠ – فان الطبعة الثالثة سنة ١٩٤٧ ، لم تصدر ، وهكذا شأن الكلمة الحرة الشريفة ، والعمل المخلص البناء ، لصالح الشعب والوطن ، فانه باق ما بقيت الحياة .

واخيرا ، فلقد رحل الغيايتى الى رحاب الله ، قبل أن يحقق أمنيته ، والتي ذكرها فى أكثر من موضع ، وهى أن يطبع الجزء الثانى من « وطنيتى » ويكون تحت عنوان « هجرتى » .

(فى انتخابات المجلس النيابى)

كانت البداية تحت عنوان (؟) - أى علامة استفهام - فى نهاية عام ١٩٤٤ ، وكان السؤال هو (٥٩) : هل يرشح صاحب « منبر الشرق » نفسه وطنيا مستقلا فى الانتخابات المقبلة ؟ وهل تؤيده الاحزاب السياسية ، أم يكفيه الدعاء الصالح من حزب مصر الفتاة ، أو من جماعة الاخوان المسلمين ؟

ولكانت اجابة على الغاياتى ، فى العدد التالى مباشرة بقوله « توكلت على الله ! » (٦٠) ، حيث يقرر بأنه تقدم فعلا الى الانتخابات النيابية عن دائرة عابدين بالقاهرة ، وقد شجعه فعلا - لاقولا - أعضاء مصر الفتاة والاخوان المسلمون ، ومن هنا نحوهم من أنصار المبادئ السامية ، والمثل العليا ، والاخلاق القويمة ، ويقول بأن هذا النبأ قوبل عند بعض الجهات الرسمية بالترحيب والارتياح . والدعاء الصالح ، والحمد لله . . . ولكن ايكفى ذلك وحده لخوض المعركة ، المتفائلون يقولون : يكفى والمتشائمون يرون أنه لابد من معاضدة الحكومة أو الاحزاب ، ولابد مع ذلك من الانفاق عن سعة ، أما أنا - الغاياتى - فافوض امرى الى الله ، ومدام سبحانه وتعالى

(٥٩) جريدة « منبر الشرق » ، العدد ٢٢٨ ، ٢٧ أكتوبر سنة ١٩٤٤ ،

ص ١ .

(٦٠) جريدة « منبر الشرق » ، العدد ٢٢٩ ، ٣ نوفمبر سنة ١٩٤٤ ،

ص ١ .

هو الذى وجهنى هذه الوجهة مابين عشية وضحاها ، فهولى الولى
النصير ، وهو حسبى ونعم الوكيل ٠

وقد اختار الغاياتى دائرة عابدين ، لأنه قبل هجرته من مصر
سنة ١٩١٠ ، وبعد عودته اليها سنة ١٩٣٧ ، أقام بها إقامة دائمة ،
وقد جعل شعاره الانتخابى : « الله ، الوطن ، الملك » ، ويقول : « أجل
قد ينازعنى فى هذا الحب المنازعون ، وينافسنى فى هذا الشرف
المنافسون ، وقد اسقط فى الميدان قبل بلوغ الهدف ، ولكن هذا لمن
يثنى من عزيمتى ، أو يفت فى عضدى ، وقد وضعت النجاح والفشل
فى كفة الميزان ، وإن كنت عظيم الأمل ، شديد الإيمان ٠٠٠ وبعد ،
فانى لست بذى مال ، ولا بذى بأس وسلطان ، ولكنى ذو عقيدة ،
وطنية ، وماض طويل فى الجهاد ، لأجل مصر والعرب ، والشرق
والاسلام ، ثم اننى من أنصار السلام العام ، ودعاة الاخاء الانسانى
وطلاب العدل الاجتماعى ، وللدين عذى فى سموه وتسامحه ،
وتعاليمه الجليلة المكان الأول فى الحياة الخاصة والعامة ، وسأحاول
ان شرفنى الناخبون بثقتهم ، مواصلة الجهاد ، وخدمة البلاد تحت
قبة البرلمان ، باذن الله » ٠٠

ثم تساءل الغاياتى تحت عنوان (؟) مرة أخرى : « هل تدع
الأحزاب دائرة عابدين حرة ، لصاحب « منبر الشرق » اعترافا
بالجميل ، وتقديرا للجهاد الطويل ؟ » (٦١) ولكن الاجابة كانت معروفة
مقدما ، فالغاياتى أصدر جريدته مستقلا عن الاحزاب ، ولم يرتضى
فى أحضانها أو أحضان زعمائها ، وعلى هذا الأساس لم تدع الاحزاب
تلك الدائرة حرة ، ومع ذلك فقد أعلن صاحب « منبر الشرق » بأنه :
« بعون الله وحده ماض الى النهاية فى ترشيح نفسه وطنيا مستقلا

(٦١) جريدة « منبر الشرق » ، العدد ٣٣٠ ، فى ١٠ نوفمبر سنة ١٩٤٤ ،

عن دائرة عابدين ، ولن يثنيه عن قصره حول ولا طول ، أو يحول
دون غايته أمر قل أو جل « (٦٢) .

ثم يؤكد مرة أخرى تحت عنوان « على هامش المعركة » (٦٣) ،
بأنه وإن كانت المعركة الانتخابية المقبلة لمجلس النواب سستكون
حامية ، وإن الأحزاب ومن اليهم سيتنازعون الكراسى بشدة وعنف
فأنه يحرص كل الحرص على استقلاله ، ويحافظ على موقفه ، بأنه
وطنى مستقل الى النهاية . ثم يقول : بأن النيابة عن الأمة ليست
سلعة تباع ، ولا ضيعة تستغل ، وهى اذا كانت كذلك فى يوم ما ،
فيجب من الآن الا تكون الا بالكفاءة والنزاهة والاقدام ، أما
اولاد الذوات ، وأغنياء الحرب ، والانصار والمحاسيب ، وبقيسة
السخفاء ، فليست النيابة لهم وليسوا لها . والا فقد هزل النظام
البرلمانى ، وضاعت الديمقراطية . ثم يذكر ناخبه فى عابدين ،
بأن فى يده صحيفتان ناصعتان هما « وطنيتى » و « منبر الشرق »
الأولى صدرت فى عابدين ، والثانية أيضا تصدر منها .

ولكن يبدو ان التنافس فى تلك المعركة لم يكن شريفا ، وإن
الحكومة لم تراع الحياد ، كما جاء ذلك على لسان الدكتور أحمد
ماهر باشا رئيس الوزراء ، وأن شكاوى واحتجاجات الغياى لم

(٦٢) جريدة « منبر الشرق » ، العدد ٣٣١ ، ١٧ نوفمبر سنة ١٩٤٤ ،

ص ١ .

(٦٣) جريدة « منبر الشرق » ، العدد ٣٣٢ ، فى ٢٤ نوفمبر ١٩٤٤ ،

ص ١ .

تكن ذات جدوى ، فآثر الانسحاب آسفا(٦٤) شاكرا لآخوانه الناخبين
أبناء الدائرة الكرام ، الذين ألقوا الجماعات وأعدوا العدة للحملة
الانتخابية . وبدءوا فعلا فى نشر الدعاية الطيبة له(٦٥) .

(٦٤) جريدة « منبر الشرق » ، العدد ٣٣٣ ، فى ٨ ديسمبر سنة ١٩٤٤ ،
ص ١ بعنوان « حياد الحكومة » .
(٦٥) جريدة « منبر الشرق » ، العدد ٣٣٤ ، فى ١٥ ديسمبر سنة ١٩٤٤ ،
ص ١ بعنوان « شكر الناخبين » .

((هجرتى)) الثانية

يبدو أن انسحاب الغيايتى من المعركة الانتخابية عن دائرة عابدين ، وشكاواه التى لم يستمع اليها أحد ، ووقوفه شبه وحيد ، مستقلا عن الاحزاب والزعماء ، مطالباً بالوحدة الوطنية المصرية ، قد جعله يفكر بعد شهور قليلة فى « الهجرة الثانية » ، خاصة بعد أن وضعت الحرب العالمية الثانية أوزارها ، وكان الغيايتى يزعم الهجرة الى الولايات المتحدة الأمريكية ، ولكن لماذا تلك الدولة بالذات ؟

يقول الغيايتى : « (٦٦) بأن أمريكا عالم حر جديد ، ساقبله ان شاء الله بنشاط حر جديد .. وشباب حر جديد ، ولاعبرة بالسنن ، فما هى بعدد السنين ، وانما هى بقوة الروح ، وقوة الايمان ، وقوة الارادة » ، ذلك أنه بعد عودته من جنيف الى القاهرة ، وجد من بلده المحبوب نصبا وجحودا ، مقابل استقلاله فى الراى .. كما وجد هوة عميقة بينه وبين أغلب القوم .. فلقد بقى كما هو قبل خروجه منها .. بينما هم « تقدموا » .. هذا التقدم الذى نراه فى ضلال وفساد « الطبقات العالية » ، بينما البؤس والشقاء عند السواد الأعظم من الشعب !!

(٦٦) جريدة « منبر الشرق » ، العدد ٣٦٧ ، فى ٣ اغسطس سنة ١٩٤٥ ، ص ١ ، بعنوان « الهجرة الثانية » .

ولكن الغاياتى لم يهاجر الى امريكا ٠٠ بل كانت افكارا فقط ،
أعد لها العدة ، ولكنها لم تنفذ ، حتى يستمر مصر ، رجل مخلص
ووطنى صادق ، ومجاهد مستقل ، وصحفى لا يتلون ، له وجسه
واحد ، وقلم واحد ، ولسان واحد ، عبر عنه يوم عاد الى مصر
بعد غربة استمرت سبعا وعشرين عاما ، عندما أنشد شعرا :

« باسم الكتانة واسم شعب ناهض
لا باسم احزاب ولا زعماء »

* * *

(وفاته وآخر مقالاته)

عندما داهم مرض الرحيل ، على الغاياتي ، فى شهر يوليو سنة ١٩٥٦ ، تخلف عن كتابة مقاله الافتتاحى المعتاد اسبوعين ، ثم سأل الله الشفاء ، وزوال هذا البلاء (٦٧) ، ويبدو أن الله قد حقق دعاء بطلنا الوطنى ، ليكتب آخر افتتاحية لجريدة « منبر الشرق » وكانت بعنوان :

(جمال قاهر كبرياء الغرب) (٦٨)

وفيه يقول : « لله در الرئيس جمال عبد الناصر ، فانه أول من تجرأ بشكل علنى على كبرياء الغرب ، الذى كان يعتبر الشرق والشرقيين من سقط المتاع ، فلا يسمع لقولهم ، ولا يحسب لهم حسابا فى خططه وأساليبه الاستعمارية » .

« فضح جمال أساليب الاستعمار حتى أصبح المرء لا يخشى من محاربة الغرب بهذا السلاح الجديد الفاضح » . وكذا نرى حملة جمال على الغرب - وهى حملة مؤيدة بأقوى البراهين والحجج - تعم العالم العربى فيستيقظ من سباته ، ويكيل الصاع صاعين لكل غربى مستعمر أثيم » .

(٦٧) جريدة « منبر الشرق » ، العدد ٨٨٤ ، فى ٢٧ يوليو سنة ١٩٥٦ ،

ص ١ .

(٦٨) جريدة « منبر الشرق » ، العدد ٨٨٧ ، فى ١٧ أغسطس سنة ١٩٥٦ ،

ص ١ .

« انتشرت هذه الروح المتحررة فى الشرق العربى من اقاصه الى اقصاه ، فاهتز لها الغرب خوفاً ووجلاً ، وأخذ يحاول ان يغير من عسفه وعجرفته ، ولكن الشرق لم يآبه له ، واراد منه الدليل على كل ما يزعم انه صادق فى قوله ، وبذلك فقدت الثقة التى كان يعيش الغرب عليها أيام سلطانه وجبروته » .

« فجمال عبد الناصر هو قاهر كبرياء الغرب فى هذا العصر ، وكل من رفع رأسه فى وجه الاستعمار مدين له بالفضل الاول فى هذا السبيل » .

« وما على القارئ الا ان يستمع الى خطب جمال ، ويقرأ بيانات جمال ، ليوقن بأنه نعمة من الله ورحمة لهذا الوطن ، الذى طال ليله ، وعم فيه الظلم والظلام » .

« فليحيى جمال ، ولتحيى مصر العزيزة ، أم كل جمال حر أبى » .

وبعد عشرة أيام سقط القلم ، وارتفعت روح الغاياتى الى بارئها يوم ٢٧ أغسطس سنة ١٩٥٦ ، ومن العجيب ، أن الغاياتى بينما كان حياً يرزق فى دمياط سنة ١٩٠٧ ، نشرت جريدة « اللواء » فى ١٠ فبراير سنة ١٩٠٧ ، خبراً عن وفاة على الغاياتى ، فبادر الى تكذيب الناعى بأبيات شعرية تحت عنوان « الموت الكاذب » (٦٩) يقول فيها :

تمنى أناس أن أموت صباية
وانسى من قبل التمنى لبيت

(٦٩) « وطنيتى » للغاياتى ، ص ١٢٨ .

ولكن آمالا تجول بخاطري
فتحبي فوداي حينما يتفتت
فيا من اشاع الموت عنى فجأة
لعمرك انى نحوه متلفت
ولو كان نحبي فى يدي لقضيته
وغادرت عيشا فيه امرى مشتت
ولكن ممات المرء مثل حياته
الى الله يحو مايشاء ويثبت

وقد تحرر الى الجهات المختصة فى ١٩ نوفمبر سنة ١٩٥٦ ،
بقرار وقف اصدار جريدة « منبر الشرق » ، وشطب اسمها من
قائمة الصحف المصرح باصدارها فى مصر ، وذلك بعد وفاة صاحبها ،
وكان الاخطار السابق تقديمه لاصدار الجريدة ، لم يكن (٧٠) ، وهكذا
لم تتحقق أمنية اخرى للغاياتى ، عندما لكتب تحت عنوان « منبر
سرقى لن يموت » (٧١) يقول : « ان من أعز الامانى الا يكون سر
او مرض او موت كاتب هذه السطور ، سببا من أسباب عدم ظهور
هذه الجريدة » !!

(٧٠) سجل رقم (١٠) لتيد الصحف المصرح باصدارها فى مصر ،
لحت رقم ٥٠٩ .
(٧١) جريدة « منبر الشرق » ، العدد ٧٦٨ ، فى ٢٤ سبتمبر سنة ١٩٥٤ ،
ص ١ .

(رثاءه وملاحه الشخصية)

أسرعت الأعلام التي تعرف فضل فقيدنا الغياي ، في رثاءه ، من علماء ورجال فكر وصحفيين ، وقد كانت جريدة « الاهرام » ، أول من دعا الله لأن يتغمده بواسع رحمته ورضوانه ، ذلك أن الغياي كان مراسلا للجريدة في جنيف طيلة السنوات التي قضاها فيها ، كما كتب فضيلة الشيخ حسنين مخلوف - مفتي الديار المصرية الأسبق - والذي كان يرد على فتاوى قراء « منبر الشرق » (٧٢) - كلمة تحت عنوان « السيد على الغياي » يقول فيها (٧٣) :

« مات أمس ، السيد على الغياي ، وكل حي يموت ، فرزى بموته الاسلام أعظم رزء ، اذ فقد علما من أعلامه الخفاقة ، ولسان صدق في الدعوة اليه ، والذيات عن حماه ، وقلما بليغا حرا ، طالما جال وصال ، في ربوع أوروبا ومصر ، في ارشاد المسلمين الى وجوب التعاون ، على البر والتقوى ، وتضامير القوى ، في مكافحة أعدائه المستعمرين ، وفقد المسلمون عامة ، والعرب خاصة ، نصيرا قويا ثابت الجنان ، صادق اللسان ، قوى الحجة ، بليغ البيان ، في التعبير عن خلجات صدورهم وأمانيتهم ، في الحياة والعزة والكرامة ، وفقدت الصحافة الحرة النزاهة ،

(٧٢) « باب الافتاء » ظهر في جريدة « منبر الشرق » ، ابتداء من العدد

٧٦٦ في اول يناير سنة ١٩٥٤ .

(٧٣) جريدة « الاهرام » ، في ٢٨ أغسطس سنة ١٩٥٦ .

عضوا كبيرا ، وكاتباً بليغاً ، وصحافياً أليفاً ، أعز الصحافة واعتز بها ، ووهب لها حياته ، وماله حتى أفناه في سبيلها ، وكان أعز شيء عليه « منبر الشرق » ، الذي أسسه في أوروبا ، واستمر ينشره بمصر ، الى آخر لحظة من حياته المباركة » .

« وفقدت الوطنية الصادقة المخلصة ، زعيما من زعمائها الاطهار ، الذين عاصروا الزعيم مصطفى كامل ، والرئيس محمد فريد ، والمجاهد الشيخ عبد العزيز جاويش ، واضرابهم المجاهدين ، في سبيل تحرير مصر ، من الاحتلال ، وتحطيم أغلال الاستعباد ، وعذب وشرذ ، واضطهد وقاسى الآلام ، من أجل عقيدته ومبادئه ، فلم تلت له قناة ، ولم يطأطأ رأسه لعظيم » .

« ان السيد على الغياثي ، كان أمة وحده ، في دينه وخلقه ، ووطنيته وعفة لسانه ، وقلمه ونزاهة قصده وغايته ، وكان حكيما فيما يعالج من مختلف الأمور هادئ الطبع ، لا تخرجه عظامم الاحداث عن طوره ، ولا تدفعه عن قصده ، صبوراً جلداً ، دائماً على العمل ، لا يترفق بنفسه ، رجاء نفع الناس بمنبره الاغر ، يكتب وهو مريض ، ويقرأ وهو محموم ، ومازال ذلك دأبه حتى قضى اليوم نحبه ، ففي سبيل الله ما جاهد ، وفي سبيل الله ما ضحى من نفس ومال ، أنه في الخالدين بذكره العطرة ، وعمله الخالد العظيم ، وجهاده المرير ، في صمت وحزم وأناة ، انه صحيفة ناصعة ، لا أقول طواها الردى ، وانما نشرها الموت على من يعرفه ومن لا يعرفه ، ليقرأوا فيها كيف يكون الجهاد والتضحية ، وكيف يكون المصدق ، والوفاء لله ، وللوطن وللناس ، وليعرفوا ان العظيم لا يموت حين يدفن ، وانما يحيا في القلوب بذكره ، ويعيش بين الاحياء مثالا يحتذى ، وأماما به يقتدى » .

رحم الله السيد الغياثي رحمة واسعة ، وعوض الإسلام

والمسلمين والصحافة والامة المصرية خير العوض عن فقدته ، وهم
أحوج مايكونون اليه ، وانا لله وانا اليه راجعون » .

اما جريدة « القاهرة » المسائية ، فقد نشرت مقالة بعنوان
« على الغياتى » (٧٤) يقول كاتبها « حافظ » :

« اختار الله عشاء أمس ليقبض اليه روحا شفت فى هذه الدنيا
حتى لم يكن الصحاب يدرون : أهذا رجل يعيش مع البشر ، أم
كان يتخذ له طريقا الى وادى الملائكة .. ذلك هو المغفور له السيد
على الغياتى ، الذى شيع اليوم جثمانه ، من هذه الدنيا الى
البرزخ الذى يفصل بينها وبين الآخرة » .

« ولقد عاش الغياتى سبعين عاما ، عمل فيها لأخرفته كأنه
فى كل يوم من أيامه سيموت غدا ، وعمل فيها للدنيا ماينفع أهل
الأرض فى صلاحهم ووطنيتهم وما سلخ عنه كل مغنم هذه الدنيا !

« ان قصة الشيخ الشاب على الغياتى ، التى هاجر بسببها
من وطنه فرارا من ظلم الاستعمار فى مصر الى مجال فسيح ،
يحارب فيه هذا الاستعمار - ان هذه القصة
معروفة للجميع ، عاش على الغياتى فى جنيف سبعا وعشرين
سنة ، لا كما يعيش الناس ، بل كما يفعل الفدائيون .. طبع قبل
أربعين سنة فى جنيف جريدة بالعربية والفرنسية لكى يتناجى على
صفحاتها الاحرار ، وكان بيته ، بيت الرجل الذى خرج من مصر
بلا مال ولا نسب ، كان بيته فى جنيف بيت الامة العربية ، كان على
الغياتى فى جنيف السويسرية ، يخدم فكرة الوحدة العربية قبل

(٧٤) جريدة « القاهرة » ، فى ٢٨ أغسطس سنة ١٩٥٦ ، ص ٢ .

٢٢٥

(م ١٥ - على الغياتى)

أربعين عاما ٠٠ وكان في العاصمة السويسرية ، مضيف كل عربي وكل مصري ، وكل مجاهد في سبيل الحرية ، ومقاومة الاستعمار ٠

« ومنذ عشرين عاما ، وعلى أثر توقيع المعاهدة التي كانت تسمى مجازا ، معاهدة الشرف والاستقلال ، ظن الغاياتي أن مصر قد استكملت حريتها ، فانتقل الى مصر ٠٠ لكن جهادا جديدا مريرا كان ينتظر على الغاياتي ، فلقد تعود الغاياتي قولة الحق والشرف ، وكان الاستعمار قد قضى على كثير من عادات الحق والشرف في هذه الربوع ٠٠ فجاع الغاياتي اياما ، لكنك اذا رأيته في أحلك ساعات بؤسه ، رأيته عفا نزيها ، كأنه في تواضعه ، على كل من يلقاه أمير ولقد أعاد الغاياتي في مصر اصدار جريدة « منبر الشرق » وكانت صحيفة صغيرة الحجم ، لكنها نظيفة الفم ، لا يأكل صاحبها السحت الحرام ، ولو جاع الايام بعد الايام ٠ »

« كان على الغاياتي رجلا مثاليا ، يمزج بين آداب الدين والوطنية في سلوكه ، فأكرمه الله رغم كل مامر به من أزمات وكرمه في كل الأوساط تكريما قل أن يناله أحد ، فكان في مثالياته مثالا أيضا للذين يأخذهم بريق هذه الحياة الدنيا ، وبالأمس ، وقد أدى على الغاياتي رسالته ، واختاره الله الى جواره ، فغاب عنا شخص نرى أن له ذكرى لاتغيب ، ذكرى في تاريخه ، في مثله الصالحة ، في نسله الذي ليس كمثله بنات أو بنين الذين رباهم خلقا وفضلا ٠ »

« رحم الله الغاياتي ٠٠ لقد كانت عدته في الحياة وسيلة لغايته وقد بلغ الغاياتي مساء أمس ، غاياته بالقربى من الله ، بعد أن عاش كريما بقرباه الى ضمير الوطن ٠ »

وهناك من أراد أن يرثي الغاياتي شعرا ، كمحمد مصطفى

الاسلامبولى ، الذى نظم قصيدة بعنوان « الخطب الوطنى القادح :
الشيخ على الغاياتى » (٧٥) يقول فيها :-

خطب اناخ على البلاد جليل
او ما رايتم كيف غاض النيل
يايها النعاى رويدك أنه
رجل البلاد ونخرها المامول
هو من علمت طواه فى احشائه
دهر بأقدار الرجال يهول
كان المرجى للخطوب يردها
مسئولة الأظفار حين تصول
كان الحريص على حقوق بلاده
ما خان يوما عهدا المسئول
كان العلى الحر ما فى قوله
ضعف ولا فى رايه تبديل
جم الفضائل نزع متتابع
لبنى البلاد وخيره موصول
تدعوه أمته فيصلح أمرها
ويقوم ركن الحق حين يميل
ويكافح الأهوال فى طغيانها
فيصير رعبا جيشها المخذول

(٧٥) جريدة « الشعب » ، العدد ٨٥ ، فى ٢٩ أغسطس سنة ١٩٥٦ ،

ص ١١ •

مهلا على ، أفهل رضيت بفرقة ؟
فيها لقومك لوعة وغليل
لما حلت ديار من سكن الثرى
أيقنت أن مدى القراق طويل
لانتسى مصر على البعاد فانها
حرى الفؤاد كما علمت تكول
انكر فجيعتها وطول عذابها
وانظر الى الايام كيف تحول
ما فى العوالم من مقيم ثابت
لاشئ الا ينقضى ويـزول
سبحان من يفتى ويذهب خلقه
ما للنفوس الى البقاء سبيل
ما أجدر السلوى لشعب لائذ
بالصبر فيك وانه لجميل
لولا التجلد وهو خير وسيلة
ثارت لموتك أنفوس وعقول
حب البلاد أسى وحسبك نعمة
ظل لربك فى الجنان ظليل
لك ما أردت من المثوبة عنده
وثواب من يسدى الجزيل جزيل

(ملامحه الشخصية)

يقول الاستاذ فتحى رضوان (٧٦) أنه تعرف بالغياىتى - سنة ١٩٣٨ - وحينئذ فقط أحس بالدهشة ، لأنه رأى مصرياً قحاً ، أو قل أزهرياً تقياً خالصاً ، لم تمح أقامته ربع قرن من الزمان بعيداً عن مصر ، فى وسط أوربى ، ومع زوجة أجنبية ، شيئاً من سماته أو خصاله المصرية ، فلا هو لوى لسانه بلكنة أجنبية ، ولا هو حرص على أن يدس فى حديثه كلمة فرنسية واحدة ، ولا هو انقطع عن الاستشهاد بالشعر العربى القديم والحديث ، حينما يقضى سياق الكلام .

والحق أن الغياىتى كان يعتز دائماً بأنه « شيخ ولا فخر » (٧٧) ، وكان يرد على الذين يهاجمونه ، بتوقيع مقالاته الافتتاحية فى جريدته « منبر الشرق » بـ « الشيخ على » ، وامعانا فى ذلك الفخر ، كان ينشر صورته بملابس الشيوخ - والتى التقطت له منذ ثلاثين عاماً - بجانب هذه المقالات .

كما لا يذكر أصدقائه ومريديه (٧٨) بأنهم رأوه يوماً ثائراً ، ولا غاضباً ، ولا متذمراً ، ولا متجهماً ، أو سمعوا منه كلمة نابية ،

(٧٦) فى كتابه « عصر ورجال » ، ص ٢٩٨ .

(٧٧) جريدة « منبر الشرق » ، العدد ٧٧ ، فى ٢٨ نوفمبر سنة ١٩٣٩ ،

ص ١ .

(٧٨) فتحى رضوان ، مرجع سابق ، ص ٣٠٠ و ٣١٥ .

وعلى كثرة ما اجتمعت عليه أزمات البيت والجريدة ، وهى أزمات كانت خليفة بأن تتحدى حلم الحليم ، وتفسد طبعه ، وقد كان كاتب خفيف الظل ، تسرى فى أسلوبه روح دعاية رقيقة ، قد تبدو للناس غريبة ، من رجل كان ديوانه يتفجر نارا وحما ، وهو يتحدث عن الاحتلال وأعوان الاحتلال ، قد تبدو أغرب ، فى أدب رجل كابد من الحياة أشد ما كابدته الرجال فى حياتهم العامة من وحشة الغرب ، وضيق الرزق ، وتجدد الاخطار ، وخيبة الأمل فى الرجال والزمان ، وتقلب الصاحب والاخوان .

من هذه الدعابات الرقيقة ، ما حدث عندما أنعم الملك السابق فاروق ، بنيشان الكمال من الدرجة الثالثة ، على أم كلثوم ، فتحدث معها الغاياتى تليفونيا ، ليهنأها بذلك ، فقالت له أم كلثوم : « انها تقرأ (منبر الشرق) بعناية لأنها « رجعية » مثل الغاياتى » ، فما كان منه الا أن شكرها على هذا التقدير ، متمنيا لها وله مزيدا من المحافظة على هذه الرجعية ، وعلى أفضل التقاليد (٧٩) .

أما ذلك الحزن العميق ، والذي تجده فى قسما ت وجه الغاياتى فلأنه يكظم ألمه ، ويخفى ضيقه وبرمه بالأيام ، ولكن ما يكاد يتكلم حتى ترى هذا الوجه الريفى بتقاطيعه الغليظة نوعا ، قد تكسرت جهامته الى رقة ، فاذا سمعت قهقهاته القصيرة المتوالية ، أدركت أن وجهه لا يحسن التعبير عن ايمان صاحبه ، وبعده عن اليأس ، وامتلاء قلبه بالأمل ، حتى عندما فقد ابنه الوحيد ، بعد أصابته برصاصة طائشة فى رحلة صيد بناحية السويس ، تجده صابرا هادئا لا تدمع له عين ، ولا تصدر عنه أهة ، أو حركة واحدة من حركات الألم الذى لا بد أنه كان يعتصره اعتصارا !

(٧٩) جريدة « منبر الشرق » ، العدد ٣٢٤ ، فى ٢٩ سبتمبر سنة ١٩٤٤ ،

وكان الغاياتى ثائرا على التقاليد البالية ، مطالباً بالغاء الألقاب منذ عام ١٩٤٥ (٨٠) ، فيقول : « لا يحمل صاحب هذه الجريدة لقبا من القاب الدولة ، فهو ليس بك ولا باشا ولا صاحب عزة أو سعادة ، وهو لا يرتاح لمخاطبته بماليس له ، ولا يريد أن يصبح ذا لقب لأنه يطالب بالغاء الألقاب ، لهذا يرجو بالحاح من مخاطبيه الكثيرين ان يكتفوا بذكر اسمه أو اسم صحيفته هذه مجردا من كل نعت رسمى أو غير رسمى ، ولهم جزيل الشكر ، وان اكرمكم عند الله اتقاكم » .

وفى أخريات أيامه ، أراد أن يصل ما انقطع ، وأن ينتهى من حيث بدأ ، فعاد الى العمامة ، وأخذ يتشدد مع زوجته السويسرية تشددا قات أوانه ، فاضطر الى الزواج من مصرية ، فأغضب ذلك بناته وأحزنهن غاية الحزن ، وقد عوض هذا المجاهد الصابر خير عوض عما لقيه من شظف الحياة ، وضيق الرزق ، فقد حقق له أمنيته ، اذ تزوجت كل بناته بمصريين نابهين موفقين ، منهم من وصل الى منصب الوزارة ، ومنهم من أفاء الله عليه رزقا عميما ، وعلما غزيرا ، وهم الاساتذة : محمد العتر ، الدكتور مصطفى الحفناوى ، الدكتور محمد البهى ، الدكتور مختار الوكيل ، محمد على ناصف ، وقد كان رجل فى مثل فقر الغاياتى وزهده ، وابتعاده عن المجتمعات ، وقلة صلاته بالناس ، خليقا بالا يوفق الى مثل هذا الحظ السعيد ، الذى يفرح به كل والد مهما كان جاهه وحظه من المال ، فبارك الله فى نسله وذريته ، وجعلهم للوطن ، مثلما جعل عميدهم « على الغاياتى » ٠٠ رائدا من رواد الحركة الوطنية ، الذين دخلوا التاريخ من أوسع أبوابه ، رغم أنف المنافقين والدجالين !!

(٨٠) جريدة « منبر الشرق » ، العدد ٣٢٨ ، فى ١٢ يناير سنة ١٩٤٥ ،

(مصادر الكتاب)

* أولا وثائق غير منشورة :

- ١ - وزارة الداخلية ، ادارة المطبوعات ، ملف جريدة « منبر الشرق » - رقم ١١ - ٢٩٢/٢ .
- ٢ - سجل رقم (١٠) لقيد الصحف المصرح باصدارها فى مصر (من سنة ١٩٣٦) ، والمحفوظ بادارة المطبوعات والصحافة والنشر ، الهيئة العامة للاستعلامات .

* ثانيا : صحف عربية :

- ١ - الجهاد - ٢ - الجوائب المصرية - ٣ - السياسة - ٤ - الشعب - ٥ - العلم - ٦ - القاهرة - ٧ - الاهرام - ٨ - اللواء - ٩ - المؤيد - ١٠ - منبر الشرق .

ثالثا : كتب عربية ومترجمة :

- ١ - ابراهيم عبده ، تطور الصحافة المصرية (١٧٩٨ - ١٩٨١) ط (٤) (القاهرة ، مؤسسة سجل العرب ، ١٩٨٢) .
- ٢ - ابراهيم عبده ، جريدة الاهرام : تاريخ وفن (١٨٧٥ - ١٩٦٤) (القاهرة ، مؤسسة سجل العرب ، ١٩٦٤) .
- ٣ - أحمد شفيق باشا ، مذكراتى فى نصف قرن ، القسم

الثانى من الجزء الثانى (من يناير ١٩٠٣ الى سنة ١٩١٤) (القاهرة مطبعة مصر ، ١٩٣٦) .

٤ - أحمد هيكل ، تطور الأدب الحديث فى مصر من أوائل القرن التاسع عشر الى قيام الحرب الكبرى الثانية ، ط (٤) (القاهرة دار المعارف ، ١٩٨٣)

٥ - آرثر ادوارد جولد شميث (الابن) ، الحزب الوطنى المصرى (مصطفى كامل - محمد فريد) ، ترجمة : فرّاد دواره (القاهرة ، الهيئة العامة للكتاب ، ١٩٨٣)

٦ - أنور الجندى ، تطور الصحافة العربية فى مصر (القاهرة ، مطبعة الرسالة ، ١٩٦٧) .

٧ - الهيئة المصرية العامة للكتاب ، خمسة من شعراء الوطنية ، ج (١) (القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٣)

٨ - عبد الرحمن الرافعى ، مصر والسودان فى أوائل عهد الاحتلال : تاريخ مصر القومى من سنة ١٨٨٢ الى سنة ١٨٩٢ ، ط ٣ (القاهرة ، الدار القومية ، ١٩٦٦) .

٩ - عبد الرحمن الرافعى ، مصطفى كامل باعث الحركة الوطنية : تاريخ مصر القومى من سنة ١٨٩٢ الى سنة ١٩٠٨ ، ط ٤ (القاهرة ، النهضة المصرية ، ١٩٦٢) .

١٠ - عبد الرحمن الرافعى ، محمد فريد رمز الاخلاص والتضحية : تاريخ مصر القومى من سنة ١٩٠٨ الى سنة ١٩١٩ ، ط ٣ (القاهرة ، النهضة المصرية ، ١٩٦٢) .

١١ - عبد الرحمن الرافعى ، شعراء الوطنية ، ط ١ (القاهرة النهضة المصرية ، ١٩٥٤) .

- ١٢ - عبد اللطيف حمزة ، مستقبل الصحافة في مصر
(القاهرة ، دار الفكر العربى ، ١٩٥٧) .
- ١٣ - على الغيايتى ، وطنيتى ، ط ١ (القاهرة ، بدون
مطبعة أو دار نشر ، ١٩١٠) .
- ١٤ - على الغيايتى ، وطنيتى ، ط ٢ (القاهرة ، مطبعة
عطايا ، ١٩٣٨) .
- ١٥ - على الغيايتى ، وطنيتى ، ط ٣ (القاهرة ، مطبعة
منبر الشرق ، ١٩٤٧) .
- ١٦ - على الغيايتى ، على هامش الحج ، ط ٢ (القاهرة ،
دار النشر للجميع ، ١٩٦٣) .
- ١٧ - فتحى رضوان ، عصر ورجال (القاهرة ، الانجلو
المصرية ، ١٩٦٧) .
- ١٨ - فيليب دى طرازى ، تاريخ الصحافة العربية ، ج ٤
(بيروت ، المطبعة الاميركانية ، ١٩٣٣) .
- ١٩ - محمود نجيب أبو الليل ، الامانى الوطنية والمشكلات
المصرية فى الصحف الفرنسية : منذ عقد الاتفاق الودى حتى اعلان
الحرب العالمية الاولى ، ط ١ (القاهرة ، مطبعة التحرير ، ١٩٥٣) .
- ٢٠ - يونان لبيب رزق ، الحياة الحزبية فى مصر فى عهد
الاحتلال البريطانى (١٨٨٢ - ١٩١٤) (القاهرة ، الانجلو المصرية
١٩٧٠) .

(فهرست)

صفحة	
٥	* اهداف الكتاب
٧	* تقديم الكتاب للأستاذ : فتحى رضوان
١٩	* مقدمة المؤلف
٢٣	* الفصل الأول : (ما قبل وطنيتى)
٢٥	– المولد والنشأة
٣٠	– فى جريدة « الجوائب المصرية »
٣٣	– فتنة دمياط الدينية
٤٢	– فى القشلاق الأحمر
٤٤	– فى صحف الحزب الوطنى
٦١	* الفصل الثانى : (وطنيتى)
٦٣	– تمهيد واهداء
٦٨	– كلمة حضرة محمد بك فريد
٧٢	– كلمة الأستاذ الشيخ عبد العزيز جاويش
٧٥	– مقدمة الغاياتى للديوان
٩٧	– نماذج من الشعر
١١٥	– الحكم على الديوان <small>رحمته الله</small>
١٢٠	– قضية وطنيتى

صفحة

١٤١	• • • •	الفصل الثالث : (هجرتي بعد وطنيتي)	*
١٤٣	• • • • •	- في الأستانة	
١٥١	• • • • •	- ثم الى جنيف	
١٥٧	• • • • •	- منبر الشرق	
١٦٣	• • • • •	- الى مصر مرتين	
١٦٧	• • • • •	الفصل الرابع : (منبر الشرق)	*
١٦٩	• • • • •	- العودة نهائيا	
١٧٢	• • • • •	- في جريدة « السياسة »	
١٨٣	• • • • •	- جريدة « منبر الشرق »	
١٩٦	• • • • •	- اهم القضايا التي اثارها	
٢٠٩	• • • • •	- « وطنيتي » مرة اخرى	
٢١٤	• • • • •	- في انتخابات المجلس النيابي	
٢١٨	• • • • •	- « هجرتي » الثانية	
٢٢٠	• • • • •	- وفاته وآخر مقالاته	
٢٢٣	• • • • •	- رثاءه وعلامحه الشخصية	
٢٣٢	• • • • •	مصادر الكتب	*

رقم الايداع ١٩٨٩/٤٥٩٥

الترقيم الدولي ١ - ٢١٧١ - ٠١ - ٩٧٧

هذا الكتاب

لا اظن ان هناك ممن جاهدوا في سبيل مصر ، وطوقوا عنقها
بأياد جليظة ، واحتملوا من اجل ذلك شظف الغيش ، والبعد عن
الاهل ، وضيق الرزق ، من لقي ما لقيه (على الغيايتي) ،
الشاعر والكاتب ، والصحفي والعالم الإسلامي ، من نفى
وتشريد ، وجحود ونكران ، وهذا الكتاب يتعرض لقصة حياته
ونضاله منذ مولده في دمياط ، وعمله في صحف الحزب الوطني ،
وإصداره ديوانه (وطنيتي) الذي قدم له الزعيم محمد فريد
والشيخ عبد العزيز جاويش ، وادى إلى محاكمتهم وسجنهم ،
بينما فر هو هاربا إلى تركيا ثم إلى سويسرا ، حيث أصدر جريدة
« منبر الشرق » بالفرنسية نحو سبعة وعشرين عاما ، ثم عاد
إلى مصر ليعيد إصدارها باللغة العربية جاعلا شعارها : باسم
الكنانة واسم شعب ناهض .. لا باسم أحزاب ولا زعماء .

